وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط / كلية التربية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

المؤرخ عبد الباسط الظاهري وكتابه نيل الأمل
دراسة في الجوانب الاقتصادية

رسالة تقدمت بها الطالبة

لمى إبراهيم عزيز الزريجي

إلى مجلس كلية التربية-جامعة واسط وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف الأستاذ الدكتور

عطا سلمان جاسم

١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م

إقرار المقوم اللغوي

إني (أ.م.د. مجيد طارش عبد اليوداوي) المقوم اللغوي لرسالة الماجستير الموسومة (المؤرخ عبد الباسط الظاهري وكتاب نيل الأمل دراسة في الجوانب الاقتصادية) للطالبة لمى ابراهيم عزيز الزريجي ، أؤيد سلامتها اللغوية .

الاسم:

التوقيع :

التاريخ:

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (المؤرخ عبد الباسط وكتابه نيل الأمل دراسة في الجوانب الاقتصادية) التي تقدمت بها الطالبه (لمى إبراهيم عزيز الزريجي) جرى تحت إشرافي في كلية التربية – جامعة واسط وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :
الاســـم :
التاريخ :

إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بناء على التوجيهات التي قدمها المشرف ،أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :
الاســـم :
التاريخ :

إقرار رئيس قسم التاريخ

بناء على التوجيهات التي قدمها المشرف ورئيس الجنة الدراسات العليا ،أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
الاســـم :
التاريخ :

الإهداء

إلى زوجي الذي آزرني طيلة فترة

الدراسة٠٠٠وفاءً وتقديراً

إلى ابني عباس وابنتي أقداس ٠٠٠

حباً وحناناً.

اهدي هذا الجهد

{ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ }

{ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ }

صدق الله العظيم

سورة إبراهيم آية ٣٢

شكر وتقدير

بعد الحمد والشكر لله تعالى على ما من به علينا من نعمه المباركة، أجد من الوفاء عليَّ أن أتقدم بجزيل الشكر والاحترام للأستاذ الدكتور عطا سلمان جاسم الذي شملني برعايته العلمية، فلم يدخر وسعاً في سبيل إسداء النصائح والملاحظات التي ساعدت كثيراً في إكمال رسالتي المتواضعة وجعلتها تخرج بهذه الصورة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور فاهم نعمة إدريس رئيس قسم التاريخ الذي شملني برعايته الأبوية وشجعني كثيراً من أجل مواصلة طريق البحث، والشكر موصول إلى أساتذتي الكرام الذين تتلمذت على أيديهم في مرحلتَيْ البكالوريوس والماجستير وهم: الدكتور رضا هادي عباس والدكتور مهدي علوان والدكتور طالب محيبس والدكتور مجيد طارش الذي صحح الرسالة لغويا والدكتورة سادسة حلاوي والدكتورة ناهضة مطر جزاهم الله خير الجزاء.

والشكر أيضاً لكل من أمدني بكتاب أو نصيحة من الزملاء الكرام. وأخيراً فإني لا أنسى أن أشكر عائلتي أمي وأبي وأخوتي على حثهم لي ووقوفهم إلى جانبي في أثناء الدراسة.

محتويات الرسالة

المقدمة وتحليل المصادر

إن روايات التاريخ الاقتصادي التي سجلها المؤرخون المسلمون لها أهمية خاصة كونها تكشف لنا عن تفاصيل الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية وقد تناولنا في رسالتنا الموسومة **((المؤرخ عبد الباسط الظاهري وكتابه نيل الأمل دراسة في الجوانب الاقتصادية))** سيرة أحد المؤرخين المسلمين الذين ظهروا في الحقبة الأخيرة من العصر المملوكي وما سجله من معلومات قيمة عن التاريخ الاقتصادي لدولة المماليك الثانية المعروفة بدولة المماليك الشراكسة أو البرجية ومما دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو أن هذا المؤرخ لم تتناوله أقلام الباحثين إلا قليلاً لعدم شهرته بسبب تأخر نشر كتبه التاريخية إذ أن أول كتاب تاريخي كبير حقق ونشر له كان سنة ٢٠٠٢م كما أن شهرة أبيه المؤرخ ابن شاهين الظاهري صاحب كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك قد سبقته بكثير ، اذ طبع كتابه المشار إليه عام ١٨٩٤م ، لذلك أردنا أن نبحث في سيرة عبد الباسط ومساهماته الفكرية ولاسيما في مجال التاريخ وما دونه لنا من معلومات خصت الجانب الاقتصادي في المدة التي أرّخ لها في كتابه نيل الأمل من سنة ٧٤٤ – ٨٩٦هـ/ ١٣٤٣ – ١٤٩٠م.

تألفت الرسالة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة حيث درسنا في الفصل الأول سيرة عبد الباسط الظاهري فتناولنا فيه الحياة السياسية والفكرية في عصره وبيان نسبته وشهرته والأسرة التي عاش تحت رعايتها فأوضحنا تأثره بشخصية أبيه حيث سار على خطاه في المجال العلمي وأشرنا في هذا الفصل إلى أصحابه من العلماء وأرباب السلطة وأثرهم في حياته من الناحيتين العلمية والمعيشية وذكرنا في هذا الفصل أيضاً رحلته إلى المغرب والأندلس وعلاقاته بالسلطة وموقفه منها. أما الفصل الثاني الذي كان بعنوان مكانة عبد الباسط ومساهماته العلمية فقد بحثنا فيه العلوم التي درسها على شيوخ وعلماء عصره، كما تناولنا فيه ما ألفه من كتب في علوم القرآن والفقه واللغة العربية والتاريخ وخصصنا مبحثاً لكتاب نيل الأمل في ذيل الدول تناولنا فيه عنوان الكتاب وسبب تأليفه ومخطوطه وطبعته والمنهج الذي اتبعه مؤلفه فيه وشخصية عبد الباسط كمؤرخ من خلال كتابه المذكور والمصادر التي اعتمدها في تأليف هذا الكتاب كما درسنا في هذا الفصل تلامذة المؤرخ ومن اعتمد عليه في

نقل النصوص من كتاب نيل الأمل وأخيراً أشرنا إلى تقويم المؤلفين لشخصية عبد الباسط ومكانته العلمية.

أما الفصل الثالث فقد بحثنا فيه الواردات والنفقات وميادين النشاط الاقتصادي كما جاءت في كتاب نيل الأمل فتطرقنا فيه إلى بيت المال وأنواع الضرائب التي كانت تفرضها السلطة المملوكية على الناس وهي غالباً ما تكون ضرائب مجحفة فضلاً عن مصادرة الأملاك والغرامات وأموال التركات وبيع المناصب كما بحثنا في هذا الفصل نفقات بيت المال المتنوعة مثل النفقات العسكرية التي تعد أهم وأضخم النفقات في الدولة المملوكية الثانية وكذلك النفقات العمرانية والرواتب ونفقة بيعة السلطان ونفقات السلطان الخاصة والهدايا والمنح التي كان يمنحها، ونفقات دعم الفقراء وفداء الأسرى. كما تطرقنا في هذا الفصل إلى ميادين النشاط الاقتصادي كالزراعة التي كانت تعد أهم تلك الميادين لاسيما وأن دولة المماليك الشراكسة ومركزها مصر اعتمدت بالدرجة الأساس على الزراعة. كما ذكر المؤرخ التجارة التي كانت تأتي بالمرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الزراعة إذ وفرت مورداً مالياً كبيراً للسلطة المملوكية فضلاً عن أنواع الصناعات التي شاعت خلال الفترة التي أرّخ لها. كما أشرنا فيه إلى الأسواق والمهن والحرف التي ذكرها المؤرخ.

ودرس الفصل الرابع العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية من خلال كتاب نيل الأمل فبحثنا فيه الكوارث الطبيعية كالأوبئة والزلازل والحرائق والسيول وآثارها الاقتصادية المدمرة إذ كانت تؤدي أحياناً إلى توقف النشاط الاقتصادي بشكل شبه تام وبحثنا في هذا الفصل الأحوال المناخية كارتفاع وانخفاض درجات الحرارة والأمطار الغزيرة والعواصف وآثارها الاقتصادية وخصصنا مبحثاً لنهر النيل وأثره في الحياة الاقتصادية لاسيما وأنه كان بمثابة شريان الحياة لمصر إذ تنتعش الحياة الاقتصادية أو تتدهور تبعاً لارتفاع وانخفاض مياه هذا النهر فإذا ارتفع زيادة عن الحد المطلوب حدث الفيضان المرعب فدمر بذلك الأراضي الزراعية وأدى إلى حدوث الوباء وإذا انخفض بشكل حاد أدى إلى جدب الأراضي الزراعية لصعوبة وصول المياه إليها ومن ثَمَّ شحة المنتوجات الزراعية وارتفاع أسعارها وقد يؤدي ذلك أحياناً إلى المجاعة.

كما بحثنا في هذا الفصل السياسة النقدية التي اتبعتها السلطة المملوكية ونتائجها الاقتصادية كما سجلها لنا عبد الباسط، فذكرنا فيه عملية سك النقود الذهبية والفضية والنحاسية وتسعير العملة ومنع التعامل بأنواع معينة من النقود وحالات تزييف العملة وغشها. وأخيراً درسنا ارتفاع وانخفاض الأسعار وتأثيراتها على حياة الناس اليومية. وسجلنا في الخاتمة أهم ما توصلنا إليه من نتائج في دراستنا المتواضعة هذه راجين أن تنال استحسان الأساتذة الأفاضل ورضاهم.

أما مصادر المعلومات التي اعتمدنا عليها في كتابة الرسالة فكانت كثيرة ومتنوعة، غير أننا سنقدم تحليلاً متواضعاً لأهمها وعلى النحو الآتي:

أولاً – التراجم: اعتمدنا على الكثير من كتب التراجم التي كان لها أثر واضح في رفد الرسالة بالمعلومات منها كتاب عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران لإبراهيم بن حسن الدمشقي البقاعي (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) يقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء خصصه المؤلف لتراجم علماء عصره من الرجال والنساء سواء كانوا الشاميين أم المصريين أم العراقيين وغيرهم. ومن هنا تتضح قيمة الكتاب العلمية كون المؤلف أرّخ لشخصيات عاصرها وعاش معها أو كان قريباً منها وقد أفادنا في التعريف بعدد من العلماء والإداريين ومما يلاحظ على البقاعي في هذا الكتاب أنه أطال في التراجم ولم يكن مختصراً.

ومن كتب التراجم المهمة التي اعتمدنا عليها كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي المصري الشافعي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) ويعد كتاب الضوء اللامع من أهم الكتب التي أرّخت لتراجم القرن التاسع الهجري يقع في اثني عشر جزءاً رتبه على أساس الحرف الأول لأسماء المترجمين واتصف المؤرخ في كتابه هذا بنقده الشديد أحياناً ولاسيما عند نقده لعدد الشخصيات التي عاصرها ويعد هذا الكتاب ذا أهمية خاصة لدراستنا فهو من المصادر القليلة التي ترجمت للمؤرخ عبد الباسط إذ شكلت المعلومات التي دونها إلى جانب ما ذكره ابن إياس أساسا للمعلومات التي عرفتنا بعبد الباسط، هذا فضلاً عما كتبه المؤرخ عن نفسه في كتابه المخطوط الروض الباسم وقد اعتمدنا على كتاب الضوء اللامع للوقوف على نسبة المؤرخ وشهرته وشيوخه ودراساته وبعض

مؤلفاته كما اعتمدنا عليه في ترجمة الكثير من الشخصيات المملوكية. ومن الجدير بالذكر أن السخاوي وهو أحد المعاصرين لمؤرخنا لم يذكر أياً من مؤلفات عبد الباسط التاريخية في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ الذي خصصه لتسجيل أخبار المؤرخين ومؤلفاتهم التاريخية.

ومن كتب التراجم الأخرى كتاب الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة الذي يقع في ثلاثة أجزاء وهو لنجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م) خصصه المؤلف لتراجم القرن العاشر ورتبه على أساس الحروف. وقد اعتمدنا على هذا الكتاب للتعريف بعدد من الشخصيات مثل السلاطين والأمراء والعلماء ، والملاحظ على الغزي في كتابه هذا أنه لم يترجم لمؤرخنا عبد الباسط على الرغم من أن الأخير عاش في القرن العاشر عقدين من الزمان.

ثانياً – الحوليات: هي الكتب التي نظمت مادتها التاريخية على أساس تعاقب السنين وقد اعتمدنا على قسم منها ومن أهمها كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك من أبرز كتب الحوليات التي اعتمدنا عليها كثيراً وهذا الكتاب يقع في سبعة أجزاء ألفه المؤرخ المصري الشهير تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) الذي عاش ومات في القاهرة وعمل في ديوان الإنشاء وتولى الحسبة والقضاء في العاصمة المملوكية وقد برع هذا المؤلف في قسم من العلوم من أبرزها التاريخ وقد أرّخ في كتابه السلوك للدولتين الأيوبية والمملوكية وتحديداً في المدة من سنة ٥٧٧ – ٨٤٥هـ/ ١١٧٩ – ١٤٤١م معتمداً على المنهج الحولي في ترتيب الحوادث والتراجم وقد ذكر المؤلف في كتابه هذا فضلاً عن الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية معلومات قيمة عن النقود والأسعار والأوبئة والضرائب. وقد أفادنا في المقارنة بين ما دونه عبد الباسط من معلومات اقتصادية وما ذكره المقريزي في هذا الكتاب. فضلاً عن تزويدنا بمعلومات مهمة عن تراجم بعض الشخصيات والمصطلحات الإدارية والاقتصادية. ومنها كتاب إنباء الغمر بأنباء العمر لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) الذي يقع في تسعة أجزاء أرّخ فيه للحوادث والتراجم التي عاصرها منذ ولادته سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م حتى سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م أي قبل وفاته بعامين ورتب مادة الكتاب على

أساس الحوليات مسلطا الضوء على تاريخ مصر تحديدا مع ذكره لتواريخ البلدان الأخرى مثل اليمن والعراق والشام والكتاب مهم لدراستنا لأن عبد الباسط اعتمد عليه بشكل واضح فنقل منه قسم من النصوص لكنه لم يشِر إلاّ للقليل منها وقد قارنا بعض النصوص التي نقلها فتطابقت مع كتاب إنباء الغمر هذا فضلاً عن اعتمادنا عليه في ترجمة بعض الشخصيات والتعريف بالمصطلحات المختلفة.

ومن كتب الحوليات التي ألفها مؤلفون معاصرون لعبد الباسط هو كتاب نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان لعلي بن داود بن إبراهيم المصري الحنفي المشهور بالصيرفي (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء اعتمد على التاريخ الحولي في ترتيب مادته التي أمدتنا بمعلومات عن عدد من شخصيات العصر المملوكي.

وهناك كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) الذي يقع في ثمانية أجزاء ،اذ اعتمدنا عليه في تدوين تاريخ عصر المؤلف وتراجم عدد من الشخصيات ومما يلاحظ على مؤلف هذا الكتاب أنه لم يترجم لعبد الباسط على الرغم من صفة الشمولية التي اتصف بها كتابه.

ثالثاً – المؤلفات الخاصة بتاريخ مصر: هناك الكثير من المؤلفات التي خصصت لتاريخ مصر ولاسيما في عصر المماليك ومنها كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) الذي يقع في ستة عشر جزءاً وهذا الكتاب من المصادر المهمة لأن مؤلفه اهتم كثيراً بتسجيل تاريخ المماليك معتمداً على مكانته كونه ينتمي إلى أسرة مملوكية سجل في كتابه هذا تاريخ مصر منذ فتحها على أيدي المسلمين سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م حتى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م ورتبه على أساس عهود الحكام الذين توالوا على حكم مصر من ولاة وأمراء وخلفاء وسلاطين وذكر أحداث وتراجم كل سنة ضمن عهد الحاكم الواحد ومعلوماته شاملة وموسعة لذلك اعتمدنا عليه ولاسيما في التعرف على عصر المؤلف والوقوف على تراجم قسم من الشخصيات.

ويعد كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لمؤلفه جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المصري (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) من أبرز المؤلفات

التي خصت تاريخ مصر والكتاب يقع في جزأين سجل فيه مؤلفه تاريخ مصر منذ المدة التي سبقت الإسلام وذكر فه خطط مصر وعجائبها ومدارسها وجوامعها وأخبار نهر النيل وتراجم العلماء والفقهاء والسلاطين والقضاة والوزراء الذين شهدتهم مصر. ويعد هذا الكتاب مصدراً مهماً لدراستنا لأن مؤلفه كان معاصراً لعبد الباسط وقد اعتمدنا عليه لتعريف الأماكن كالمدارس والجوامع وغيرها. ومن مؤلفات المؤرخين المصريين المعاصرين لعبد الباسط كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لمحمد بن أحمد بن اياس الجركسي الأصل القاهري (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) الذي يقع في خمسة أجزاء ذكر فيه مؤلفه فضائل مصر وأخبارها وتراجم شخصياتها ويعد هذا الكتاب مهما لنا كون ابن اياس أحد تلامذة مؤرخنا ومن المؤرخين القلائل الذين ترجموا له اعتمدنا عليه في التعرف على سيرة عبد الباسط الظاهري وأخبار والده ورجعنا إليه في مقارنة بعض الأحداث التي دونها في نيل الأمل كما أن ابن اياس اعتمد على كتاب نيل الأمل في نقل عدد من النصوص.

رابعاً – كتب الخطط: اعتمدنا على عدد من كتب الخطط ولاسيما تلك التي اختصت بذكر الخطط المصرية ومن أهمها كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ويعرف هذا الكتاب أيضاً باسم الخطط المقريزية نسبة إلى مؤلفه ويقع في أربعة أجزاء تضمنت معلومات تفصيلية ودقيقة عن خطط القاهرة مثل الشوارع والأسواق والأحياء والدور والقصور والمساجد والجوامع ومختلف المدن المصرية وأشار فيه أيضاً إلى الوظائف الإدارية. وقد اعتمدنا عليه كثيراً لغناه بالمعلومات المتنوعة ولاسيما التعريف بالمصطلحات التاريخية والجغرافية والإدارية. ومن المؤلفات التي تتشابه من حيث المحتوى مع كتاب الخطط المقريزية كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري المصري (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) وهو والد المؤرخ عبد الباسط وهذا الكتاب يقع في مجلد واحد اختصر فيه المؤلف كتاب أوسع له هو كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك واعتمدنا عليه في تعريف مصطلحات العصر المملوكي وأسماء المدن المصرية وهو كتاب قيم سجله المؤلف اعتماداً على تجربته بوصفه أحد الموظفين البارزين في عصر المماليك الشراكسة ومن الملاحظ أن

الكتاب قد يبدو من خلال عنوانه أنه يبحث في المسالك والممالك لكن المؤرخ ذكر فيه فضائل مصر ووصف السلطة المملوكية والوظائف الإدارية في عصر المماليك وخطط مصر مثل العمائر والجسور والمدن والقرى وغيرها.

خامساً – كتب البلدان: ويعد كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري الضهاجي المغربي (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) من أهم هذهِ الكتب التي اعتمدنا عليها يقع في مجلد واحد ذكر فيه مؤلفه الكثير من المدن العربية الإسلامية مركزاً على المدن المغربية والأندلسية وقد اعتمدنا عليه في تعريف المدن التي زارها عبد الباسط في رحلته إلى المغرب والأندلس واعتمدنا عليه لكونه معاصر لعبد الباسط ولأنه من سكان المغرب فهو أعرف من غيره بالمدن المغربية وربما الأندلسية أيضاً.

سادساً – الموسوعات: ويعد كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا لمؤلفه تقي الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي المصري (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) من أهم كتب الموسوعات التي اعتمدنا عليها يقع هذا الكتاب في أربعة عشر جزءاً دونه مؤلفه اعتماداً على تجربته خلال عمله في ديوان الإنشاء وأرّخ فيه للجوانب الإدارية والاقتصادية والألقاب العسكرية والسياسية والإدارية أفدنا منه في تعريف الكثير من مصطلحات العصر المملوكي والتعريف بالوظائف الإدارية والألقاب المختلفة.

سابعاً – فهارس الكتب: ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمؤلفه مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) اهتم هذا الكتاب الذي يقع في مجلدين كبيرين بتسجيل أسماء المؤلفات في مختلف العلوم ورتبها على أساس الحروف وقد أفدنا منه في الوقوف على بعض مؤلفات عبد الباسط ومؤلفات أبيه وإلى جانب هذا الكتاب يقف كتاب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون وكتاب هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين وكلاهما لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) حيث اعتمدنا عليه في ضبط عناوين مؤلفات عبد الباسط ومؤلفات أبيه. وهناك الكثير من المصادر التي لا يسع المجال لذكرها هنا وهي مسجلة في نهاية الرسالة.

المبحث الأول: الحالة السياسية والفكرية لعصر المؤرخ.

عاش عبد الباسط بن خليل في عصر دولة المماليك الثانية المعروفة بدولة الجراكسة[1]، التي حكمت من سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م حتى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م أي أنه عاش ردحاً طويلاً من عمر هذه الدولة منذ ولادته سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م حتى وفاته سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م وفي هذه المدة الزمنية عاصر ثلاثة عشر سلطاناً هم على التوالي: السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢هـ - ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ - ١٤٥٣) والسلطان المنصور عثمان الذي حكم أربعين يوماً خلال سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م والسلطان الأشرف أينال (٨٥٧هـ - ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ - ١٤٦٠م) ثم خلع فجاء بعده السلطان الظاهر سيف الدين خشقدم (٨٦٥هـ - ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ - ١٤٦٧م) فجاء بعده السلطان الظاهر سيف الدين يلباي الذي حكم شهرين في سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م. فلما خلع جاء بعده السلطان الظاهر أبو سعيد تمربغا الذي حكم خلال العام نفسه مدة شهرين أيضاً ثم خلع فتولى السلطنة بعده السلطان الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٢هـ - ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ - ١٤٩٥م) ثم تسلطن السلطان الناصر محمد بن قايتباي (٩٠١هـ - ٩٠٤هـ/ ١٤٩٦ - ١٤٩٨م) فلما قُتل تسلم الحكم بعده السلطان الأشرف جان بلاط (٩٠٥هـ - ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٠١م) ثم خلفه وتولى السلطنة بعده العادل طومانباي خلال سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) وآخر سلطان عاصره عبد الباسط بن خليل هو السلطان الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/ ١٩٠١ - ١٥١٦م).

---

[1] **الجراكسة:** أطلقت على هذا العنصر تسمية الجراكسة أو الشراكسة نسبة إلى البلاد التي جلبوا منها إلى مصر وهي بلاد الشركس التي تقع شمال بحر قزوين في القسم الشمالي الغربي من القوقاز وقسم من الشاطئ الغربي من البحر الأسود. ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٣٢٦. كما عرفت هذه الدولة بدولة المماليك البرجية نسبة إلى محال سكناهم في أبراج القلعة بالقاهرة.، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٩/ ج١/ ص٥٧؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢/ ص٢٤١؛ إبراهيم علي طرخان، مصرفي عصر المماليك الجراكسة، ص٨.

أما الخلفاء العباسيون في مصر فقد عاصر منهم ستة خلفاء وهم المعتضد بالله داود (٨١٥ – ٨٤٥هـ/ ١٤١٢ – ١٤٤١م) والمستكفي بالله سليمان (٨٤٥ – ٨٥٥هـ/ ١٤٤١ – ١٤٥١م) والقائم بالله حمزة (٨٥٥ – ٨٥٩هـ/ ١٤٥١ – ١٤٥٥م) والمستنجد بالله يوسف (٨٥٩ – ٨٨٤هـ/ ١٤٥٥ – ١٤٧٩م) والمتوكل بالله عبد العزيز (٨٨٤ – ٩٠٣هـ/ ١٤٧٩ – ١٤٩٧م) والمستمسك بالله يعقوب (٩٠٣ – ٩٢٢هـ/ ١٤٩٧ – ١٥١٦م). ومن الجدير بالذكر أن منصب الخلافة في عصر الشراكسه كان منصباً اسماً ليس فيه للخلفاء أي سلطة فعلية ، وهذا الحال كان موجوداً منذ عصر دولة المماليك البحرية الذين كانوا قد أحيوا الخلافة العباسية في مصر عام (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)[١]. ولم يكن للخلفاء العباسيين إلاّ الحضور عند تولية سلطان مملوكي جديد فيعقدون له البيعة ويفوّضون إليه إدارة البلاد. كما قد يقومون بترشيح القضاة لمنصب القضاء وقد يحضرون أحياناً المجالس التي يعقدها السلطان المملوكي لبحث القضايا العاجلة التي تحتاج إلى تدابير سريعة[٢]. ومع ذلك فإن الخلافة العباسية في مصر تميزت بأهمية كبيرة من الناحية المعنوية وكان الخليفة يتمتع باحترام الجميع[٣].

ولقد انتهت هذه الخلافة بزوال دولة المماليك الجراكسة سنة (٩٢٣هـ/ ١٥٤٣م) أي بعد ثلاث سنوات من وفاة المؤرخ عبد الباسط بن خليل الظاهري. وكانت هذه الدولة قد شملت بنفوذها منطقة واسعة تمتد من مصر إلى بلاد النوبة وبلاد الشام وقسم من الحجاز[٤].

وفي المدة التي عاشها المؤرخ عبد الباسط بن خليل والبالغة ستة وسبعين سنةً شهدت الأوضاع الداخلية للدولة الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية وغيرها ففي

---

[١] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٣/ ص٢١٥؛ حامد زيان غانم، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك، ص١٠.

[٢] القلقشندي، حج الأعشى، ج٣/ ص٢٧؛ بثينة رشيد الدباغ، الخلافة العباسية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٨١.

[٣] السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص٩٤؛ فاطمة زبار عنيزان، السخاوي وكتابة الضوء اللامع، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص١١ –١٢.

[٤] حكيم أمين السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص١٥٥ – ١٥٦.

عهد السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) وهو أول السلاطين الجراكسه الذين عاصرهم المؤلف وقعت بعض الأحداث منها حدوث الحركات المعادية لحكمه في بلاد الشام ولاسيما في دمشق وحلب حيث خرج قسم من الأمراء عن طاعته وقد نجح هذا السلطان في القضاء على هذه الحركات فهدأت الأوضاع في بلاد الشام ومصر[١].

ويعتبر عهد السلطان جقمق من أفضل العهود في دولة الجراكسه نتيجة لما ساده من سِلم في الداخل لاسيما بعد نجاح السلطان في القضاء على تلك الحركات وقد تراجعت في عهده أحداث القتل والتعذيب الذي اشتهر فيها عصر المماليك الجراكسه[٢]. وشهد عهد هذا السلطان أيضاً حدث عسكري مهم على الصعيد الخارجي حيث بعث حملة لغزو جزيرة رودس (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م) لكن هذه الحملة فشلت. ومن الأحداث التي شهدتها مصر في عهده هو انتشار مرض الطاعون الذي حصد الآلاف من المصريين وذلك في عامي (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) و(٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)[٣] ويلاحظ القارئ زيادة كبيرة في عدد الوفيات الذين ذكرهم المؤرخ عبد الباسط في هذين العامين ولاسيما سنة (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)[٤].

وعلى صعيد السياسة الخارجية كانت هناك علاقات سلمية بين دولة المماليك الجراكسه والعثمانيين وأهم مظاهر هذه العلاقة هو تبادل الرسل والسفراء الذين يحملون الهدايا لكلا الطرفين[٥]. كما وصل إلى القاهرة في هذه الفترة رسل من بعض الدول المعاصرة لدولة المماليك الشراكسه ففي سنة (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) وصل رسول من صاحب أذربيجان الذي استقبل استقبالاً حافلاً[٦].

---

[١] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١/ ص١٥٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص١٧٤.

[٢] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر والشام، ص٤٦٠.

[٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٣٨٧.

[٤] ينظر: نيل الأمل، ج٥/ ص٢٦٧ فما بعد.

[٥] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١/ ص١٢٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤/ ص٣٢٤؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص٢٨٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٢٧٤.

[٦] السخاوي، التبر المسبوك، ص٣٤٥؛ عبد الباسط الظاهري،المصدر نفسه، ج٥/ ص٣٣٢.

ويعد فتح القسطنطينية أبرز الأحداث التي وقعت في عهد السلطان أشرف اينال (٨٥٧ – ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ – ١٤٦٠م) حيث وصل الى القاهرة رسول من السلطان العثماني محمد الفاتح في سنة (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) يبشر المماليك بفتح تلك المدينة[١]. وقال عبد الباسط في هذه المناسبة: ((**فتباشر الناس بهذه البشارة وزينت القاهرة زينة عامة هائلة حافلة**))[٢] كما استمرت العلاقات السياسية السلمية بين المماليك والعثمانيين عن طريق تبادل السفراء[٣].

وعلى الصعيد الداخلي شهد عهد الأشرف اينال عدة أحداث منها الثورات والحركات المتكررة للماليك الجلبان[٤]والتي غالباً ما يكون سببها المطالبة بزيادة مرتباتهم النقدية والعينية[٥]. وقد ازداد عبث هؤلاء حتى نزلوا إلى أزقة القاهرة يسرقون ثياب الناس ودوابهم[٦] ولم يتمكن السلطان من فعل شيء لهؤلاء الجلبان سوى إعطاءهم ما يريدون من زيادة في الرواتب غير أن ذلك لم يزدهم إلاّ عناداً وإصراراً.ومن الأحداث الداخلية الأخرى في عهد هذا السلطان هو انتشار الطاعون في القاهرة والزلزال الذي ضربها أيضاً وذلك سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م)[٧]. وفي سنة

---

[١] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢/ ص٤٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٣١٦.

[٢] نيل الأمل، ج٥/ ص٤٠٧.

[٣] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢/ ص٤٥٦؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص٤١٠ – ٤٥٨.

[٤] **المماليك الجلبان:** وهي فرقة من المماليك يشتري السلطان المملوكي أفرادها ، وكان التجار في عصر المماليك البحرية يجلبونهم صغاراً إلى مصر فلما كانت دولة المماليك الشراكسه صار هؤلاء يجلبون كباراً، ومن هؤلاء الأجلاب يختار السلطان مماليكه الخاصين به الذين أطلق عليهم اسم المماليك الخاصكيه وقد لعب هؤلاء الأجلاب دوراً سلبياً في العقود الأخيرة من دولة المماليك الجراكسه تمثل بكثرة حركاتهم التي سميت عند بعض المؤرخين بفساد الجلبان. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢/ ص٢١٢ – ٢١٣؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧ / ص٨١،ج٨ص١٥٦ ؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٢ – ٦٦.

[٥] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٨٤.

[٦] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢/ ص٢٥٧.

[٧] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص٤٣٤ – ٤٣٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٣٢٣.

(٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م) وقعت الحرائق المتعددة في مدينتي القاهرة وبولاق مما أدى إلى خسائر كبيرة ونتج عنه أيضاً القيام بإجراءات ضد الأجانب الموجودين في القاهرة حيث تم طردهم منها[١]. وقد وصف عبد الباسط إجراء السلطة هذا قائلا: **((وما تحققنا السبب أصلاً إلى يومنا هذا))**[٢]. وفي سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م حدث في القاهرة الطاعون وقد ازدادت الوفيات بسببه حتى تعطلت أحوال الناس وترافق مع هذا الوباء غلاء الأسعار[٣] وقد وصف عبد الباسط هذا الطاعون بقوله: **((... ومن غرائب هذا الطاعون أنه قل من طعن فيه وسلم حتى قيل أنه لم يسلم في الألف واحد وبلغ عدد الموتى في هذه الأيام من هذا الشهر – أي جمادى الآخرة – إلى نحو الخمسة آلاف هذا في القاهرة فقط...))**[٤].ومن الأحداث المهمة في عهد السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ – ١٤٦٧م) هو إرسال حملة عسكرية إلى جزيرة قبرص[٥]. هذا على الصعيد الخارجي أما على الصعيد الداخلي فقد شهد عهده عدد من الثورات التي قام بها العرب في عدّة مناطق في مصر وقيام السلطان بإرسال عدة حملات لقمع هذه الثورات في الأعوام (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م)، (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م)، (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) و(٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م)[٦]. وقد وصف عبد الباسط القائمين بهذه الحركات والثورات وهو من معاصريها بالمفسدين مما يعني أنه كان ضدها[٧].

لقد شهدت سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) توالي السلاطين على حكم مصر ففي هذا العام انتهى حكم السلطان الظاهر يلباي والسلطان الظاهر تمربغا بواقع شهرين لكل

---

[١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص١٢٤؛ عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص٤١.

[٢] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤١.

[٣] ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٣٥٩.

[٤] نيل الأمل، ج٦/ ص٨٠.

[٥] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦/ ص٢٦٩.

[٦] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج١٦/ ص٢٨٦؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٢١٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٤٠٤.

[٧] المصدر نفسه، ج٦/ ص٢١٥.

منهما ثم تم خلعهما. وكان عبد الباسط قد عاد قبل عام فقط من رحلته الطويلة من المغرب والأندلس والتي استمرت لبضع سنين فكان شاهداً على هذه الأحداث السياسية.

وشهد عهد السلطان الأشرف قايتباي الذي استمر حتى سنة (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) عودة الطاعون إلى مصر وقد ضرب عدّة مدن أهمها القاهرة والإسكندرية حيث أدّى إلى وفاة الكثير من الناس[١]. كما شهد عهد هذا السلطان ارتفاعا في أسعار السلع والغلال الزراعية سواء كان ذلك في مصر أم بلاد الشام[٢]. وقد عانى الناس ولاسيما في القاهرة من غلاء الأسعار كثيراً[٣]، ففي أحداث سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) أشار الصيرفي إلى مدى تردي الأوضاع المعيشية للناس في مصر حيث قال أن الناس أصبحوا على ثلاثة مراتب وهم: الغني الذي افتقر، والمتكسب الذي لم يعد يحصل على ما ينفقه، والفقير الذي كان يستجدي الرغيف فأصبح يطلب اللقمة فلا يجدها[٤].وقد حاولت السلطة المملوكية متمثلة بالسلطان قايتباي التخفيف من وطأة الغلاء عن طريق تخفيض الأسعار وإلغاء عدد من الضرائب[٥]. كما حدث في عهده أيضاً حركات الجلبان الذين كانوا يطالبون دوماً بزيادة رواتبهم في وقت كانت فيه الخزينة تعاني من العجز[٦] ولم يستطع السلطان أن يفعل شيئاً لردعهم سوى التهديد بترك السلطنة شاغرة[٧]. وظلت مشكلة هذا السلطان مع الجلبان تتفاعل باستمرار عاما بعد عام حتى عجز عن إصلاح الأوضاع فزهد في الحكم ثم مرض عام (٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) فعهد إلى ابنه محمد بالسلطنة وهو على فراش الموت فتلقب

---

[١] الصيرفي، إنباء الهصر/ ص١٢؛ عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه ، ج٦/ ص٣٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص٢٨.

[٢] الصيرفي، المصدر نفسه، ص٣٢.

[٣] ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص٢٥.

[٤] الصيرفي، إنباء الهصر، ص١٨٨.

[٥] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٤١٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص٤٣ – ٤٥.

[٦] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل ، ج٧/ ص٨٣، ج٨/ ص٥٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣/ ص٩٢.

[٧] ابن إياس، المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٦.

السلطان الجديد بلقب السلطان الناصر[١]. وقد شهدت البلاد في عهده حالة من عدم الاستقرار بسبب ضعفه ولهوه.

لقد ذكر ابن العماد الحنبلي عن السلطان الناصر أخبارا غريبة تشير إلى قبح سيرته وارتكابه الفواحش أدّت في نهاية المطاف إلى قتله شر قتلة[٢].

ومن السلاطين البارزين الذين عاصرهم عبد الباسط هو السلطان قانصوه الغوري[٣] الذي حكم فترة طويلة نسبياً تمتد من سنة (٩٠٦هـ – ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ – ١٥١٦م) وهو آخر سلطان عاصره المؤرخ وقد ذكر الغزي نصاً يوضح فيه سياسة هذا السلطان الداخلية حيث قال: **((ولما تسلطن أخذ يتتبع رؤوس الأمراء وذوي الشوكة فيقتلهم شيئاً فشيئاً ثم فشى ظلمه ومصادرته للناس في أموالهم))**[٤].

وفي عهده حدث الصراع بين الصفويين والعثمانيين فتدخل قانصوه الغوري للتوسط بينهما وأرسل رسولا إلى السلطان العثماني سليم الأول[٥] (٩١٩ – ٩٢٨هـ/ ١٥١٣ – ١٥٢١م) غير أن هذا الأخير أهان هذا الرسول وحمله رسالة شفهية إلى السلطان قانصوه الغوري مفادها أنه يعتبر الشاه إسماعيل الصفوي(٦) (٩٠٧ – ٩٣٠هـ/ ١٥٠١ –

---

[١] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٣٢؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤٧١.

[٢] شذرات الذهب، ج٨/ ص٢٣.

[٣] **قانصوه الغوري:** هو قانصوه بن عبد الله الجركسي السلطان الملك الأشرف المشهور بالغوري نسبة إلى طبقة الغور هي إحدى الطبقات التي كانت يمر بها صغار المماليك في مرحلة تعليم القرآن الكريم في عصر دولة المماليك. الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص٢٩٥.

[٤] المصدر نفسه، ج١/ ص٢٩٦.

[٥] **سليم الأول:** هو السلطان سليم بن أبي يزيد عثمان بن محمد بن مراد سلطان العثمانيين ولد سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م وتولى السلطنة العثمانية سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م حتى سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م وكان ملكاً جباراً أكثر من سفك الدماء واهتم كثيراً بالتجسس على الملوك ورعيته نظم شعرا بالفارسية واليونانية والعربية وهو الذي انتهت على يديه دولة المماليك الشراكسه سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م حيث قبض على آخر سلطان مملوكي هو طومان باي (٩٢٢ – ٩٢٣هـ/ ١٥١٦ – ١٥١٧م) وصلبه وعلقه على أحد أبواب القاهرة. الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص٢٠٩ – ٢١١؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨/ ص١٤٤.

[٦] **إسماعيل الصفوي:** هو أبو المظفر إسماعيل بن حيدر الهادي الولي المشهور بالشاه إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة الصفوية في إيران ولد سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م وتوفّى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م بمرض السل وكان عمره حينئذ سبعة وثلاثين عاماً؛ بديع محمد جمعة الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص٢٠؛ طالب محيبس الوائلي، الصفويون من الطريقة الصوفية حتى تأسيس الدولة، ص١٣٠.

١٥٢٣م) وقانصوه الغوري عدوين له وأنه سيقاتل سلطان المماليك قبل الشاه الصفوي[١]. وهذا ما فعله سليم الأول حيث هاجم أملاك دولة الجراكسه وأخذ بضمها شيئاً فشيئاً حتى هزمهم هزيمة شنعاء في معركة مرج دابق[٢] سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) ومات قانصوه الغوري في أرض المعركة بعد أن غُشي عليه حينما سقط من فرسه[٣].

ومن الناحية الفكرية فقد شهد العصر الذي عاش فيه عبد الباسط بن خليل الظاهري حركة فكرية شارك فيها الكثير من العلماء في شتى العلوم والمعارف وكان من أبرز مظاهر هذه الحركة ظهور المدارس الكثيرة في هذا العصر[٤]. ومن بين هذه المدارس التي كانت على عهد عبد الباسط الظاهري في مصر مشيخة دار الحديث في مدرسة الاستادار[٥]، وتسمى بالمدرسة الاستادارية[٦] التي كان المحدث والمؤرخ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) أشهر أساتذتها ومن المدارس الأخرى المدرسة الجمالية[٧] التي كانت يدرس فيها التفسير والحديث الشريف[٨].

---

[١] الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص٢٩٧.

[٢] **مرج دابق:** قرية من أعمال عزار بينها وبين حلب أربعة فراسخ لها مرج معشب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٤١٦ وجعلها ابن كثير من أعمال مدينة حلب. ينظر، البداية والنهاية، ج٩/ ص٢٠٧.

[٣] الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص٢٩٧ – ١٩٨؛ ابن زنبل، آخرة المماليك، ص١٠٣.

[٤] لقد ذكر المقريزي الكثير من هذه المدارس. ينظر: كتابه المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٢٣٠ فما بعد.

[٥] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص٣٨.

[٦] **المدرسة الاستادارية:** بناها في القاهرة الأمير جمال الدين الاستادار سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م وكانت على أحسن بناء نقل إليها الكتب وعين فيها المدرسين وأجرى عليهم رواتب شهرية ومنح الطلبة مسكن وملبس. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٢٦١.

[٧] **المدرسة الجمالية:** إحدى مدارس القاهرة المشهورة بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي سكنها كبار الفقهاء الحنفية وكان بانيها قد أوقفها على أتباع التدريس الحنفي. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٢٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩/ ص٢٩٦؛ البصروي، تاريخ البصروي، ج١/ ص٨٣.

[٨] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص٢٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٢٦٥.

وهناك مدرسة الجاي[1] وكذلك مدرسة البدر العيني التي كانت تضم أوقافا عديدة وهذه المدرسة بناها المؤرخ بدر الدين العيني درست فيها علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[2]. وفضلاً عن هذه المدارس وغيرها هناك العشرات من المساجد والجوامع والزوايا التي كانت تقوم أيضاً بدورها العلمي[3].

وقد عاصر عبد الباسط في بداية حياته كبار المؤرخين الذين ظهروا في مصر ومنهم بدر الدين العيني محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) صاحب كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان وكتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر[4] وقد وصفه عبد الباسط بأنه: ((**كان عالماً فاضلاً فقيهاً بارعاً محدثاً عارفاً بكثير من الفنون ماهرا في النحو والصرف**))[5].ومن المؤرخين المصريين الذين عاصرهم المؤرخ جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي المتوفي سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)[6] وهو أحد أصحاب عبد الباسط[7] وقد صنف هذا المؤرخ عدّة مؤلفات منها: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي وحوادث الدهور على مدى الأيام والشهور[8].

---

[1] **مدرسة ألجاي**: تقع هذه المدرسة في القاهرة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل أنشأها الأمير سيف الدين ألجاي بن عبد الله اليوسفي سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م وجعلها لتدريس الفقه ووضع فيها مكتبة عامرة بالكتب. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٢٥٧.

[2] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٢٣٨.

[3] ذكر المقريزي الكثير من الجوامع والمساجد والزوايا. ينظر: كتاب المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٦٦ فما بعد.

[4] ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢/ ص٧٢١ – ٧٢٢؛ السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص١٧٤ – ١٧٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٢٩٣.

[5] نيل الأمل، ج٥/ ص٣٤٦.

[6] السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٣٠٥ – ٣٠٨؛ ابن إياس، بدائع الدزهور، ج٣/ ص٤٥؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢/ ص٣٥١.

[7] نيل الأمل، ج٦/ ص٤١٥.

[8] البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢/ ص١٩؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج١٣/ ص٢٨٢ – ٢٨٣؛ شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص١٦٩ – ١٧٢.

ومن مشاهير المؤرخين في عصره محيي الدين الكافيجي (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) والذي قال عنه تلميذه عبد الباسط أنه كان من أئمة علماء اللغة العربية[١]. والكافيجي مؤلف كتاب مختصر في علم التاريخ[٢].

كما شهد عصر المؤلف ظهور المؤرخ المصري شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) صاحب كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ[٣] وهو أحد شيوخ المؤلف أيضاً .وقد بلغت مؤلفاته أكثر من مئة وخمسين كتاباً[٤]. وشكّل المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) قمة في الإنتاج الفكري من حيث تنوع المجالات العلمية التي ألّف فيها وكثرة أعداد المؤلفات التي دونها حيث ألّف في علوم القرآن وعلوم الحديث النبوي الشريف واللغة والأدب والتاريخ أكثر من خمسمائة كتاب[٥]، ومن أشهر مؤلفاته في التاريخ (تاريخ الخلفاء، والشماريخ في علم التاريخ)[٦].

وعلى الرغم من عدم الاستقرار السياسي الذي شهدته أغلب عهود السلاطين الذين عاصرهم المؤرخ لكن بعض هؤلاء السلاطين كانت لهم مشاركة في الحياة الفكرية ومن هؤلاء السلطان الظاهر جقمق الذي كان ملماً ببعض العلوم مترددا إلى العلماء[٧]. والسلطان الظاهر تمربغا الذي حكم أثناء سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) والذي قال عنه السخاوي: **((كان ملكاً لائقاً فقيهاً فاضلاً يحفظ الشعر ويستحضر كثيراً**

---

(١) نيل الأمل، ج٧/ ص١٠٥.

(٢) البغدادي، هدية العارفين، ج٢/ ص٢٠٨؛ فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ص٣٢٠ – ٣٢١.

(٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ص١٧٨؛ البغدادي، هدية العارفين، ج٢/ ص٢١٩.

(٤) فاطمة زبار عنيزان، السخاوي وكتاب الضوء اللامع، رسالة دكتوراه كلية الآداب / جامعة بغداد ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٥٥، ٧٢.

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨/ ص٥٣؛ عبير عبد الرزاق إبراهيم، جلال الدين السيوطي ومنهجه في كتابه بغية الوعاة، ص٣٢.

(٦) عبير عبد الرزاق إبراهيم، المرجع نفسه، ص٣٦ – ٣٧.

(٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٧٢.

من المسائل الفقهية مع مشاركة حسنة في فنون عدّة كالتاريخ والشعر ...))[١].

ويعتبر السلطان الملك الأشرف برسباي من أشهر السلاطين المماليك الذين اهتموا بعقد المجالس العلمية قال عنه ابن تغري بردي: **((كان يحب الاستماع إلى العيني – أي المؤرخ بدر الدين العيني – في مجلسه وهو يقرأ عليه التاريخ التركي وقصصه باللغة العربية ثم يفسر له ذلك لمعرفة العيني بكلتا اللغتين))**[٢]. كما قام قسم من هؤلاء السلاطين بإنشاء المدارس والمساجد[٣].

وكان لابد لهذا النشاط العلمي والاهتمام به من قبل عدد من الحكام المماليك وبروز الكثير من العلماء أن يكون له تأثير على مؤرخنا عبد الباسط لأنه عاش في وسطه ونهل من مصادره وتأثر به ثم أصبح مشاركاً فيه عن طريق مؤلفاته التي سنذكرها لاحقاً.

ولم تقتصر المشاركة في الحركة الفكرية في مصر أثناء هذه الفترة الزمنية على الرجال فقط بل كان هناك نصيب للنساء ولاسيما في مجال الحديث النبوي الشريف فمن بين السيدات اللاتي كان لهن أثر واضح في الحياة العلمية أم عبد الله ست التجار بنت محمد بن محمد بن حسين بن مسلم المصري كان أبوها تاجرا درست علوم الحديث النبوي الشريف وأجاز لها بعض العلماء توفيت سنة (٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م)[٤] ومن اللاتي شاركن في الحياة العلمية بنت أخت المؤرخ ابن حجر العسقلاني المسماة فوز بنت محمد بن عمر الخروبي أجاز لها خالها ابن حجر برواية الحديث النبوي الشريف توفيت سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م[٥]. وزينب ابنة محب الدين محمد بن محمد قال السخاوي أنه التقاها وسمع عليها الأحاديث النبوية ووصفها بأنها صالحة خيرة من بيت علم توفيت سنة (٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)[٦]. ورجب

---

[١] المصدر نفسه، ج٣/ ص٤١.

[٢] النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٩ – ١٠.

[٣] سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في الأيوبيين والمماليك، ص٧٤، ٢٨٠.

[٤] البقاعي، عنوان الزمان ، ج٢/ ص١٥١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢/ ص١٦.

[٥] البقاعي، المصدر نفسه، ج٤/ ص١٤٢.

[٦] السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢/ ص٥٧.

ابنة شهاب الدين أحمد بن محمد الحنفي سمعت بعض المؤلفات على جدتها وحدثت هي أيضاً بعدد من الأحاديث النبوية وكان السخاوي أحد تلامذتها توفيت سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م[١]. وزينب بنت كمال الدين محمد بن الناصر محمد بن محمد بن عثمان البارزي كانت قارئة للقرآن مطالعة لكتب الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية توفيت سنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)[٢]. وستيتة ابنة زين الدين محمد بن محمد بن عبد العزيز المتوفاة سنة (٦٧٩هـ/ ١٤٧٤م) تتلمذت على يد والدها في الحديث النبوي الشريف ويعد السخاوي من تلامذتها أيضاً حيث قال أنها أجازت له في الحديث النبوي الشريف[٣] ورابعة ابنة داود بن علي الكيلاني المتوفاة سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٩٦م) شاركت في علوم الحديث أيضاً[٤]. ومن نساء عصره المصريات العابدة قارئة القرآن فرح بنت الأمير يشبك الدوادار توفيت سنة (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)[٥].

هذه هي ملامح العصر الذي عاش أثناءه مؤرخنا عبد الباسط من الناحيتين السياسية والفكرية فكان لابد لذلك من أثر عليه فمن الناحية السياسية نجده تأثر بعدد من الأحداث ودونها وطرح رأيه فيها وأحياناً لا يكتم مشاعره اتجاهها.أما من الناحية الفكرية فإن لظهور الكثير من المفكرين والعلماء في عصره ودراسته عليهم ومصاحبته لقسم منهم أثر في بناء شخصيته العلمية إذ جعلته أحد أعلام عصره.

---

[١] المصدر نفسه، ج١٢/ ص٣٤.

[٢] المصدر نفسه، ج١٢/ ص٤٩.

[٣] المصدر نفسه، ج١٢/ ص٦٠.

[٤] المصدر نفسه ، ج١٢/ ص٣٤.

[٥] الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ٢٤٩.

المبحث الثاني:اسم المؤرخ ونسبته وشهرته.

هو عبد الباسط بن خليل بن شاهين[1]. ولا تزيد المصادر على ذلك حينما تذكر اسمه الكامل أي سلسلة نسبه ويعود ذلك إلى أن هذا المؤرخ ينتمي إلى مجموعة المؤرخين المماليك مثل بيبرس الدوادار (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) والصفدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) وابن اياس (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) الذي لا ترد لهم في مصادرنا سلسلة نسب كاملة كبقية المؤرخين الذين ينتسبون إلى أصول عربية وتقف المصادر في سلسلة نسبه عند جده شاهين الذي يبدو أنه جلب إلى مصر صغيراً حاله في ذلك حال المماليك الذين جلبهم التجار من بلدان مختلفة ثم تربوا تربية خاصة إلى أن كبروا فعملوا أما في الجيش أو الإدارة المملوكية[2]. وكان المملوك حينما يتم شراءه صغير ينسب إلى التاجر الذي جلبه إلى مصر أو إلى الأمير الذي عاش في ظله ودربه تدريباً عسكرياً حيث يسمى الأمير في هذه الحالة بالأستاذ وهو السيد الذي يكون في خدمته مملوك من المماليك[3]. ومن الأمثلة على ذلك جده شاهين الذي قال عنه المؤرخ شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) أنه ينسب إلى الأمير شيخ الصفوي[4] لذلك عرف بالشيخي الصفوي[5].كما أن المؤرخ عبد الباسط بن شاهين نفسه حينما ترجم لجده لم يذكر في سلسلة نسبه سوى قوله: **((مات الجد شاهين الشيخي الصفوي))**[6]. ويفهم من ذلك أن جده شاهين هو أول مَن جُلب إلى مصر من هذه العائلة ولهذا لم يعرف اسم والده بل اقتصر على ذكر اسمه فقط أي شاهين.

---

[1] السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٩٤.

[2] العريني، المماليك، ص٢٥٤ – ٢٥٧.

[3] العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ص٣٢١؛ العريني، المماليك، ص٢٠٧ – ٢٠٨.

[4] **شيخ الصفوي**: يعرف أيضا بشيخ الخاصكي أحد الأمراء في عهد السلطان الظاهر برقوق تولى نيابة غزه لكنه استعفى منها بعد يوم واحد وذهب إلى القدس، وكان سخياً له معرفة ببعض العلوم. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٣٠٣.

[5] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٥.

[6] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٦.

وكـان بعـض المماليـك الـذين يـتم جلـبهم صـغاراً ويكبـرون ويشـتهرون فيمـا بعـد يسمون باسم متفق عليه بين مؤرخي العصر المملوكي هو عبد الله فيقال فلان بن عبد الله لعدم معرفة اسم أبيه[1]. لكن جد المؤلف لم يسم بذلك بل ألحقت باسمه مباشرةً النسبة إلى الأمير الذي تربى عنده وهي الشيخي الصفوي. وذكرت بعض المصادر اللقب الذي اشتهر به هذا المؤرخ وهو زين الدين[2] وقد لقب بهذا اللقب كغيره من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية والعلمية سواء كانت ذلك في عصر الممالك أو في العصور الإسلامية الأخرى، مثل المؤرخ العراقي المعروف ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الذي كان يلقب بعز الدين[3] والمؤرخ الدمشقي الشهير الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م) الـذي لقـب شـمس الـدين[4] والمـؤرخ المصـري ابـن حجـر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) الذي لقب بشهاب الدين[5].

أمـا العنصـر الـذي انتمـى إليـه المـؤرخ فلـم يـذكره سـواه وذلـك حينمـا تـرجم لجـده قائلا: ((**ويقال أنه تتري الأصل مسلم من مدينـة سراي**))[6]. ويظهر أن تعبير يقال الوارد في النص دليل على عدم تأكيد عبد الباسط أصل جده التتري. أما المصادر التي ترجمت له فلم تذكر شيئاً عن أصل العنصر الذي ينتمي إليه ولكن يفهم من العبارة التي ذكرها ابن إياس (ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)[7] إن أصله ربما كان تركياً حيث قال في ترجمة عبد الباسط: ((**وكان عارفاً باللغة التركية**)). والجدير بالذكر أن هناك أكثر من نسبة وردت للمؤرخ منها ما ذكره السخاوي **بقوله((عبد الباسط بن خليل بن**

---

[1] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٤٣ – ٤٤؛ العريني، المماليك، ص٢٠٧.

[2] ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٣٩٤؛ الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٢٧٠.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ ص١٥٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ص١١٥.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤/ ص١٩٠؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١/ ص٤٤١.

[5] السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٤١.

[6] عمر عبد السلام تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٧ ؛ نقلاً عن كتاب الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٢٩ب.

[7] بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٩٤.

شاهين الشيخي الأصل الملطي[١] **ثم القاهري))**[٢]. فالنسبة الأولى وهي الشيخي تعود إلى الأمير شيخ الصفوي وهو الأمير الذي نشأ جد المؤرخ عنده فنسب إليه، وعرف عبد الباسط وأبيه بهذه النسبة أيضا.

أما نسبة الملطي فنسبة إلى المدينة التي ولد ونشأ فيها وهي مدينة ملطية[٣].أما نسبة القاهري فتعود إلى استقراره في العاصمة المملوكية معظم حياته. وبالرجوع إلى مؤرخنا فإنه يورد في ترجمة والده (ت٨٧٣هـ/ ١٣٦٨م) أكثر من نسبة مثل: الشيخي الصفوي الظاهري[٤]. وذكر له ابن إياس نسبة الصفوي التي ترجع إلى الأمير شيخ الصفوي[٥] . وذكرت له نسبة الحنفي[٦]، التي تعود إلى المذهب الحنفي الذي كان عليه عبد الباسط وهو المذهب الذي كان عليه جده وأبيه من قبله[٧].أما نسبة الظاهري فقد أخذها من أبيه الذي كان ينسب إلى السلطان المملوكي الظاهري برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ – ١٣٩٨م) لعلاقته الوطيدة به ولكونه أحد أمراء هذا السلطان المقربين[٨]. وانفرد إسماعيل باشا البغدادي بذكر نسبة أخرى له هي المصري[٩].

---

[١] **ملطية**: مدينة بناها الإسكندر المقدوني وتعد إحدى مدن بلاد الروم متاخمة لبلاد الشام وداخلة ضمن أملاك المسلمين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم المؤلفين، ج٥/ ص٢٩٢؛ وكانت هذه المدينة في العصر المملوكي إحدى نيابات الدولة المملوكية لها حاكم يرتبط بالسلطان. ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف المماليك، ص١٣٥.

[٢] السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٧؛ الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٢٧٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٥/ ص٦٨.

[٤] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٥.

[٥] بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٩٤.

[٦] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧٧؛ ابن إياس، المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٩٤.

[٧] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٥٥.

[٨] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥؛ عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٧٩ نقلاً عن عمر عبد السلام تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل لعبد الباسط الظاهري، ج١/ ص٨.

[٩] إيضاح المكنون، ج٤/ ص١٣٩.

أما شهرته فقد عرف عند أصحاب الكتب التي دونت أخبار المؤلفين ومؤلفاتهم بشهرتين الأولى هي الملطي نسبة إلى المدينة التي ولد فيها وهذهِ الشهرة ذكرها مترجموه بعد اسمه مباشرةً[١].

أما الشهرة الثانية فهي شهرة (ابن الوزير) نسبة إلى منصب الوزارة الذي تسلمه والده في دولة المماليك – كما سنرى لاحقاً – وقد ذكرت هذه الشهرة بعدّة صيغ منها ما ذكره إسماعيل باشا البغدادي، الذي قال بعد ذكره لاسمه الكامل ما نصه: **(المعروف بابن الوزير الحنفي)**[٢] وذكره في كتاب آخر له بشهرة ابن الوزير الملطي[٣]. وجاء عند كحالة بشهرة عبد الباسط ابن الوزير ثم كرر قائلاً بعد ذكر اسمه ونسبته عبارة **(الشهير بابن الوزير)**[٤] وعلى هذا المنوال جعل شاكر مصطفى شهرته **(ابن الوزير الحنفي)**[٥].

ويظهر أن نسبة الملطي وشهرة ابن الوزير التي ذكرها له هؤلاء المؤلفون جاءت للتمييز بينه وبين أبيه المؤرخ الذي عرف بابن شاهين الظاهري ودفعاً للخلط الذي قد يقع فيما لو عرفا بالشهرة ذاتها. ومع ذلك يمكن أن يتم التمييز بين الاثنين بأن يقال ابن شاهين الأب وابن شاهين الابن، أو أن يقال خليل بن شاهين بالنسبة للأب وعبد الباسط بن شاهين بالنسبة للابن، أو ابن شاهين الظاهري لأبيه وعبد الباسط الظاهري له.

---

[١] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢/ ص١٦٠٤؛ الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٧٠٣.

[٢] إيضاح المكنون، ج٤/ ص١٣٩.

[٣] هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤.

[٤] معجم المؤلفين، ج٥/ ص٦٨.

[٥] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٤.

المبحث الثالث: ولادته وأسرته:

اتفقت معظم المصادر والمراجع التي ترجمت للمؤرخ عبد الباسط بن شاهين على أنه ولد عام (٨٤٤/ ١٤٤٠م)[١] ولم يخالف هذا الاتفاق سوى شاكر مصطفى الذي قال أنه ولد عام (٨٤١/ ١٤٣٧م)[٢] وربما كان ذلك خطأ مطبعي وأضاف شمس الدين السخاوي الذي يعد معاصراً للمؤرخ إلى أن ولادته في شهر رجب من عام ٨٤٤هـ فحدد بذلك تاريخ ولادته بدقة[٣].وبالنسبة لمكان ولادته فقد أشار عبد الباسط إلى ذلك حينما ذكر خبر تولي والده نيابة مدينة ملطية بقوله: **((وبها كان مولدي))**[٤].

وبعد أن عرفنا بالمؤرخ وذكرنا تاريخ ولادته لابد أن نتعرف على الأسرة التي ينتمي إليها ونبدأ بجده لأبيه حيث أنه أول مَن عُرف من بين أفراد هذه الأسرة فهو شاهين الشيخي نسبة إلى الأمير شيخ الصفوي الذي مر التعريف به ولم يزد السخاوي ولا عبد الباسط بن خليل الذي ترجم لجده على ذلك شيء[٥]. ويبدو أن شاهين أول مَن تم جلبه من هذه الأسرة إلى مصر وهو صغير على عادة التجار الذين كانوا يشترون صغار المماليك ويجلبونهم إلى الدولة المملوكية كما ذكرنا سابقاً.وقد اعتلى شاهين عدّة وظائف منها ناظر القدس[٦] ونيابتها وشادية

---

[١] السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٩٤؛ المرعشي ، شرح إحقاق الحق ،ج٢٢/ص٥٥٢ كحالة، معجم المؤلفين، ج٥/ ص٦٨؛ الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٢٧٠.

[٢] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٤.

[٣] الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧.

[٤] الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٣٠ نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص١٤.

[٥] الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٩٥؛ نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٦.

[٦] **نظر القدس:** وهو منصب يقوم صاحبه مقام الوزير في الديار المصرية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١٩٥؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٥٠.

القمامـة[1] ببيـت المقـدس التـي فيهـا رزق بابنـه خليـل والـد المـؤرخ سـنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م. وقد تولى نيابة القدس أثناء عهد السلطان المؤيد شيخ (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢١م) وحينما عـزل عنهـا جـاء إلـى القـاهرة وأخـذ يخـدم الأميـر أزبـك الـدوادار[2] حيث جعلـه أميـر شـكار[3]، وأبقاه فـي القـاهرة حتـى وفاتـه سـنة (٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م)[4].

وقـال عنـه السـخاوي أنـه كـان شـيخاً طـويلاً وذكـر لـه إجادتـه فـي تربيـة الطيور[5]،وربما سمي بشاهين نسبة لمعرفته واهتمامه بالطيور. ووصفه حفيده المؤرخ عبد الباسط أنه: **((كان خيراً، ديناً، شجاعاً، سالم الفطرة، حسن العشرة))**[6].

وربما يكون مؤرخنا قد سمع هذه الأوصاف من أبيه لا من جده الذي توفّى قبل ولادة حفيـده بعشـر سـنوات وقـد نُفـن شـاهين فـي مقبـرة القرافـة[7] المشـهورة فـي

---

[1] **شادية القمامة:** الشاد هو المفتش وتضاف الكلمة لاسم الوظيفة مثل شاد الأوقاف أي ناظر الأوقاف وشاد القمامة أي ناظر القمامة أو المسؤول عنها والمقصود هنا بأنه كان شاد أو ناظر كنيسة القيامة في بيت المقدس التي كانت تسمى القمامة حيث أخذت اسمها من اسم القمامة التي كانت في المكان الذي بنيت فيه تلك الكنيسة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣/ ص٢٨٦؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٩٥.

[2] **أزبك الدوادار:** أحد مماليك السلطان الظاهر برقوق كان أميرا يتولى الدوادارية الكبرى وهي وظيفة يقوم متوليها بنقل الرسائل من وإلى السلطان وعرض البريد عليه توفى الأمير أزبك سنة ٨٣٣هـ. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٣٥٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٧٣؛ محمد أحمد دهمان، المرجع نفسه، ص٧٧.

[3] **أمير شكار:** هو الأمير الذي يشرف على الجوارح السلطانية من الطيور وكان من أمراء العشرات وشكار بكسر الشين تعني الصيد بالفارسية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٢٢.

[4] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٩٥؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٦.

[5] السخاوي، المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٥.

[6] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٦.

[7] **القرافة:** هي مقبرة واسعة تمتد في سفح جبل المقطم وموقعها بين هذا الجبل ومدينة الفسطاط وقد اتخذت مقبرة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب واستمرت حتى العصر المملوكي وقد بنى الناس بقربها القصور البديعة والجوامع والمساجد. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٤٢٩.

القاهرة آنذاك بعد أن عاش ثمانين سنة[١].

لكن عميد الأسرة وأول من اشتهر منها ألا وهو والد المؤرخ أبو الصفا غرس الدين خليل بن شاهين الشيخي الصفوي الظاهري القاهري الحنفي[٢] الذي وصفه ابنه أنه: ((**كان ذكياً لبيباً عالماً فاضلاً ناظماً ناثراً**))[٣]. ولد خليل بن شاهين في مدينة القدس في يوم الجمعة ثالث عشر من شعبان سنة (٨١٣هـ/ ١٤١٠م)[٤] وكان مولده بالحارة الخاتونية[٥] من بيت المقدس[٦]. وذكر ابنه المؤرخ سبب تسمية والده باسم خليل أن أمه تلد الإناث فلما حملت به ذهبت إلى ضريح النبي إبراهيم الخليل (ع) ونذرت مبلغا كبيرا من المال يوزع صدقة لفقراء حرم الضريح إن هي ولدت ذكراً وأن تسمّيه الخليل لذلك يبدو أنها كانت سعيدة جداً بولادته إذ اشترت له لؤلؤة بخمسين ديناراً من الذهب ونذرت أن تضع هذه اللؤلؤة في صندوق النذور الموجود عند ضريح إبراهيم الخليل (ع) إذا أكمل السابعة من العمر[٧].

وقال السخاوي عن بداية تعليمه: ((**فلما بلغ خمس عشرة سنة تحول مع أبيه إلى القاهرة وحفظ القرآن الكريم واشتغل ونظم فأكثر**))[٨] ويعد المؤرخ والمحدث المشهور ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) من أبرز الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم[٩]. ومن شيوخه الآخرين شمس الدين البساطي (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)[١]

---

[١] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٦.

[٢] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥؛ عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٥٥.

[٣] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٥٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٥٦.

[٥] **الحارة الخاتونية**: إحدى حارات بيت المقدس تنسب إلى أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية التي وقفت في هذه المنطقة عدّة أوقاف منها المدرسة الخاتونية والمزرعة. ينظر: العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢/ ص٣٦.

[٦] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥.

[٧] عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٢٩، نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل،ج١/ ص٩.

[٨] الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥.

[٩] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٥.

وبدر الدين التنيسي (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)[٢] والمؤرخ بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)[٣] وتقي الدين بن قندس (ت٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)[٤] وعلم الدين البلقيني (ت٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)[٥] ، وبرهان الدين الباعوني (ت٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)[٦] وبدر

---

[١] **البساطي:** هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم أبو عبد الله البساطي الظاهري المالكي ولد سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م وينسب إلى قرية بساط من قرى الغربية بمصر اشتهر بالحديث والفقه وعلوم اللغة العربية والطب وصار إمام عصره وفريد دهره توفّى سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م. ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٤/ ص١٢٤؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٥ – ٧؛ العليمي، الأنس الجليل، ج٢/ ص٢٤٨؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧/ ص٢٩٠.

[٢] **التنيسي:** هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله التنيسي المالكي الإمام العالم قاضي القضاة ولد سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م توفّى سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م في الطاعون الذي تفشى في القاهرة. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٩/ ص٢٩٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ج٢/ ص٢١٠.

[٣] **العيني:** هو قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي نسبة إلى عينتاب الحنفي المشهور ببدر الدين العيني ولد سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م وتوفّى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م واشتهر في عدّة علوم منها الفقه والنحو والتاريخ تولى عدّة وظائف ومناصب منها التدريس والقضاء والحسبة وله مصنفات كثيرة. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢/ ص٢٧٢؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج٤/ ص٤٦.

[٤] **ابن قندس:** هو بكر تقي الدين بن إبراهيم بن يوسف الصالحي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قندس عالم فقيه مفسر ولد بمدينة بعلبك سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م وتوفّى بدمشق سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص١٤؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج٢/ ص٢٨٤؛ العليمي، الأنس الجليل، ج٢/ ص٢٦٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧/ ص٣٠٠.

[٥] **البلقيني:** علم الدين صالح بن عمر بن أرسلان البلقيني الشافعي قاضي قضاة في مصر اشتهر بالفقه والحديث النبوي الشريف من مؤلفاته الغيث الجاري على صحيح البخاري ولد سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وتوفّى سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م. ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣/ ص٥٧٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٣١٢ – ٣١٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ ص٢٨٦.

[٦] **الباعوني:** برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليل الباعوني نسبة إلى قرية صغيرة من قرى حوران قاضي قضاة دمشق برع في نظم الشعر والنثر وله ديوان شعر فضلاً عن كونه فقيهاً لامعاً ولد سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م وتوفّى سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٣٣٤؛ السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، ج١/ ص١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦/ ص٣٣٦؛ عبد القادر بدران، منادمة الأطلال، ج١/ ص٢٧٤.

الدين بن عبد المنعم (ت٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)[١] وغيرهم من المشايخ في شتى فروع العلم والمعرفة[٢] وقد أجازه جماعة من هؤلاء المشايخ[٣] وعن علاقته كتلميذ بشيخه ابن حجر العسقلاني قال ابنه عبد الباسط **((ولازم مجالس حافظ العصر شيخ الإسلام ابن حجر في سماع الحديث وسمع عليه الكثير وسمع عليه بعض تصانيفه أيضاً وأجازه وأثنى عليه في إجازته وعلى ما صنفه ... وطارحه بالشعر وراسله وأحبه وذكره في مواضع من كتابه إنباء الغمر)** وبالرجوع الى كتاب إنباء الغمر وجدنا أن ابن حجر العسقلاني ذكره في عدد من صفحاته، فقد ذكر أخباره ومنها استلامه لوظيفة ناظر الإسكندرية[٤] وذكر استلامه أمرة الحاج[٥]، ونيابة القدس[٦]، ولم يكتفِ بذكر أخباره، بل نقل منه أخباره حينما كان والياً على الإسكندرية وكيف أنه أبطل ما كان مقرراً من ضرائب على الباعة وأنه نقش قراره ذلك على ألواح من الرخام وضعت على أبواب البلد[٧]. وأخذ منه معلومات عن فساد

---

[١] **بدر الدين بن عبد المنعم:** هو بدر الدين محمد بن أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد المنعم القاهري الشافعي ولد سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م وتوفّي سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م اشتهر بالفقه وتولى القضاء. السخاوي، المصدر نفسه، ج٧/ ص١١٧.

[٢] عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٢٩ – ٢٣٢ نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص١٠ – ١١.

[٣] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٥.

[٤] **نظر الإسكندرية:** يقوم صاحب هذه الوظيفة بإدارة الأموال الخاصة بالسلطان في مدينة الإسكندرية وهي إحدى الوظائف الجليلة في دولة المماليك. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣.

[٥] **أمرة الحاج:** مصطلح يطلق على الأمير الذي يتولى قيادة موكب الحج إلى الديار المقدسة وعادةً يكون من مماليك السلطان الذين يطلق عليهم الخاصكية خلال العصر المملوكي. ينظر: محمد نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، ص٧٠، ٩٨.

[٦] **نيابة القدس:** إحدى نيابات الشام في العصر المملوكي مستقلة عن نيابات الشام الأخرى كنيابة دمشق ونيابة حلب حيث ينوب عن السلطان في تلك المدينة وتكون رتبته بين الأمراء أمير طبلخاناه. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧/ ص٢٠٠.

[٧] ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر ج٨/ ص٣٨١ – ٣٨٢.

ناظر ثغر الإسكندرية حينما استولى على الرصاص الخاص بالمنجنيق وعمر به حماماً له[١].

وذكر المؤلف في سيرة والده أثناء الحديث عنه في ترجمته أنه أقام في القاهرة بعد أن قدِم مع أبيه شاهين من القدس وأنه اتبع سيرة حسنة منشغلاً بالعلم متردداً إلى أكابر العلماء الذين كانوا يبالغون في إكرامه لحسن خلقه ودينه[٢].

وذكر ابن حجر العسقلاني وهو أحد شيوخه أن خليل ابن شاهين بعد أن استقر في القاهرة تزوج من جلبان خاتون أخت زوجة السلطان الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) لذلك علا شأنه وارتفعت مكانته[٣] وعلى الرغم من كون ابن شاهين الأب يعد من مؤلفي القرن التاسع المعروفين بكثرة مؤلفاتهم تنوعها – كما سنرى – فإنه لم يكتفِ بإنجازاته العلمية تلك بل عمل في عدّة وظائف في دولة المماليك ومن بين تلك الوظائف ما كان مهماً وكانت أولى تلك الوظائف قد تسلمها وهو بعمر ثلاث وعشرين سنة وذلك حينما طلبه السلطان الأشرف برسباي وسأله مشافهة أن يتسلم ولاية نظر الإسكندرية فأجابه إلى ذلك[٤].وقال ابنه المؤرخ ان هذا السلطان ولاّه نظر الإسكندرية لنباهته وأنه باشر وظيفته تلك التي سماها ابنه النظر على الخاص بالثغر الإسكندري بحرمة وافرة وعفة زائدة وأنه أضاف إليه نظر الذخيرة[٥]، ونظر بيع البهار[٦]، ثم ولاّه برسباي

---

[١] المصدر نفسه، ج٨/ ص٣٨٢.

[٢] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٤٥.

[٣] إنباء الغمر، ج٨/ ص٢٩٩.

[٤] ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج٨/ ص٢٩٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٥.

[٥] **نظر الذخيرة**: يقوم متولي هذه الوظيفة بمهمة إدارة الغلال السلطانية وما يصرف على اصطبلات السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٣.

[٦] **نظر بيع البهار**: وهي وظيفة جليلة يتولاها أحد الأمراء وتجمع أحياناً مع الوزارة ويقوم صاحبها بإدارة تجارة التوابل من اليمن. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٣.

حجوبية الإسكندرية[١] ثم أنه رقّاه حتى جعله نائباً للسلطان على تلك المدينة[٢].وعلق ابنه المؤرخ عبد الباسط على توليه تلك الوظائف بقوله: **((وكان هذا أول ظهور للوالد في الدولة))**[٣].

غير أن المقريزي يذكر سبب آخر وراء تسلمه تلك الوظائف حينما قال في أحداث شهر شعبان من سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م): **((فيه أيضاً كتب باستقرار خليل ابن شاهين ناظر الإسكندرية وحاجبها في نيابة الثغر والحجوبية وكان قد بعث بثلاثة آلاف دينار ووعد بحمل مثلها وسأل في ذلك فأجيب إليه))**[٤].

أي أنه أرسل إلى السلطان بذلك المبلغ راجياً أن يوليه تلك الوظائف وعلق المقريزي على ذلك قائلاً: **((ولم ندرك مثل ذلك وهو أن يكون النائب حاجباً فإن موضع الحاجب الوقوف بين يدي النائب والتصرف بأمره، هي الأيام كلها صرن عجائب حتى ليس فيها عجائب))**[٥].

وذكر السخاوي أن السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) استقدمه إلى القاهرة ومنحه رتبة أمير طبلخاناه[٦]، وعيّنه ناظراً لدار ضرب النقود ويظهر من رواية عبد الباسط بن شاهين أن أباه قدم من الاسكندرية يستعفي منها ،فخلع عليه السلطان بالأستمرار، ثم اجيب الى سؤاله وصرف عنها بعد أن قدم

---

[١] **الحجوبية:** هي وظيفة حاجب الحجاب وتسمى بالحجوبية الكبرى كان يقوم متوليها بالنظر في مخاصمات الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات الزراعية. القلقشندي، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٠؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢/ ص٢١٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص١٠٢.

[٢] عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم ، ج٤/ ورقة ٥، نقلا عن تدمري ،مقدمة تحقيق نيل الامل،ج١/ص١١.

[٣] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٤٦.

[٤] السلوك، ج٧/ ص٢٦٩.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٦٩.

[٦] **أمير طبلخاناه:** هو الأمير الذي يرقى إلى درجة يستحق معها أن تضرب الطبول على بابه وتحت أمرته أربعين مملوكا وقد يصل هؤلاء المماليك إلى ثمانين ويعد في الدرجة الثانية من بين الأمراء. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٢/ ص١٦٩؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٠٦ – ١٠٧.

للسلطان هدية سنية [١]. ولكنه ما لبث أن تولى منصب مهم آخر هو منصب الوزارة وكان ذلك سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)[٢]. ويظهر أن خليل بن شاهين استغل فرصة استعفاء الوزير السابق وهو تاج الدين بن الخطير من منصب الوزارة بعد أن رجمته العامة وإلحاح السلطان على والد المؤرخ من أجل قبول ذلك المنصب فشرط خليل على السلطان شروطاً وافق عليها، لكنه لم يستمر في المنصب سوى شهر واحد حيث طلب الإعفاء فتم له ذلك[٣]. وكان السبب وراء هذا الإعفاء السريع لأنه: **((رأى بها ما لا يليق به من الأمور))**[٤] وفي سنة (٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) وبعد أن ترك منصب الوزارة جعله السلطان برسباي أميرا للحج[٥]. وفي العام ذاته عيّن والد المؤرخ كما ذكر ابن حجر العسقلاني شادا على المكوس[٦]، وأميرا على المماليك المجردين[٧] في مكة فسار إلى الحجاز براً[٨] وهاتان الوظيفتان لم يذكرهما عبد الباسط ضمن وظائف والده. وفي ربيع الأول سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) عين نائبا

---

[١] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٩٧.

[٢] المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٣١٠؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٤/ ص٢٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣/ ص٣٤٩.

[٣] المقريزي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٣١٠؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٤٠٤.

[٤] عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٣٢ نقلاً عن تدمري مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص١٢.

[٥] ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٤/ ص٤٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١٧٤.

[٦] **شاد المكوس:** وهو المشرف على المكوس السلطانية التي تسمى بالمال الهلالي أي الضرائب التي تستحصل للسلطان وكانت على عهد المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) تبلغ حوالي ٧٠ ألف دينار سنوياً. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٣٥٠.

[٧] **المماليك المجردين:** هم الأمراء المماليك الذين كان السلطان المملوكي يرسلهم في حملة عسكرية (تجريدة) للقضاء على الثورات والفتن التي تحدث في أصقاع الدولة المملوكية ولا سيما تلك التي يقوم بها العرب الذين كانوا يسمون في العصر المملوكي بالعربان والمقصود بالمجردين هو سير المماليك على وجه السرعة، وهم دائماً من الخيالة دون المشاة. المقريزي، المصدر نفسه، ج٤/ ص٦٢؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في مصر، ص٤٢.

[٨] إنباء الغمر، ج٨/ ص٤١٥.

علىً الكرك[1]، وكانت الكرك حينما تولاها ((... **في غاية العظمة وبها الأموال والحواصل ...**))[2] ولكن بعد وفاة السلطان الأشرق برسباي سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) عزله السلطان العزير يوسف بن برسباي (٨٤١ – ٨٤٢هـ/ ١٤٣٧ – ١٤٣٨م) عن نيابة الكرك وعينه أتابكا[3] في مدينة صفد[4]. ثم تم ترشيحه لنيابة مدينة ملطية أمام السلطان نفسه من قبل نائب الشام فكان له ذلك سنة (٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م) فوصله قرار التعيين وهو في الكرك بعد أن شكره السلطان لإخلاصه له وبقي في هذا المنصب أربع سنين ثم قدم إلى القاهرة [5].

وذكر عبد الباسط أن أباه قدم في شهر جمادى الأولى سنة (٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م) ((من **ملطية الى القاهرة وصعد الى بين يدي السلطان،فخلع عليه باستمراره على نيابة ملطية ثم استعفى الوالد منها فأعفي وقرر في أتابكية حلب**))[6]. ولكن سرعان ما دبَّ التنافس بينه وبين نائب حلب قانباي الحمزاوي[7] حالما وصل إلى

---

[1] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥/ ص٨٥؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص١٧٨. **والكرك:** بفتح الكاف والراء اسم لقلعة حصينة جداً في أطراف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على طرف جبل عالٍ تحيط به أودية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٤٥٣.

[2] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص١٢.

[3] **أتابك:** وهي كلمة تركية تتكون من لفظين (أتا) بمعنى أب و(بك) بمعنى الأمير وتعني باللغة العربية الوالد الأمير أو الأب الأمير والأتابك هو الوصي أو المربي الذي يتولى الوصاية والرعاية على سلطان أو أمير صغير إلى أن يكبر هذا الأمير أو السلطان فيصبح عمل الأتابك عملاً شرفياً. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١٨؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص١٢٢؛ محمد عبد الغني الأشقر، أتابك العساكر في القاهرة عصر المماليك الشراكسة، ص٢١.

[4] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٢.

[5] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٩٢؛ عبد الباسط بن شاهين، نيل الأمل، ج٥/ ص٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٢١٥.

[6] نيل الأمل، ج٥/ ص١٧٧.

[7] **قانباي الحمزاوي:** هو الأمير قانباي الحمزاوي الظاهري تولى في أول الأمر إمرة عشرين مملوكاً ثم أمير طبلخاناه ثم أصبح نائب السلطان في غيبته وتولى أتابكية دمشق ونيابة حماة وطرابلس وحلب وتوفّى سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص٢١٧.

تلك المدينة، إذ تمكن الحمزاوي من إقناع السلطان بعزله عن أتابكية حلب فانتهز نائبه الفرصة وقبض على خليل بن شاهين وسجنه مقيداً بقلعة المدينة فتمكن الأخير من إخبار أصحابه في القاهرة وفي مقدمتهم الأمير أينال العلائي الأجرود[١] والحافظ المؤرخ ابن حجر العسقلاني فتحرك هؤلاء صوب السلطان جقمق وشرحوا له أمره فبعث يأمر إطلاق سراحه[٢]، وبعد ذلك أقام في القدس بعد أن أنعم عليه السلطان أن يكون طرخانا[٣] وأعطاه مبلغاً من المال[٤].وفي سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) طلبه السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) للحضور إلى القاهرة وحينما وصل أكرمه وقرره على نيابة القدس[٥]. وفي سنة (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) تم إعفاءه من نيابة القدس بعد أن طلب هو ذلك[٦]. وفي سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) جعله السلطان الظاهر سيف الدين جقمق أميرا على عشرين مملوكاً مضافا للتقدمة بدمشق[٧]. وفي سنة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) منحه إمرة طبلخاناه بطرابلس يأكلها وهو طرخان[٨]. وفي سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م منحه إمرة طبلخاناه في مدينة دمشق

---

[١] **أينال العلائي الأجرود:** هو سيف الدين أبو النصر أينال بن عبد الله العلائي الظاهري ثم الناصري المعروف بالأجرود تولى عدّة مناصب منها نائب غزة ونائب الرها ونائب صفد ثم أصبح أتابكا وأخيراً تولى السلطنة المملوكية سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، واستمر بها حتى سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٣٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٢١٣.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص١٩٠.

[٣] **الطرخان:** أحد مصطلحات العصر المملوكي يطلق على الموظف الذي أسن وهو في الخدمة فيحال على التقاعد ويستلم راتبا شهريا عن وظيفة تسمى له دون أن يقوم بها ويترك اختيار مكان الإقامة له. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٣/ ص٥٢ – ٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠/ ص٣١١؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١٠٧؛ مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص٣٠٥.

[٤] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٢.

[٥] نيل الأمل،ج٥/ ص٢١٦.

[٦] المصدر نفسه،ج٥/ ص٢٢٨.

[٧] نيل الأمل ،ج٥/ص٣٠١.

[٨] المصدر نفسه، ج٥/ ص٤٣٨.

طرخانا[1]. ثم طلب من السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ – ١٤٦٧م) أن يستقر في القاهرة فوافق وسمح له بالحضور إلى مجلسه مرتين في الأسبوع لمسامرته ومنادمته[2]. ولكن السلطان خشقدم غضب عليه في سنة (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) وأمره بالخروج إلى مكة المشرفة فسافر إلى الحجاز ومن هناك سافر إلى العراق[3].أما عن سبب غضب السلطان عليه فقد أشار إليه ابنه مؤكداً أن أباه كان أثناء استقراره في القاهرة يشفع للناس عند السلطان وكان من بين هؤلاء الخليفة العباسي المستنجد بالله يوسف (٨٥٩ – ٨٨٤هـ/ ١٤٥٤ – ١٤٧٩م) حيث طلب هذا الخليفة من خليل بن شاهين أن يكلم له السلطان ليسمح له بالنزول إلى محل سكن الخلفاء الذين كانوا يسكنون فيه قبل أن يأتي هو للخلافة فحينما كلمه في ذلك تغير السلطان ضده وغضب عليه[4]. وأشار السخاوي إلى ذلك بقوله أن السلطان حقد عليه وأخرجه من الإمرة وأمره بالتوجه لبيت المقدس فالتمس ابن شاهين الذهاب إلى مكة فأذن له وتوجه من هناك مع الحجاج العراقيين إلى العراق ودخل الحلة وبغداد وغيرها من المدن العراقية ولما مات السلطان الظاهر خشقدم سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) عاد هو إلى حلب ثم طرابلس فمرض حتى كانت وفاته في جمادى الأولى سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) ودفن في تربته التي بناها لنفسه في مدينة طرابلس الشام[5]، وعلى الرغم من أن المقريزي أشار في عدّة مواضع إلى استخدام ابن شاهين الأب لأسلوب تقديم الهدايا والأموال للسلاطين المماليك من أجل الحصول على المناصب أو من أجل الإبقاء على ما بيده من مناصب[6]. ومن ذلك تأكيد المقريزي على أن والد المؤرخ حينما كان نائباً في الإسكندرية جاء إلى القاهرة سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م) وقدم إلى السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) خمسة

---

[1] المصدر نفسه، ج٦/ ص٨٥.

[2] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٢.

[3] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٢٦٣.

[4]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص١٧ نقلاً عن الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٣٢.

[5] الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٢.

[6] السلوك، ج٧/ ص٢٦، ٢٦٩، ٢٨٢.

آلاف دينار من الذهب وهدايا عينية من القماش وغيرها قدرت بألف دينار[١]، إلاّ أن السيوطي ذكر أن خليل بن شاهين كان أثناء تسلمه لتلك المناصب محمود السيرة[٢]. أما ابنه عبد الباسط فقد قال إن أباه تسلم كل تلك المناصب والوظائف: ((**مع تدين وخير وعفة وكرم نفس وعقل ولب وقيمة وسياسة وعفة عن المنكرات ...**))[٣].

وفضلاً عن هذا النشاط الوظيفي الحافل شارك خليل بن شاهين مشاركة واضحة في الجانب العلمي من خلال تصنيفه للعديد من المؤلفات في جوانب علمية شتى ففي تفسير القرآن ألّف كتاب (البرهان المستقيم في تفسير القرآن العظيم)[٤]، وألّف في الحديث النبوي الشريف كتاب (التحفة المنيفة في الأحاديث الشريفة)[٥]، وفي الفقه ألّف عدّة مؤلفات منها (إجماع الجمهور على مذمة شراب الخمور)[٦]، وكتاب (التحرير في أنواع التعزير)[٧]، وكتاب (المواهب في اختلاف المذاهب)[٨]، وفي التراجم ألّف كتاب (الدرة المضيئة في السيرة المرضية)[٩] ويرى شاكر مصطفى أن هذا الكتاب المفقود قد يكون في سيرة السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) الذي عاصره المؤلف[١٠]، وفي كتب البلدان ألّف كتاب (كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك)[١١]، وقد اختصر المؤلف كتابه هذا بكتاب آخر

---

[١] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨٢.

[٢] الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥.

[٣] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٦.

[٤] عبد الباسط الظاهري ، نيل الأمل، مقدمة المحقق ، ج١/ ص١٩.

[٥] المرجع نفسه، ج١/ ص١٩.

[٦] انفرد ابنه المؤرخ عبد الباسط بذكر هذا الكتاب. ينظر: تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٠ نقلاً عن. كتاب الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٣٢

[٧] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٩٧؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٣٥٤.

[٨] البغدادي، المصدر نفسه، ج١/ ص٣٥٣؛ الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٨١٨؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤/ ص١٢٠.

[٩] البغدادي، المصدر نفسه، ج١/ ص٣٥٣؛ الزركلي، المصدر نفسه، ج٢/ ص٨١٨.

[١٠] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤ / ص١٩٦.

[١١] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢/ ص١٤٩٢؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٣٥٣ وهذا الكتاب يعد من مؤلفاته المفقودة. ينظر: شاكر مصطفى، التاريخ المرجع نفسه، ج٤/ ص١٩٥.

(زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك)[1] وعن هذا المصنف قال حاجي خليفة: ((**في فضائل مصر وأعمالها وتعظيم سلطانها وأمراءها للفاضل خليل بن شاهين الظاهري وهو على اثني عشر باباً اختصرها من كتابه المسمى كشف الممالك**))[2]. وقال بروكلمان أن هذا الكتاب في علم تقويم البلدان في العصر المملوكي[3]وذكر خليل بن شاهين في مقدمة كتابه الزبدة: ((**إنني صنفت كتاباً وسميته كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ويشتمل على مجلدين ضخمين يشتملان على أربعين باباً ... ثم رأيت ذلك الكتاب المصنف مطولاً، فانتخبت من ملخصه هذا المجلد وسميته زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك وجعلته اثني عشر باباً واختصرت الكلام فيه لكون اشتغالي بغيره من المصنفات**))[4]. ولم يكتفِ المؤلف بهذا التلخيص لكتابه كشف الممالك بل اختصر المختصر فسمّاه الصفوة في تلخيص الزبدة[5]في حين جعل بروكلمان كتاب الصفوة من تأليف شخص آخر هو محمد بن أبي الفتح محمد الصوفي الشافعي الذي ألّفه سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)[6] لكن ابنه عبد الباسط ذكر أنه اختصر كتابه الزبدة في مجلد صغير سمّاه زبدة الزبدة[7]، وهذا العنوان هو الأرجح كونه ذكر عن طريق ابن المؤرخ.

ومن مؤلفاته أيضاً (الإشارات في علم العبارات)[8] الذي ذكره حاجي خليفة مؤكداً أنه في تعبير الرؤيا أي تفسير الأحلام وهو في مجلدين ضخمين رتبه على ثمانين

---

(١) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١١/ ص٥٥٧.

(٢) كشف الظنون، ج٢/ ص٩٥٣.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ج١١/ ص٥٥٧.

(٤) زبدة كشف الممالك، ص٣ – ٤.

(٥) البغدادي، هدية العرافين، ج١/ ص٣٥٣.

(٦) تاريخ الأدب العربي، ج١١/ ص٧٥٥ وذكر بروكلمان إن كتاب الصفوة هذا مخطوط في المتحف البريطاني تحت رقم ٧٠٤.

(٧) نيل الأمل،مقدمة المحقق ، ج١/ ص٢٠.

(٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص١٩٧؛ الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٣١٨؛ إلياس سركيس، معجم المطبوعات العربية، ج١/ ص١٣٣؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١/ ص٥٥٧.

باباً[١]. وذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه اعتمد في تأليفه ((**على كتب المتقدمين وأقوال المشايخ المعتبرين مثل كتاب الأصول لدانيال الحكيم وكتاب التقسيم لجعفر الصادق (ع) وكتاب الجوامع لمحمد بن سيرين ...**))[٢]. وفي مقدمة هذا الكتاب ذكر المؤلف أسماء الأنبياء (عليهم السلام)[٣]. وألّف في تفسير الأحلام أيضاً كتاب (الكوكب المنير في أصول التفسير)[٤]. وله في الأدب ديوان شعر في عدّة مجلدات[٥]، وديوان في الخطب وعدّة رسائل أدبية[٦]. وذكر ابنه أن لأبيه شعر منه الجيد ومنه الوسط وله قصائد في مدح الرسول (ص) وفي مدح الملوك والسلاطين والأعيان والعلماء[٧]. وله أيضاً كتاب (المنيف في الإنشاء الشريف)[٨] الذي قال عنه شاكر مصطفى إنه لتعليم كتّاب الدواوين أصول العمل الديواني[٩]. وفي الطب ألّف كتاب (الغاية في الطب)الذي انفرد ابنه في ذكره بين مؤلفاته[١٠]. توفّى ابن شاهين الأب عن عمر ناهز الستين في سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) حسب رواية ابنه عبد الباسط[١١]. في حين أشار البغدادي أن وفاته كانت سنة (٨٩٢هـ/ ١٤٩٦م)[١٢]. أما حاجي خليفة فقد جعلها سنة (٨٩٣هـ/ ١٤٩٧م)[١٣] دون أن يشير إلى مصدر معلوماته. ولأن عبد الباسط هو الأقرب لأبيه شاهين والأعرف بتاريخ أسرته فإن

---

(١) كشف الظنون، ج١/ ص٩٧.
(٢) الإشارات في علم العبارات، ج١/ ص٣.
(٣) كشف الظنون، ج١/ ص٩٧.
(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٧؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٣٥٣.
(٥) الزركلي، الأعلام، ج٢/ ص٣١٨؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤/ ص١٢٠.
(٦) عبد الباسط الظاهري، نيل الامل ،مقدمة المحقق ،ج١/ص٢٠.
(٧) المرجع نفسه، ج١/ ص٢٠.
(٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٧؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢/ ص٥٩٦؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٤/ ص١٢٠.
(٩) تاريخ الأدب العرب والمؤرخون، ج٤/ ص١٩٥.
(١٠) الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٣٢ نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٠.
(١١) نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٦.
(١٢) إيضاح المكنون، ج٣/ ص٤٨٦.
(١٣) كشف الظنون، ج١/ ص٩٧.

روايته عن سنة وفاة أبيه هي الأرجح. أما والدة المؤرخ فقد كانت إحدى السراري اسمها شكرباي تزوجها والده بعد أن أعتقها وكانت كما قال ابنها: **((من خيار نساء عصرها ديناً وخيراً))**[1] توفيت في دمشق بعد أن وضعت ابناً آخراً سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م غير أنه مات بعد بضعة أيام وكان عبد الباسط آنذاك في حدود الثامنة من العمر[2].وذكر المؤرخ أن أباه كان له من الأولاد ما يزيد عن الأربعين حيث أنه تزوج أكثر من عشرين امرأة وكان يملك من المماليك نحو المائتين وترك من الورثة ستة ذكور فضلاً عن إحدى البنات وثلاث زوجات ذكر المؤلف إحداهن هي الست فاختة بنت محمد بن حسن بن علي الحنفي حيث تزوجها والده سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م)[3]. ويظهر من خلال رواية عبد الباسط أن عددا من إخوته قد توفوا قبل وفاة والدهم ولم يبقَ منهم سوى ستة وقد يعود ذلك إلى مرض الطاعون المتكررالذي شهدته مصر في عصر المماليك[4].

ومن زوجات أبيه الست أصيل أخت خوند جلبان[5]. وبسبب هذه الزيجة أصبح خليل بن شاهين عديلاً للسلطان الأشرف برسباي فحصل على بعض الوظائف مثل أمير طبلخاناه ونظر دار ضرب النقود والوزارة[6].

وقد ذكر عبد الباسط بعض المعلومات عن زواج أبيه من هذه السيدة فقد جاء إلى القاهرة حينما كان نائباً على الإسكندرية وقدم للسلطان الأشرف برسباي هدية

---

(1) عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج١/ ورقة ١٣، نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٩٧.

(2) المصدر نفسه ، ج١/ ورقة ١٣؛ نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٣.

(3) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٨٦؛ المصدر نفسه، ج٤/ ورقة ٢٣٢ نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٢.

(4) عن الطواعين التي ضربت مصر خلال عصر المماليك ينظر: المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٩٢، ج٦/ ص١٨١، ٢٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤/ ص٨٠، ٥٤١، ١٤٥٥، ج١٥/ ص٩٢؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٢٣، ج٣/ ص١٦.

(5) **خوند جلبان:** وهي خوند جلبان الجركسية زوجة السلطان الملك الأشرف برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) وقد توفيت هذه السيدة سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م). السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢/ ص١٧.

(6) السخاوي، المصدر نفسه، ج٣/ ص١٩٥.

قيمة من بينها خمسة آلاف دينار وقدم لزوجته خوند جلبان قميص من نسيج الإسكندرية مطرز بالذهب وحينما سألها الزواج من أختها أجابته إلى ذلك وكان مهرها ألف دينار أرسله إلى الست أصيل في موكب حافل دخل إلى الإسكندرية فكان ذلك يوماً مشهوداً[١].

والست أصيل هي ابنة الأمير يشبك وقد وصفت بأنها: ((**خيرة، دينه، ذات مال طائل وماتت فاستولى الظاهر خشقدم على مالها وصالح الوالد على ألف دينار دفعها اليه**))[٢] غير أن والد المؤرخ لم يحصل من مالها بعد وفاتها سوى على ألف دينار حيث استولى على تركتها السلطان الظاهر خشقدم. وكان عبد الباسط يكن لها احترام كبير لاسيما وأنها عملت على تربيته حيث قال: ((**ولها عليَّ حق التربية**))[٣].

ومن أفراد أسرته الذين ورد ذكرهم عمته أخت أبيه خليل بن شاهين الست (**صفر ملك**) زوجة التاجر صارم الدين إبراهيم بن قرمش[٤]وقد حصل والد المؤلف بسبب مصاهرته لابن قرمش على عدة مناصب منها حجوبية الإسكندرية حيث تدخل صهره هذا عند صديقه السلطان الأشرف برسباي من أجل ذلك[٥].

وقد ذكر السخاوي أن إبراهيم بن قرمش كان تاجرا يجلب المماليك إلى مصر وهو أحد خواص الأشرف برسباي المقربين وقد أثرى كثيراً من تجارته تلك توفّى سنة (٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م)[٦].وفي رواية للمؤرخ عبد الباسط بن خليل تحدث فيها عن لقاء جمع بين أبيه وبين السلطان المملوكي الظاهر خشقدم في سنة (٨٦٩هـ/ ١٤٤٦م) حيث سأل خلالها السلطان أن يجعل ما بيده من إقطاع في مدينة دمشق باسم أولاده فوافق السلطان وكتب له منشورا بأسماء أبنائه وهم أمير حاج وأحمد وعبد

---

[١] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٦٩ – ٣٧٠، وينظر أيضاً عن زواج أبيه من هذه السيدة، المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢٨٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٣/ ص٣٠٩.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٢٢٢.

[٣] المصدر نفسه،ج٦/ص٢٢ هامش١ لمحقق الكتاب.

[٤] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٣٤٥.

[٥] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٩٥.

[٦] المصدر نفسه، ج١/ ص١١٨.

الباسط ومحمد ويوسف وإبراهيم وعبد الرحمن وحينما ساءت العلاقة بين والد المؤلف والسلطان المذكور تم مصادرة ذلك الإقطاع من أبنائه[١]. ولم يزودنا بمعلومات أخرى عن إخوته هؤلاء وكان للمؤرخ أم أخيه التي أرضعته حيث ربطته بها علاقة طيبة فكانت تقيم عنده أكثر وقتها لتقديره مقامها إذ كانت عنده بمقام الوالدة وقد ذكرها على أنها خيره دينه كثيرة الصيام والقيام[٢].

أما أبناء وبنات المؤرخ عبد الباسط بن خليل فقد ذكر لنا قسم منهم ومن بينهم عائشة التي ولدت في يوم الأربعاء ٢٦ صفر ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م من زوجته أم الفتح غير أن هذه الطفلة لم تعش إلاّ يوما واحدا فتألم لوفاتها لاشتياقه أن يكون عنده أبناء[٣]. وفي العام التالي وتحديداً في يوم الأربعاء ١٤ ذي الحجة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م ولدت له ابنة من زوجته أم الفتح سمّاها أيضاً عائشة وفرح بها كثيراً حتى أنه كان يقوم بتربيتها بنفسه وعاشت سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م حيث ماتت بالطاعون الذي عم مصر في تلك السنة[٤].

---

[١]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٣. نقلاً عن الروض الباسم، ج٣/ ورقة ٩٥

[٢]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٣ نقلاً عن الروض الباسم ، ج٣ ورقة ٣١.

[٣]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٦ نقلاً عن الروض الباسم ، ج٢/ ورقة ٥٢.

[٤]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٣١ ، نقلاً عن الروض الباسم ،ج٢/ ورقة ٢٩.

المبحث الرابع: أصحابه.

إن شخصاً بالمكانة الاجتماعية والعلمية التي كان عليها عبد الباسط بن خليل بوصفه عالماً ورحالةً وتاجراً لابد وأن كان له عدد من الأصحاب والأقران غير أنه لم يذكر من هؤلاء إلاّ القليل وقد جاء ذكرهم عرضاً في سياق أخبار رحلته إلى المغرب والأندلس أو في أثناء تراجم كتابه نيل الأمل ومن هؤلاء أحمد بن نوكار الناصري الزردكاش[(١)]، وصفه المؤلف بصاحبنا الإنسان الحسن الخير الصالح وقد اتفق السخاوي في ترجمته لأحمد بن نوكار مع عبد الباسط بن خليل بوصفه بالورع والصلاح وقال أن السلطان المملوكي قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ – ١٤٩٥م)[(٢)] جعله ناظرا للجامع الذي بناه في القاهرة ولم يذكر السخاوي سنة وفاته بل ذكر ولادته في سنة (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)[(٣)].

ومن العلماء الذين صاحبهم مؤرخنا القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشنشيني نسبةً إلى إحدى قرى القاهرة التي تسمى ششين الكوم[(٤)]، قال عنه المؤلف: **((صاحبنا شيخ الحنابلة الآن تولى القضاء الأكبر))**[(٥)].

ومن أصحابه أيضاً المحدث الفاضل أحمد شهاب الدين بن تنبك الأينالي الأشرفي الذي كان والده أحد الأمراء في عصر المماليك تولى منصب الحاجب[(٦)].

ومن العلماء الذين صاحبهم مؤرخنا عبد البر سري الدين محمد بن محمد بن محمد

---

(١) **الزردكاش:** وهو لفظ أعجمي كان مستخدم في العصر المملوكي ليدل على صناعة السلاح ومكان عمله السلاح خاناه أي (بيت السلاح) الذي يسمى أيضاً الزردخاناه فكلمة زرد هنا تعني سلاح. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١١؛ محمد أحمد الدهان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٨٦.

(٢) نيل الأمل، ج٩/ ص١٧.

(٣) الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٤٠.

(٤) **ششين الكوم:** إحدى قرى القاهرة في المحلة الكبرى بينهما نصف يوم. ابن الجيعان، التحفة السنة بأسماء البلاد المصرية، ص٨٤؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج٥/ ص١٨٧.

(٥) نيل الأمل، ج٦/ ٢٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨٤؛ ابن إياس، بدائه الزهور، ج٣/ ص١٨٠.

بن محمد بن محمود أبو البركات الذي يعرف بابن الشحنة (ت٩٢١هـ/ ١٥١٥م)[١] وقد اشتهر بعلمي الحديث والفقه ودرسهما. ومن أشهر المدارس التي درس فيها مدرسة الشيخونية التي تولاها بعد أبيه المؤلف المعروف بمحب الدين ابن الشحنة[٢] وذكر لنا من أصحابه في طرابلس الغرب التاجر عبد الحميد العوادي كبير التجار في هذه المدينة حيث إقام عبد الباسط في منزله حينما زارها[٣]. وأشار الى مصاحبته للسيوطي في ترجمته لوالده الكمال السيوطي المتوفى في صفر سنة ٨٥٥هـ حيث قال ((والد صاحبنا الحافظ العلامة المجتهد الجلال السيوطي وكان عالما فاضلا،بارعا،ناظما،ناثرا سمع على جماعة وله مصنفات ومولده سنة احدى وثمانمائة)) [٤].

ومن أصحاب السلطة ممن صاحبهم المؤلف نائب مدينة جدة الأمير شاهين بن يوسف بن كاتب جكم المعروف بالجمالي[٥]، وذكر السخاوي شاهين الجمالي هذا بوصفه أحد الأمراء الذين تولَوا عدّة وظائف حيث تسلم منصب ناظر الخاص[٦]، وقد أثنى عليه وقال أنه صاحب عقل وفهم مقبل على العلم محمود السيرة في وظائفه[٧].

---

[١] السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص٣٣؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١/ ص٣٨٦؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص٢١٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨/ ص٩٨.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٤٠٧.

[٣] عمر عبد السلام تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط الروض الباسم، ص١٣.

[٤] نيل الأمل، ج٥/ ص٣٣٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص١٨١.

[٦] **ناظر الخاص:** وهو منصب استحدثه السلطان الناصر محمد بن قلاوون حينما ألغى الوزارة ومن مهامه إدارة الأموال الخاصة بالسلطان وتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٥٣٤، ج٤/ ص٢٨، ج٥/ ص٤٣٧؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص١٠١.

[٧] السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٩٣.

ومن أصحابه التجار أبو القاسم محمد الغرناطي الأندلسي نزيل تونس وكبير التجار بها وقد استعان المؤلف أثناء زيارته لتونس بصاحبه هذا لفك أسر أحد المسلمين الأتراك عند الفرنج حيث كلمه باللغة التركية فعلم أنه مسلم وأثناء فداء أسرى المسلمين في تونس لم يفهم لغته أحد فظنوه من غير المسلمين ولم يدفع له مبلغ الفداء فساعده كبير التجار هذا وقد بقي هذا التركي مصاحبا لعبد الباسط يعمل في خدمته وعاد معه إلى القاهرة وتوفّى هناك في سنة (٨٧٨هـ/ ١٤٧٢م)[١]

---

[١] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط، ص٩.

المبحث الخامس: رحلاته.

لقد عرف عبد الباسط الظاهري التنقل والترحال من نعومة أظفاره. ففي سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م انتقل مع أبيه إلى مدينة طرابلس الشام حينما تسلم والده إمرة عشرين[١] في تلك المدينة وبقيَ هناك مدّة حيث سكن مع أبيه .كما أشار هو إلى ذلك .وكان سكنه في تلك المدينة بجوار مفسر الأحلام محمد بن محمد بن سلمان الأوزاعي المعروف بالبابا[٢].وفي هذا نلاحظ أمرين الأول أن المؤلف كان في رحلته هذه في عمر الخامسة عشر والأمر الثاني أن مجاورته في السكن لذلك المفسر أثر في ميله إلى هذا العلم ودراسته والتأليف فيه فيما بعد. وقد أشار عبد الباسط إلى ملازمته إلى هذا الشيخ حينما قال: **((وكنت قد لازمته كثيراً في الفقه والتعبير وأخذت عنه الكثير وانتفعت به))**[٣].وقد امتدت إقامته في طرابلس الشام مع أبيه لمدة ستة أعوام تلقى في أثنائها العلوم على بعض شيوخ هذه المدينة فضلاً عمّا كان يسمعه ويتلقاه على يد أبيه الذي استغل فرصة وجوده فيها للتأليف والتدريس والمطالعة[٤].ومن الأماكن التي زارها في المغرب جزيرة جربة[٥] التي وصل إليها في شهر رمضان سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م وأعطى لها وصفاً جغرافياً واضحاً من حيث تحديد مكانها وقربها من البر وذكر ما تشتهر به من الأشجار والمحاصيل الزراعية والمواشي ووصف ميناءها وحصنها المنيع[٦]. وبعد هذه الجزيرة زار مدينة طرابلس

---

[١] **إمرة عشرين:** هي رتبة تمنح للأمراء الذين يقودون عشرين مملوكا أثناء الحرب ومن بين هؤلاء تم اختيار صغار الموظفين في الدولة. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١١٣؛ فهمي، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص٧٦.

[٢]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٤ نقلاً عن الروض الباسم، ج٣/ ورقة ١٠٦.

[٣]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٥ ، نقلاً عن الروض الباسم ج١/ ورقة ٩٧ .

[٤]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٣ – ٢٤. نقلاً عن الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٦٨، ١٠٥

[٥] **جربة:** جزيرة في بحر أفريقيا أقرب البلاد إليها قابس ذات نخل وكروم وبينهما وبين البر نحو ميل. الحميري، الروض المعطار، ص٧٥.

[٦] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط، ص١٣.

الغرب[١].وفي العام ذاته دخل إلى مدينة قابس[٢] ثم مدينة القيروان[٣] وبعدها عاد إلى تونس حيث مكث فيها عدّة أيام فرحل عنها إلى مدينة تلمسان ومن هذه الأخيرة توجه إلى مدينة باجه[٤] وبعدها رحل صوب قسنطينه[٥] وفي عام ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م زار مدينة بجاية[٦] حيث التقى ببعض الشيوخ هناك ومنها ذهب إلى الجزائر ثم مدينة مازونا[٧] وقلعة هوارة[٨] ثم وهران[١] التي أفاد من شيوخها كثيراً ثم

---

[١] **طرابلس الغرب:** إحدى مدن أفريقيا وهي مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر يضرب في سورها المثل بني من الحجر ويقال أن معنى طرابلس ثلاث مدن أو مدينة الناس وفيها أسواق حافلة وبساتين وأهلها تجار. الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٩.

[٢] **قابس:** مدينة من بلاد أفريقيا بينها وبين القيروان أربع مراحل وبينها وبين طرابلس الغرب ثمانية أيام وهي مدينة كبيرة قديمة يحيط بها سور من الصخر وفيها فنادق وحمامات ويحيط بها أيضاً خندق من الماء وهي ذات بساتين ومزارع تشتهر بالحرير. البكري، معجم ما استعجم، ص١٧؛ الحميري، المصدر نفسه، ص٤١٥.

[٣] **القيروان:** هي قاعدة البلاد الأفريقية وأهم مدائنها وكانت أعظم مدن الغرب وأكثرها بشراً وأيسرها أموالاً وكان عقبة بن نافع أول مَن اختط هذه المدينة وبنى مسجدها المشهور. الحميري، المصدر نفسه، ص٤٨٦ – ٤٨٧.

[٤] **باجه:** مدينة كبيرة قديمة لها حصن قديم بني من الصخر تقع على جبل شديد البياض يسمى الشمس لبياضه كثيرة الأنهار والعيون يسكنها العرب والبربر وباسمها سميت باجة الأندلس، المصدر نفسه، ص٧٥.

[٥] **قسنطينه:** من أشهر بلاد أفريقيا تقع بين مدينتي تيجبس وميلة وهي مدينة قديمة كثيرة الخصب رخيصة السعر لها قرى عامرة تجارتها مزدهرة وأهلها مياسير وهي حصينة في غاية الحصانة. المصدر نفسه، ص٤٨١؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٦٥ – ١٦٦.

[٦] **بجاية:** قاعدة الغرب الأوسط مدينة عظيمة على ضفة البحر المحيط بها سور وبها دار صناعة السفن بناها ملوك صنهاجة. الحميري،المصدر نفسه، ص٨٠؛ مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص١٢٨.

[٧] **مازونا:** إحدى مدن المغرب تقع غرب مدينة مستغانم وتقع على بعد ستة أميال من البحر وتحيط بمازونا الجبال ولها مزارع وبساتين عامرة تشتهر بالفواكه والعسل. الحميري، المصدر نفسه، ص٥٢١؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٦٥٧.

[٨] **قلعة هوارة:** وتعرف بقلعة ستان معقل قبيلة هوارة حصينة جداً تقع على رأس جبل في غاية العلو تقع في أفريقيا في بلاد المغرب. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ ص١٠٤.

عاد إلى تلمسان. وفي سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) قصد المؤرخ ساحل وهران لزيارة الصخرة الشهيرة هناك ودخل المسجد المقام على ظهرها[٢]. وبعد أن أنهى رحلته المغربية قرر العبور إلى الأندلس فاشترى بضائع وسلع ليتاجر بها هناك وسافر في منتصف شهر ربيع الآخر سنة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) عبر البحر في مركب كبير مع مجموعة من تجار المغرب والأندلس وكانت أول مدينة أندلسية يدخلها هي مدينة مالقة[٣]، ثم توجه إلى قصر الإمارة بغرناطة[٤]، وفي زيارته لحاكم غرناطة حصل على إعفاء من الضرائب المفروضة على البضائع التي تاجر بها[٥].ويبدو أن مدينة غرناطة قد أعجبته كثيراً بدليل وصفه الدقيق لأبنيتها وصنائعها وأنهارها وبساتينها وحدائقها وأهلها بعبارات الإعجاب والفخر[٦]. ومن أشهر المناطق التي زارها في غرناطة ربض البيازين[٧]. لقد اقتصرت رحلة المؤلف على هذه المناطق فقط لأن معظم

بلاد الأندلس كانت أثناء مدة زيارته قد وقعت تحت سيطرة الأسبان وقد أشار المؤرخ إلى ذلك حينما قال إن غالب الأقطار الأندلسية والكثير من مدن الإسلام

---

[١] **وهران:** إحدى مدن المغرب تقع على ساحل البحر مدينة تشتهر بكثرة بساتينها وثمارها وأنهارها وهي من أحسن البلاد كثيرة القرى لها مرسى كبير للسفن ولها أسواق وصنائع. البكري، معجم ما استعجم، ص٧٠ – ٧١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٢.

[٢] عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٥٢، ٥٦، ٧٩؛ محمد كمال الدين عز الدين، عبد الباسط الحنفي مؤرخاً، ص٢٢.

[٣] **مالقة:** إحدى مدن الأندلس تقع على شاطئ البحر لها سور وهي مدينة حسنة عامرة كثيرة الديار تشتهر بشجر التين. الحميري، الروض المعطار، ص٥١٧.

[٤] **غرناطة:** وتسمى أيضاً أغرناطه مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعين ميلاً بناها المسلمون في الأندلس تشتهر بفواكهها المتنوعة وكذلك بالحرير والكتان ، المصدر نفسه، ص٤٥ – ٤٦.

[٥]تدمري مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٣٤. نقلاً عن الروض الباسم، ج٣/ ورقة ١١٢

[٦] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط، ص٢٥.

[٧] **ربض البيازين:** يقع في غرناطة بناحية باب الدقاق وهو كثير العمارة له والي وقاضي وقد اشتهر هذا الربض بثورة سنة ٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م على الأسبان حينما نقضوا العهود والمواثيق واعتدوا على الحرمات. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ ص٢٠٧؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص٣٢٣.

هناك وقعت تحت أيدي الأسبان والفرنج وعلق على ذلك بقوله: **((فلا حول ولا قوة إلا بالله))**[١].وفي عام (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) قرر المؤلف العودة إلى المغرب فوصل وهران ومنها إلى تونس حيث اجتمع بعائلته التي تركها هناك ليقرر بعدها الرجوع إلى موطنه في القاهرة ماراً بطرابلس الغرب وفي طريق عودته زار مدينة مصراته[٢] ثم برقة[٣] ومنها وصل إلى الإسكندرية ثم توجه منها صوب القاهرة التي فدخلها في السابع من ذي القعدة من عام (٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)[٤].ومن الجدير بالذكر إن المؤلف أفاد كثيرا من مكانته العلمية والثقافية في نظم الشعر التي قربته من الحكام ومن ثم الحصول على مكاسب مادية منهم عن طريق إعفاء بضائعه التي كان يتاجر بها أثناء تنقلاته بين المدن المغربية والأندلسية من الضرائب المفروضة على التجار آنذاك. ومكاسب هذه الرحلة لم تكن مادية فقط إذ التقى المؤلف بعدد من العلماء الذين أخذ عنهم المعارف وتذاكر معهم العلوم وقد ذكرنا هؤلاء العلماء في البحث الذي تناولنا فيه شيوخه[٥].لقد وصف عبد الباسط الأماكن التي زارها سواء كانت جوامع أم زوايا أم مدن أم أسواق وصفاً دقيقاً الأمر الذي جعل منه أحد الرحالة المسلمين في العصور الوسطى[٦].

---

[١] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط، ص٢٧.

[٢] **مصراته:** هي إقليم على شاطئ البحر المتوسط تبعد عن طرابلس بأكثر من مائة ميل وتشمل على قصور وقرى بعضها في السهل وبعضها بالجبل وأهلها أغنياء لعملهم في التجارة. الفاسي، وصف أفريقيا، ج٢/ ص١١١.

[٣] **برقة:** مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وأفريقيا بينها وبين البحر ستة أميال فيها آثار قديمة وتشتهر بالمواشي التي تصدرها إلى مصر وبها عدّة صناعات. الحميري، الروض المعطار، ص٩١.

[٤] محمد كمال الدين عز الدين، عبد الباسط الحنفي مؤرخاً، ص٢٦.

[٥] ينظر موضوع دراساته وشيوخه من هذه الدراسة .

[٦] تنظر المقالة التي كتبها زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص١٧٢ – ١٧٧.

المبحث السادس: علاقته بالسلطة وموقفه منها.

بفضل المكانة الاجتماعية والعلمية التي حصل عليها عبد الباسط بن خليل فقد كانت له اتصالات وعلاقات بالسلطة في زمانه سواء كان ذلك في مصر موطنه أم في أثناء رحلته إلى المغرب وقد كان لمكانة أبيه في الدولة المملوكية بوصفه أحد رموزها وموظفاً كبيراً فيها أثر في فتح المجال أمام عبد الباسط ليكون على مقربة من مراكز السلطة، لاسيما وأن أباه تولى منصب الوزارة وكان عديلاً للسلطان الأشرف برسباي. وكانت له مكانة رفيعة عند سلاطين آخرين في مقدمتهم السلطان خشقدم غير أن حديثنا سينصب على علاقة مؤرخنا بأقطاب السلطة ففي أثناء زيارته إلى تونس سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) اتصل بمحمد المسعود بالله بن المتوكل على الله عثمان ولي عهد حاكم تونس وابنه على أثر دعوة قدمها الأخير إليه فلما التقى به في قصره رحب ذلك السياسي به وأكرمه فأنشده البيتين التاليين:

ألا يا آل حفص يا ملوك ويا درر حلي بهم نظمت سلوك

ألا فقتم ملوك الأرض طراً فما من بعدكم أحد مليك

فأعجب بها غاية الإعجاب ومنحه جائزة على ذلك وأعفى تجارته من الضرائبً غير أن هناك فائدة علمية أفادها المؤرخ من اتصاله بالبلاط التونسي اذ أن الطريق فتحت أمامه لزيارة مجلس ولي العهد مراراً وتكراراً[1]. فلابد وأن كان لهذه الزيارات أثرها الكبير في حصوله على المعلومات عن الأحداث السياسية التي كانت تدور في تونس أثناء زيارته أو التي حدثت قبل تلك الزيارة ومن الأدلة على ذلك هو تدوين المؤلف لأخبار تونس في عدد من صفحات كتابه نيل الأمل[2]. غير أن علاقات المؤلف بالسلطة لم تكن طيبة دائما، بل شابها أحياناً التوتر، ففي أثناء زيارته إلى طرابلس في سنة (٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) حدث موقف للمؤلف مع واليها، الذي وصفه المؤلف بالظالم ولهذا لم يقم بزيارته غير أن موقف المؤلف هذا أثار

---

[1] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٧. نقلاً عن عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٥٢

[2] ينظر : نيل الأمل، ج١/ ص١٩٢، ٢٠١، ج٤/ ص٢٩١، ٣٢٦، ٣٤٦، ٣٨٧، ج٨/ ص١٢٢، ١٥٦.

حفيظة ذلك الحاكم وأراد إلحاق الضرر بعبد الباسط فطلب منه أن يبعث إليه ثوب من الصوف على سبيل الشراء لأنه كان يتاجر في زيارته لهذه المدينة بتلك الثياب فبعث إليه ثوباً طوله أربعين ذراعاً كان اشتراه من تونس بثمانية وعشرين ديناراً فأخذه ذلك الحاكم ولم يعطه ثمنه فتدخل أحد القضاة واستعاد الثوب إلى المؤلف مما زاد في العلاقة توتراً[1]. فظلَّ ذلك الحاكم يتربص بالمؤلف ويتحين الفرص للإيقاع به مستغلاً حادثة وقعت للمؤلف حينما اشترى عشرة جواري وأمر مملوك له كان قد أسلم حديثاً بأن يذهب إلى بيروت لبيعهن هناك غير أن المملوك ارتدَّ عن الإسلام وتوجه بالجواري إلى جزيرة رودس. فلما علم حاكم طرابلس بذلك أراد أن يستغل ذلك الأمر فأمر بإحضار عبد الباسط فلما حضر سأله عن أمر الجواري فقال أنه أرسلهن إلى بيروت فقال له بل بعثت بهن إلى رودس من أجل البيع هناك فتعهد عبد الباسط بأنه اذا كان فعل ذلك فعليه ألف دينار لبيت المال وبعد بضعة أيام جاء من أخبر حاكم طرابلس بأن ذلك المملوك باع الجواري في رودس بعد ارتداده عن الإسلام فأحضر المؤلف مرة أخرى وكان الحاكم قد اتفق مع مَن أخبره بذلك الخبر بأن يشهد أمام المؤلف دون أن يذكر أن ذلك المملوك ارتدَّ عن الإسلام. فلما فعل ذلك طلب منه الألف دينار وأمر بحبسه مباشرة ومصادرة جميع ما في داره التي كان يسكنها وهو في طرابلس لكن قاضي المدينة علم بما جرى للمؤلف وأن ذلك المملوك إنما فعل ذلك بعد ارتداده عن الإسلام، فطلب من القائد الإفراج عن المؤلف لأن الشرط الذي قطعه على نفسه غير واجب التنفيذ فاضطر ذلك الحاكم إلى إطلاق سراحه[2].

ومن أصحاب السلطة الذين اتصل بهم المؤلف أثناء رحلته إلى المغرب هو صاحب غرناطة الذي سمّاه المؤلف السلطان أبو الحسن حيث بعث هذا السلطان إلى المؤلف يطلب منه المجيء إلى القصر وحينما وصل إليه أخذ ذلك الحاكم يسأله عن مصر والشام وعن تونس وتلمسان وأكد المؤلف أنه أجاب على جميع الأسئلة

---

[1] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٧. نقلاً عن عبد الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٥٦

[2] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٢٨ نقلاً عن الباسط الظاهري، الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٥٦

التي أثارت إعجاب حاكم غرناطة وبمقابل ذلك أكرم المؤلف بإعفائه من الضرائب التي تفرض على تجارته[١].

إن هذه العلاقات التي سجلها لنا المؤلف وربما هناك اتصالات أخرى له مع سياسيين وحكام آخرين لم يأتِ على ذكرهم قد أفادته في جانبين تمثل الأول بتمكينه من الحصول على تفاصيل الأحداث عن قرب، ومن الجانب الثاني سهَّلَ له العمل في التجارة عن طريق إعفائه من الضرائب المفروضة على غيره من التجار.

المبحث السابع : وفاته.

ليس هناك اختلاف في تاريخ وفاة عبد الباسط بن خليل، فقد حدد تلميذه ابن إياس تاريخ وفاته في شهر ربيع الأول في سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)[٢].وأكد ابن إياس أيضاً أنه توفّى بعد أن عانى من علة السل نحو عام ونصف قضاها منقطع عن الناس في داره[٣]. وأشارت بعض المصادر والمراجع الأخرى على سنة وفاته هذه أيضاً[٤].

---

[١] الروض الباسم، ج٣/ ورقة ١٣٣ نقلاً عن تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٣٤.

[٢] بدائع الزهور، ج٥/ ص٩٦.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٧٤.

[٤] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢/ ص١٦٠٤؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤؛ الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٧٠؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٥/ ص٦٨.

المبحث الأول: شيوخه

بدأ عبد الباسط بن خليل رحلته العلمية منذ صغره فبعد انتقاله من مدينة ملطية التي ولد بها إلى حلب ودمشق وهناك أخذ بقراءة القرآن الكريم وحفظ منظومة النسفي[1] والكنز[2]. واستمر في دراسة العلوم والمعارف المختلفة على شيوخ عصره ومن تلك العلوم اللغة العربية والمعاني والبيان والمنطق والحكمة والنحو والطب والتاريخ[3].

وقد ذكر لنا عبد الباسط نفسه فضلاً عن المصادر التي ترجمت له الكثير من شيوخه وما تعلمه عليهم من علوم ومعارف. ففي الحديث النبوي الشريف تتلمذ على جملة من العلماء ومنهم شجاع الدين بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكري الشافعي توفّى سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م كان فاضلاً خيراً[4]. ومن أشهر شيوخه في هذا العلم الشيخ محي الدين محمد بن سلمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي المشهور بالكافيجي المتوفى سنة ٩٨٧هـ/ ١٤٧٤م.والذي وصفه مؤرخنا((... **شيخنا الامام العلامة أستاذ العالم ... اماماً عالماً، علامة، فاضلاً، بارعاً، كاملاً، محققاً، مدققاً، عارفاً بالفنون ماهراً... بارعاً في النقليات انتهت إليه رئاسة العلوم العقلية بمصر صنف وألّف مع مهابة نفس وحرمة أدب وحشمة وجيهاً عند الملوك...**))[5]. ومن العلماء الذين تتلمذ عليهم مؤرخنا في الحديث الشريف شيخ تونس أبو إسحق إبراهيم بن محمد الجدري(ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) وصفه بأنه شيخ تونس وعالمها وقال انه: **((كان عالماً فاضلاً بارعاً كاملا عارفاً بالفنون ماهراً فيها، نزهاً، عفيفاً، صالحاً ...**

---

[1] **منظومة النسفي:** كتاب من تأليف أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد الحنفي المتوفي سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م وتتكون من ٢٦٦٩ بيتاً أولها بسم الإله رب كل عبد ... والحمد لله ولي الحمد . ينظر، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢/ ص١٨٦٧.

[2] **الكنز:** هو كتاب في الفقه الحنفي ألّفه أبو الفضائل شهاب الدين أحمد بن أبي بكر صالح بن عمر المولود سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م المتوفي سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١/ ص٢٠٨.

[3] السخاوي، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٧.

[4] المصدر نفسه، ج٩/ ص١٧٣؛ عبد الباسط بن شاهين، نيل الأمل، ج٧/ ص٨١.

[5] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٠٤ – ١٠٥.

حسن السمت والملتقى كثير البشر والبشاشة مقبلاً على شأنه))[١]. وكذلك أخذ في الحديث النبوي على الشيخ أمين الدين يحيى بن محمد الحنفي الاقصرائي[٢]. ولد هذا الشيخ سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وتوفّى سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م[٣] وقال تلميذه السخاوي ان الطلبة كانوا يتداولون تحصيله في الحديث النبوي الشريف[٤] ومنهم أيضا عالم تونس أبو اليمن إبراهيم الأخذري حيث قال عبد الباسط انه تباحث مع هذا الشيخ وان الأخير أنس به وأعجب بكلامه وكان موضع اللقاء جامع الزيتون بتونس وذكر انه جالسه كثيراً وسمع عنه الكثير من فوائده وتحقيقاته ووصف مكانته العلمية بأنه كان آية في العلوم والفنون وأهم ما درسه على هذا الشيخ هو علم الحديث النبوي الشريف[٥].

وأخذ علم الحديث أيضاً في المدرسة المسماة مشيخة المؤيدية[٦] على يد الشيخ سيف الدين الحنفي الذي وصفه المؤرخ بالعلامة وذكر يوم دخوله إلى تلك المدرسة انه كان في مشهد حافل[٧].كما درس الحديث النبوي الشريف على الشيخ العلامة أبو القاسم محمد المسراتي وأخذ عنه الكثير من الفوائد في علم الحديث النبوي الشريف[٨]. وفي مدينة طرابلس الغرب التقى بشيخها ومفتيها القاضي منصور البنجريري وأخذ عنه الكثير من فوائده في علم الحديث النبوي الشريف ووصفه بأنه إنسان حسن من أولي العلم ولديه فضيلة وأدب[٩].

---

[١] نيل الأمل، ج٧/ ص١٥٢.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٥٦.

[٣] ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة ،جج١٢/ص١٤٩.

[٤] الضوء اللامع، ج١٠/ ص٢٤٠.

[٥] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري، ص٨ – ٩.

[٦] **مشيخة المؤيدية:** وهي مدرسة لتدريس الحديث النبوي الشريف تسمى مشيخة المدرسة المؤيدية نسبة إلى منشئها السلطان المملوكي المؤيد شيخ الظاهري (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢١م) وتقع في القاهرة في منطقة باب زويلة. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥١٠؛ السخاوي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص٢٠٩؛ العليمي، الأنس الجليل، ج٢/ ص٢٢٧.

[٧] نيل الأمل، ج٧/ ص١٥.

[٨] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري، ص١٦.

[٩] تدمري، المرجع نفسه ، ص١٣.

أما شيوخه في الفقه فمنهم شمس الدين محمد بن محمد بن سليمان الأوزاعي الدمشقي المعروف بالبابا ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م[١] ووصفه تلميذه عبد الباسط بأنه: **((كان عالماً فاضلاً ماهراً ... عارفاً بالفقه صنف وألّف))**[٢]. ويعد شيخه سابق الذكر محي الدين الكافيجي من أبرز الذين درس عليهم الفقه وقد نقل بعض أخباره في عدة مواضع من كتابه نيل الأمل كقوله في أحداث سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م **((وفيه-أي محرم استقر شيخنا الاستاذ العلامة الشيخ محي الدين الكافيجي في مشيخة الخانقاه[٣] الشيخونية))** [٤]. كما ذكر بعض فتاويه الفقهية كقوله: **((وأفتى شيخنا العلامة الكافيجي رحمه الله وجماعة من علماء مصر ... وكان كلام شيخنا في ذلك من أحسن الكلام وأقربه إلى الإنصاف وأجله))** [٥]. وتتلمذ على إبراهيم الحرري الذي أورد المؤلف فتواه على استفتاء ورد من علماء تونس في مولود نصفه آدمي ونصفه الآخر صفة الحية هل يرث أم لا ؟ فوقع اختلاف بين العلماء في مصر حول هذا الاستفتاء فأفتى شيخه بأنه إذا كان صفة الحية من جهة رأسه فلا ميراث له وإذا كان من جهة أسفل جسمه فله الميراث[٦]. أما في اللغة العربية وآدابها فتتلمذ على بعض العلماء والأدباء منهم سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد الديري القاهري الحنفي (ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) وصفه تلميذه عبد الباسط بأنه شيخ مشايخ الإسلام وملك علماء الأعلام المؤلف صاحب النظم الحسن وقد حصل على إجازة هذا العالم برواية الكثير من شعره[٧]. ويعد إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل

---

[١] وردت ترجمة هذا الشيخ عند السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٤٣١.

[٢] نيل الأمل، ج٦/ ص٢١٩.

[٣] **الخانقاه:** أنشأها سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٦م تقع في خط الصليبة خارج القاهرة قرب جامع شيخو كان يدرس فيها علوم القرآن والفقه. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٥٩٠؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٢٩٢.

[٤] نيل الأمل، ج٥/ ص٤١٣ ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢/ ص٤٨١.

[٥] نيل الأمل، ج٥/ ص٤١٣

[٦] المصدر نفسه ج٦/ ص١٤٩.

[٧]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٤١ نقلاً عن الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٦٨.

نجم الدين القرمي الظاهري الحنفي (ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥) من أبرز شيوخه في هذا الباب[١]. وقد ذكره السخاوي قائلاً ان: ((**من أخذ عنه العربية والمعاني والبيان عبد الباسط بن خليل بن شاهين**))[٢].

ومن شيوخه في الأدب الشيخ يحيى البجائي المالكي (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) التقاه أثناء رحلته إلى بلاد المغرب وقد وصفه تلميذه عبد الباسط بأنه كان من العلماء الفضلاء العارفين بالأدب والنظم[٣].وأما في التاريخ فقد كان شيخه ومعلمه الأول والده الذي تلقى منه ذلك شفاهاً ومباشرةً ونقل عنه عدة أخبار في هذا المجال كقوله: ((**قال لي شيخنا الوالد رحمه الله من حينئذ خارت قوى الأشرف واشتغل باطنه بالخوف من الأمير جانبك وكان ذلك سبب لحدوث مرضه الذي مات به**))[٤]. مما يدل على أنه كان يأخذ الأحكام حول بعض الأحداث التاريخية عن طريق أبيه. ومن شيوخه في علم التاريخ شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) الذي يعد من أبرز المؤرخين المصريين في القرن التاسع الهجري وصاحب كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع[٥]. والذي ترجم فيه لعبد الباسط ومما قال في تلك الترجمة: ((**وأقبل على التاريخ واستمد فيه مني كثيراً وتردد إليه له ولغيره من الدروس ...**))[٦]أما في الطب فقد تعلم على يد بعض الأطباء منهم أبو عبد الله محمد الرازي القسنطيني التونسي المالكي (ت٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م) الذي كان من العلماء وأكابر الفضلاء عالماً بالطب عارفاً به[٧]. وفي مدينة القيروان تعلم صنعة الطب على يد الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بابن البكوش حيث أخذ المؤلف يتردد إليه ويحضر دروسه ومجالسه ومما قاله في هذا المجال: ((**وأخذنا**

---

[١] السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٧٦، نيل الأمل،ج٧/ص١٣١-١٣٢

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٧٦.

[٣] نيل الأمل، ج٧/ ص٢٧٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٣.

[٥] ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص١٧٨؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج١/ ص٥٣ – ٥٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢/ ص١٨٤؛ القنوجي، التاج المكلل، ص٣٤٩.

[٦] الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧.

[٧] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٢٢٣.

عليه العلم الكثير في الوقت اليسير باجتهاده وكثرة ترداد ما بين قراءة بنفسنا عليه وسماع واستفدنا منه نبذة جيدة في صناعة الطب وحصلنا الفوائد الجمة الجليلة إلى الغاية والنهاية وأجاز لنا))[١].وفي علم تفسير الأحلام الذي كان يسمى ايضا علم التعبير، تعلم على يد الشيخ الاوزاعي المعروف بالبابا الذي مر ذكره والذي وصفه مؤرخنا بأنه كان ماهراً في علم التعبير[٢]. ومن العلوم التي ذكر عبد الباسط بن خليل انه تذاكرها مع بعض الشيوخ علم الهندسة والمساحة حيث قال ان والده أخذه معه إلى المدرسة المؤيدية التي درس فيها الشيخ سعد بن محمد الديري القاهري (ت٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) والذي مر ذكره سابقاً وان ذلك الشيخ قال لأبيه علمت ان ابنك طالب علم حاذق وان عبد الباسط سأله عن مسألة أعجبت ذلك الشيخ ثم انتقل إلى الحديث عن علمي الهندسة والمساحة وان ذلك الشيخ دعا له وأجازه في سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م[٣]. إن عدم قيام مؤلفنا بالتأليف في هذا المجال أي الهندسة والمساحة يشير الى عدم اهتمامه بهما على خلاف معظم العلوم التي درسها وصنف فيها.

وذكر لنا عبد الباسط بن شاهين بعض الشيوخ الذين تعلم عليهم أكثر من علم ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد الواصلي التونسي المالكي (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) وقال عنه تلميذه عبد الباسط أنه: **((كان عالماً فاضلاً عارفاً بالفنون من أكابر علماء تونس مع الخير والدين المتين والعفة والصلاح))**[٤].ويبدو من هذا النص والنصوص المشابهة التي امتدح فيها شيوخه أنه كان على علاقة طيبة بهم من جهة ومن جهة ثانية توضح لنا هذه النصوص احترامه وتبجيله لشيوخه اعترافاً منه بفضلهم عليه، وفيما يخص شيخه هذا ، فقد قال المؤلف عنه في كتاب آخر له **((كان عالماً بسائر الفنون العلمية وله في ذلك اليد الطولى في سعة الباع والاطلاع وكان أحد مدرسي تونس ... وحضرت دروسه كثيراً وسمعت عليه الكثير**

---

[١] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري، ص١٥.

[٢] نيل الأمل، ج٦/ ص٢١٩.

[٣]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٤٧ نقلاً عن الروض الباسم، ج٢/ ورقة ١١.

[٤] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٣٥.

من صحيح مسلم ومن تفسير القرآن والفقه المالكي والعربية والمعاني البيان))[١]. وتعلم عدة فنون أيضاً على يد الشيخ سيف الدين محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركي القاهري (٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)[٢]. وترجم له عبد الباسط قائلاً انه: ((**وكان عالماً فاضلاً بارعاً كاملاً محققاً خيراً ديناً صالحاً ... ماهراً في عدة فنون...))**[٣].ومنهم الشيخ الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن عباس التلمساني الذي التقى به في مدينة تلمسان[٤]. وقال عنه أنه وجده بحر في الفنون والعوم آية في ذلك وأخذ يتردد إليه وحضر كثيراً من دروسه في مختلف العلوم لمدة ستة أشهر ووصفه أنه أجل علماء تلمسان[٥] .

وهكذا فقد ضمت قائمة شيوخ عبد الباسط الظاهري قسم من والعلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة وقد انعكس ذلك على إنتاجه العلمي فقد جاءت مؤلفاته في مختلف العلوم – كما سنرى في المبحث القادم –

---

[١]تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج٦/ ص٣٣٥ هامش ٦. نقلاً عن الروض الباسم، ج٤/ ورقة ٢٠٠

[٢] السخاوي، الضوء اللامع، ج٩/ ص١٧٣؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج١/ ص٢٣١؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١٦٨.

[٣] نيل الأمل، ج٧، ص١٧٣.

[٤] **تلمسان:** وهي مدينة عظيمة قديمة تعد قاعدة المغرب الأوسط بينها وبين مدينة وهران مرحلتان وكانت عاصمة مملكة زناتة تضم مدن وقرى كثيرة. الحميري، الروض المعطار، ص١٣٥.

[٥] تدمري، مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري، ص١٧.

المبحث الثاني: مؤلفاته.

تنوعت الدراسات التي أخذها عبد الباسط على شيوخه وكانت في مختلف العلوم والمعارف. وقد انعكس ذلك على نتاجه العلمي حتى كانت مؤلفاته متنوعة العلوم والفنون وهي:-

أولاً – علوم القرآن

ألّف عبد الباسط الظاهري في هذا المجال كتابين هما:

١- القول الخاص في تفسير سورة الإخلاص[١]، وهو في تفسير القرآن الكريم ويعد من مؤلفاته المفقودة.

٢- النفحة الفائحة في تفسير سورة الفاتحة انفرد في ذكر هذا الكتاب إسماعيل باشا البغدادي[٢]، ولم نجد ذكراً له في المصادر التي كتبت عن المخطوطات أو المطبوعات أو فهارس الكتب لذلك يعد مفقوداً.

ثانياً – الفقه

ألّف عبد الباسط بعض المؤلفات في فقه الحنفية الذي ينتمي إليه وقد قال ابن اياس في ترجمته لشيخه عبد الباسط: **((وكان له اليد الطولى في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة (رض) ... وله عدة مصنفات نفيسة ... وغير ذلك في الشروح على كتب الحنفية))**[٣] ومن هذه المؤلفات:-

١- الأذكار المهمات في المواضيع والأوقات[٤].

٢- الحكمة في كون الخمس صلوات مخصوصة بهذه الأوقات وهو من المؤلفات التي انفرد بذكرها إسماعيل باشا البغدادي[٥].

٣- الدر الوسيم وتوشيح وتتميم التكريم في تحريم الحشيش ووصفه الذميم[٦]، ويتضح من عنوان هذا الكتاب أنه يعالج الحكم الفقهي حول هذا النبات المخدر وتحريمه. وذكر

---

[١] البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٥/ ص٦٨.

[٢] المرجع نفسه، ج١/ ص٤٩٤.

[٣] بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٧٤.

[٤] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤.

[٥] المرجع نفسه، ج١/ ص٤٩٤.

[٦] المرجع نفسه، ج١/ ص٤٩٤.

حاجي خليفة إن عبد الباسط بن خليل شرح في كتابه هذا كتاب تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة لمؤلفه قطب الدين محمد بن أحمد المالكي (ت٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)[١].

٤- القول المشهود في تشهد ابن مسعود[٢]، هو التشهد الذي قال الصحابي عبد الله بن مسعود (رض) أنه تعلمه من الرسول الكريم (ص)[٣].

وجميع هذه المؤلفات الفقهية تعد من مؤلفاته الضائعة إذ لا يوجد لها ذكر في فهارس المخطوطات أو المطبوعات.

ثالثاً – اللغة العربية وآدابها.

أما في اللغة العربية فقد صنف مؤلفان هما:

١- الزهر المقطوف في مخارج الحروف[٤].

٢- القول المأنوس في حاشية القاموس، ويظهر من هذا العنوان أن المؤلف كتب تعليقات على القاموس المحيط المشهور لمؤلفه محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م)[٥]. وهذان الكتابان من مؤلفاته المفقودة أيضاً .

أما في الشعر فلم تذكر المصادر أن هناك ديوانا شعريا لمؤرخنا بل ذكرت بعض القصائد والأبيات الشعرية في عدة مناسبات منها مرثية لمعاصره المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وهي في اثني عشرة بيتاً وهي:-

مات جلال الدين غيث الورى ... مجتهد العصر امام الوجود

وحافظ السنة مهدي الهدى ... ومرشد الضال بنفع يعود

فيا عيون انهملي بعده ... ويا قلوب انفطري بالوقود

واظلمي يا دنيا إذ حق ذا ... بل حق أن ترعد فيك الرعود

وحق للضوء بأن ينطفيء ... وحق للقائم فيك القعود

---

[١] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١/ ص٧٣٧.

[٢] البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص١٩٤.

[٣] السرخسي، المبسوط، ج١/ ص٣٧؛ ابن عبد البر، الاستذكار، ج١/ ص٨٥؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج٢/ص٣١٢.

[٤] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج٥/ ص٦٨.

[٥] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢/ ص١٣٠٨؛ كحالة، المرجع نفسه، ج٥/ ص٦٩؛ تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٣.

وحـــق للنـــور بـــأن يختفـــي ولليـــالي البـــيض أن تبـــق ســـود
وحـــق للنـــاس بـــأن يحزنـــوا بـــل حـــق أن كـــلا بـــنفس يجـــود
وحـــق للجبـــال أن تخـــرّ وأن تطـــوى الســـماء طيـــا كيـــوم الوعـــود
وأن يفـــور المـــاء والأرض وأن تميـــد اذ عـــم المصـــاب الوجـــود
مصـــيبة جلـــت فحلـــت بنـــا وأورثـــت نـــار اشـــتعال الكبـــود
صـــبَّرنا لله عليهـــا وأولاه نعيمـــا حـــل دار الخلـــود
وعمـــه منـــه بوابـــل الرضـــا والغيـــث بالرحمـــة بـــين اللحـــودِ[1]

وفضـلاً عـن هـذه القصـيدة هنـاك بعـض الأبيـات التـي قالهـا عبـد الباسـط فـي مناسبات مختلفة منها ما قاله في مدح حكام تونس من آل حفص[2] قائلاً:-

ألا يـــا آل حفـــص يـــا ملوكـــا ويـــا در حلـــي بهـــم نظمـــت ســـلوك
ألا فقـــتم ملـــوك الأرض طـــرا فمـــا مـــن بعـــدكم أحمـــدكم مليـــك[3]

وقال أيضاً حينما زاره أحد القضاة وهو مريض:

لـــي ســـيد زار ومـــا زرتـــه فمنـــي الـــنقص ومنـــه التمـــام
إن يحمـــل ســـهوي ففقـــه مضـــى لا فـــي المـــأموم وهـــو الإمـــام
طالمـــا زار الغمـــام الثـــرى ولـــم يـــزر قـــط الثـــرى الغمـــام[4]

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص٢٤٣ – ٢٤٤؛ الغزي، الكواكب، السائرة، ج١/ ص٢٣٢.

(2) **آل حفص**: الحفصيون هم حكام تونس استقلوا عن الدولة الموحدية في عهد أبي زكريا يحيى الحفصي الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية حكم الحفصيون خلال الفترة (٦٢٨ – ٦٤١هـ/ ١٢٣٠ – ١٢٤٣م). ينظر: سوادي عبد محمد، دراسات في تاريخ المغرب العربي، ٢٩٦؛ رضا هادي عباس وكريم الخزاعي، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٩.

(3) تـــدمري، مقدمـــة تحقيـــق كتـــاب نيـــل الأل، ج١/ ص٢٦ –٢٧ نقلاً عن الروض الباسم، ج٢/ ورقة ٥٢

(4)تدمري،مقدمة تحقيق نيل الامل نقلاً عن الروض الباسم، ج٢/ ورقة٥٦ .

خامساً: التاريخ.

إن أكثر مؤلفاته كانت في التاريخ حيث ألّف فيه تسعة كتب وهي:

١- الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم[١]، الذي يعد أوسع كتاب تاريخي له. وقد وصفه مؤلفه بأنه (التاريخ الكبير)[٢] وبهذا الوصف أخذ الزركلي حيث سماه أيضاً (تاريخه الكبير)[٣] وقد ذكرأحد الباحثين قول عبد الباسط في مقدمة كتابه هذا قال: ((**مسطره الفقير إلى الله تعالى عبد الباسط بن خليل الحنفي ... هذا تعليق جمعة في التاريخ أنيق وابتدأت فيه من مولدي الذي هو سنة أربع وأربعين وثمانمائة ليكون عوناً في الحوادث المتجددات والوفيات على التحقيق ... ولما كمل هذا الترتيب وتم ... سميته الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم**))[٤].ويبدو من هذا النص أن الكتاب يؤرخ معظم الفترة التي عاشها مؤلفه وتحديداً الفترة الزمنية الواقعة بين السنوات ٨٤٤ – ٨٧٤هـ/ ١٤٤٠ – ١٤٦٩م أي أنه لم يستمر بالكتاب إلى قبيل وفاته المؤرخة في سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م. أما تاريخ تدوين هذا الكتاب فقد أشار أحد الباحثين إلى أن عبد الباسط الظاهري انتهى من تأليفه في سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م[٥]. وذكر باحث آخر ان كتاب الروض الباسم يبحث في تاريخ الدول الإسلامية ولاسيما مصر وبلاد الشام على نمط كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمؤلف المصري تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)[٦]. ويعد كتاب الروض الباسم من مؤلفاته الموجودة لكنه لم يزل مخطوطاً[٧]. وتوجد منه نسخة مخطوطة فريدة في مكتبة الفاتكان بإيطاليا ومنها نسخة مصورة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٤٠٣ تاريخ)[٨]. ومن الجدير بالذكر ان المؤلف لم ينفرد في

---

[١] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١/ ص٢٩٨؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤.

[٢] نيل الأمل، ج٨/ ص٢٣١.

[٣] الاعلام، ج٣/ ص٢٧٠.

[٤] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٢.

[٥] المرجع نفسه، ج١/ ص٥٢.

[٦] زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص١٧٢.

[٧] الزركلي، الاعلام، ج٣/ ص٢٧٠.

[٨] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٢ .

اختيار عنوان هذا الكتاب لاسيما الشطر الأول منه فقد سبقه بعض المؤلفين في ذلك ومنهم أحمد بن خليل بن سعادة (ت٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) الذي ألّف كتاب (الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم)[١]. وكذلك فعل محمد بن إبراهيم الوزير اليمني (ت٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) حيث صنف كتاب (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم)[٢].

٢- الروضة المربعة في سيرة الخلفاء الأربعة[٣] ويفهم من هذا العنوان أن الكتاب ألّف في سيرة الخلفاء الراشدين.

٣-وألّف المؤلف في سيرة الرسول محمد (ص) كتاب بعنوان غاية السؤل في سيرة الرسول (ص)[٤] ويعد هذا الكتاب من مؤلفاته المطبوعة[٥]. وقال المؤلف في مقدمة كتابه هذا ((... **وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى الحفي عبد الباسط الحنفي غفر الله تعالى له ذنوبه وستر عليه عيوبه، هذه رسالة شريفة وتحفه منيفة تشتمل على نبذة مختصرة من سيرة نبينا محمد سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى صحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، سميتها بغاية السؤل في سيرة الرسول جمعتها على طريقة الاختصار نزهة لذوي الألباب والأبصار** ...))[٦].وقد جعل المؤلف كتابه في ستة وعشرين فصلاً مختصرة ملتزما بمنهجالاختصار الذي ذكره في المقدمة حيث ذكر في هذه الفصول نسبه (ص) وذكر أمه وأعمامه وعماته ومولده وهجرته من مكة إلى المدينة وغزواته وحجة الوداع وأوصافه وأسماءه وأخلاقه وزوجاته وأولاده وكتّابه وغيرها من الفصول الأخرى.

---

[١] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١/ ص٩١٨.

[٢] القنوجي، أبجد العلوم، ج٢/ ص٦٨.

[٣] البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤؛ شاكر مصطفى، تاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥؛ عمر عبد السلام تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٣١.

[٤] البغدادي، إيضاح المكنون، ج٤/ ص١٣٩؛ السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج٢٢/ ص٥٥٢.

[٥] طبع بتحقيق محمد كمال عز الدين، بدار الكتب ببيروت ١٩٨٨. وهي بواقع ٤٦ صفحة.

[٦] غاية السؤل في سيرة الرسول، ص٢.

٤-ومن كتبه التاريخية الأخرى القول الحزم في تاريخ الأنبياء أولي العزم[١]، وأولي العزم هم نوح(ع) وإبراهيم(ع) وموسى(ع) وعيسى (ع) ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)[٢] وتوجد من هذا الكتاب إحدى وعشرين صفحة مخطوطة في مكتبة طوبقابو في تركيا تحت رقم (٢٨٠٣)[٣]،

٥-وذكر حاجي خليفة لمؤرخنا كتاب في التاريخ عنوانه المجمع المفنن بالمعجم المعنون[٤].وهو معجم تراجم للأعيان الذين عاصرهم عبد الباسط الظاهري مقتبساً أكثر مادته من كتاب الروض الباسم[٥].

٦-وألّف في سيرة السلطان المملوكي قنصوه الغوري (٩٠٦ – ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ – ١٥١٦م) وهو أحد السلاطين الذين عاصرهم المؤلف عنوانه مجموع البستان النوري لحضرة مولانا السلطان الغوري وقد انفرد بذكره صاحب هدية العارفين[٦]. ولم ترد معلومات تفيد أنه مخطوط أو مطبوع لذا يعد من كتبه المفقودة حالياً.

٧-ومن مؤلفاته عبد الباسط الأخرى نزهة الأساطين فيمن ولي ملك مصر من السلاطين[٧]، وذكر شاكر مصطفى أن هناك نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في مكتبة أحمد الثالث في تركيا تحت رقم (٢٨٠٣) وهي بخط المؤلف[٨]. ويؤرخ عبد الباسط في هذا الكتاب للسلاطين الذين توالوا على حكم مصر بدأ من السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ – ٥٨٩هـ/ ١١٧١ – ١١٩٣م) وانتهاء بحكم السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦ – ٩٢٢هـ/ ١٥٠٠ – ١٥١٦م).

---

[١] البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٤.

[٢] ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٤/ ص١١٠؛ الزرعي، زاد المعاد، ج١/ ص٤٤.

[٣] شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥.

[٤] كشف الظنون، ج٢/ ص١٦٠.

[٥] محمد كمال عز الدين، عبد الباسط الحنفي مؤرخاً، ص٨٧ – ٨٨.

[٦] البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤.

[٧] الزركلي، الأعلام، ج٣/ ص٢٧١.

[٨] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥، وقد نشره الباحث محمد كمال الدين عز الدين ضمن دراسته عن مؤلفات عبد الباسط الظاهري. ينظر: عبد الباسط الحنفي مؤرخاً، ص١٨٩، ٢٣٥.

٨- وذكر شاكر مصطفى بين مؤلفات عبد الباسط التاريخية نزهة الألباب في مختصر أعجب العجائب[١] وورد ذكر هذا الكتاب عن البغدادي بعنوان (نزهة الألباب في مختصر أعجب العجاب)[٢].

٩-نيل الأمل في ذيل الدول: وهو الكتاب الذي سيكون مدار بحثنا في المبحث التالي ومجال دراسة الفصلين الثالث والرابع حيث سنتناول فيهما الجوانب الاقتصادية الواردة فيه. ومن الجدير بالذكر ان الباحث محمد كمال الدين عز الدين الذي درس مؤلفات عبد الباسط الظاهري لم يتناول هذا الكتاب مطلقاً في كتابه الذي خصصه لمؤلفات عبد الباسط حيث قال انه لم يعثر عليه[٣].

لقد ألّف عبد الباسط سبعة عشر مؤلفاً بين كتاب ورسالة، تسعة منها في التاريخ وثمانية في التفسير والفقه واللغة العربية. ويوجد من مؤلفاته بين مخطوط ومطبوع ستة مؤلفات.

---

[١] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥.

[٢] هدية العارفين، ج١/ ص٤٩٤.

[٣] محمد كمال الدين عز الدين، عبد الباسط الحنفي مؤرخاً، ص٣٢، هامش ٤.

المبحث الثالث: كتاب نيل الأمل في ذيل الدول.

لخصوصية هذا الكتاب كونه موضوع دراستنا هذه أفردنا مبحثاً خاصاً لدراسة عنوانه وسبب تأليفه ومخطوطه وطبعته والمدة الزمنية لحولياته وترتيب مادته ومنهجه وشخصية المؤرخ فيه ومصادره ، كما أنه مجال البحث في الفصلين القادمين من خلال دراسة الجوانب الاقتصادية فيه.

أولاً: عنوان الكتاب وسبب التأليف وتاريخه.

أورد المؤلف في مقدمة كتابه هذا أنه أسماه نيل الأمل في ذيل الدول[١]. أما ابن العماد الحنبلي فقد ذكره بعدة مواضع من كتابه (شذرات الذهب) بعنوان ذيل الدول[٢]. وقد أخذ بالعنوان الذي أثبته عبد الباسط بعض الباحثين مثل خير الدين الزركلي[٣] وأورد بعضهم العنوان مختصراً حيث سماه شاكر مصطفى نيل الأمل[٤].واعتمد عنوان الكتاب من قبل بعض المؤلفين الذين جاءوا بعد عبد الباسط، حيث ألّف القاضي المؤرخ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد المكناسي المعروف بابن القاضي (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م) كتاب (نيل الأمل في ما بين المالكية جرى العمل)[٥]، كما ألّف الشيخ أحمد بابا الصنهاجي السوداني (ت١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م) كتاب نيل الأمل في تفضيل النية على العمل[٦].

ذكر المؤلف في مقدمة نيل الأمل ان الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب الذي أكمل فيه كتاب دول الإسلام[٧] للمؤرخ الدمشقي المعروف شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) هو دعوة أصحابه من الأعيان والفضلاء وحثهم له على تكملة كتاب الذهبي المذكوروفقا لمنهجه في الحوادث والوفيات ليغني القارئ عن الكتب

---

[١] نيل الأمل، ج١/ ص٧٨.

[٢] شذرات الذهب، ج٦/ ص١٧٣، ج٧/ ص٧٨، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١٤.

[٣] الأعلام، ج٣/ ص٢٧٠.

[٤] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢/ ص٢٥٥.

[٥] كحالة، معجم المؤلفين، ج٢/ ص١٤٧.

[٦] البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢/ ص٦٩٧.

[٧] طبع كتاب دول الإسلام للذهبي بحيدر آباد الدكن في الهند سنة ١٣٣٣هـ. ينظر: الياس سركيس، معجم المطبوعات العربية، ج١/ ص٩١١.

المطولة فأجابهم إلى ذلك لاسيما وأنه كان يرغب أصلاً في تكملة كتاب دول الإسلام[1].وقد علق المؤلف على دعوة هؤلاء العلماء بقوله: ((**فأجبتهم إلى ذلك ... وجمعت هذا الذيل ووفيت فيه بما سألت ورتبته على الدول والسنين وزدت الشهور وأتيت فيه بما هو الأهم المشهور**))[2]. ومن الجدير بالذكر أن المؤرخ المصري شمس الدين السخاوي وهو أحد شيوخ عبد الباسط قد سبق تلميذه في التذييل على كتاب دول الإسلام للذهبي في كتاب سماه الذيل على دول الإسلام[3]. وجاء كتاب السخاوي هذا عند بعض الباحثين تحت اسم وجيز الكلام بذيل دول الإسلام[4].وقد أشار المؤرخ عبد الباسط بن خليل عرضاً إلى السنة التي ابتدأ فيها تأليف كتابه نيل الأمل قائلاً: ((**إن هذه الأيام التي نحن بها من عصرنا حين تصنيفنا هذا التاريخ في سنة خمس وتسعين وثمانمائة ...**))[5]. لكن عبد الباسط لم يشِر إلى تاريخ الانتهاء من تأليف كتابه.

ثانياً: مخطوط الكتاب وطبعته.

أشار محقق الكتاب عمر عبد السلام تدمري انه لم يجد من كتاب نيل الأمل في ذيل الدول إلاّ نسخة واحدة فريدة محفوظة في مكتبة بمدينة أكسفورد تحت رقم (٦٢٠، ٢٨٥)[6]. وقد أشار إلى ذلك أيضاً شاكر مصطفى حيث ذكر بأن هنالك مخطوط لكتاب نيل الأمل بأكسفورد[7]. وقد وصف المحقق النسخة التي اعتمدها في التحقيق بأنها تتألف من مجلدين اثنين الأول يتألف من ٧٠٤ صفحات والثاني يتألف من ٨١٠ صفحات وفي الصفحة الواحدة ٢١ سطراً وفي السطر ١٧ كلمة وقد كتبت بالحبر الأسود، أما العناوين فقد كتبت بالحبر الأحمر وان هذه النسخة الفريدة كتبت بخط ناسخ وليس بخط المؤلف ولم يذكر هذا الناسخ تاريخ قيامه بعملية

---

[1] نيل الأمل، ج١/ ص٧٧.

[2] المصدر نفسه، ج١/ ص٧٧.

[3] الضوء اللامع، ج٨/ ص١٧؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢/ ص٣٣.

[4] فاطمة زبار عنيزان، السخاوي وكتابه الضوء اللامع، ص٧٠.

[5] نيل الأمل، ج٤/ ص٤٠١.

[6] مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٥.

[7] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥.

النسخ[1]ومن الجدير بالذكر إن كتاب نيل الأمل طبع مرة واحدة بتحقيق عمر عبد السلام تدمري في المكتبة العصرية للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ثالثاً: المدة الزمنية التي أرخ لها الكتاب.

ذكرنا سابقاً أن كتاب نيل الأمل ألّفه عبد الباسط ليكون ذيلا أو تكملة لكتاب دول الإسلام للذهبي الذي انتهى فيه مؤلفه حتى أحداث سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م[2] فجعل عبد الباسط بداية كتابه من هذه السنة تحديداً. ولا يوجد خلاف يذكر بين الباحثين حول السنة التي بدأ منها عبد الباسط أخبار كتابه[3]. والأهم من ذلك أن المؤرخ نفسه ذكر ذلك في مقدمة كتاب نيل الأمل حيث أكد أنه ابتدأ بكتابه من السنة التي انتهى إليها الذهبي في كتابه دول الإسلام[4]. وبما أن كتاب نيل الأمل هو تكملة لكتاب دول الإسلام للذهبي كان على المؤلف أن يبدأ بأحداث وتراجم سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م لكنه ابتدأ قبلها بسنة. وقد علل المؤرخ ذلك بقوله إنما فعل ذلك **((لنكتة ظاهرة لاسيما لمن هو منصف))**[5]. دون أن يوضح هذا القول.

أما نهاية حوليات الكتاب فقد أشار بعض الباحثين أن المؤرخ انتهى إلى أحداث وتراجم سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م[6]. أما محقق الكتاب فقد ذكر أن كتاب نيل الأمل في الأصل لا ينتهي عند هذه السنة بل أنه يؤرخ إلى ما بعد سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م وربما إلى ما بعد ٩١١هـ/ ١٥٠٥م[7]. وقد لاحظنا ما يدعم رأي المحقق هذا وذلك من خلال أقوال ذكرها عبد الباسط ففي أحداث سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م ذكر سفارة قام بها

---

[1] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٥.

[2] طبع كتاب دول الإسلام، في جزأين بمجلد واحد في مطبعة حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩٠٩م.

[3] الزركلي، الأعلام، ج٣/ ص٢٧٠؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥.

[4] نيل الأمل، ج١/ ص٧٨.

[5] المصدر نفسه، ج١/ ص٧٨.

[6] الزركلي، الأعلام، ج٣/ ص٢٧٠؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٥.

[7] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٥.

الأمير جان بلاط[١] إلى الدولة العثمانية فعلق قائلاً في نهاية الخبر: **((وجان بلاط هذا هو الذي ولي السلطنة بعد هذه المدة بعشر سنين ولقب بالأشرف وجرى عليه من طومان باي العادل ما سيأتي في محله))**[٢]. أي أنه سيذكر خبر توليه السلطنة في أحداث سنة ٩٠٦هـ.وفي أحداث السنة ذاتها أي سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م ترجم لأحد الأمراء وقال انه سيذكر بعض أخباره في سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م[٣] ومن الأدلة على أن الكتاب لم ينتهِ بأحداث سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م ان ابن اياس نقل عنه نصاً في ترجمة جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[٤]. ولكن النسخة المحققة تنتهي عند سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م .

رابعاً: ترتيب مادة الكتاب.

أشار عبد الباسط بن خليل في مقدمة كتابه إلى أنه رتب الكتاب على أساس الدول والسنين ثم بعد السنين على أساس الشهور[٥]. والواقع أن قراءة مادة الكتاب تشير إلى أن المؤلف رتب حوادثه وتراجمه على أساس تعاقب السنين ورتب أحداث السنة الواحدة حسب أسبقية وقوعها على أساس الشهور بدء من شهر محرم وانتهاء بشهر ذي الحجة وغالباً ما يبدأ حوليات السنة التي بصدد تسجيل أخبارها بعبارة **((في محرم ورد الخبر))**[٦] ثم يبدأ بتتابع الأشهر وأحياناً لا يذكر جميع الأشهر ضمن السنة الواحدة لعدم وجود أحداث ذات أهمية وحينما يذكر عدة أحداث أو تراجم في شهر واحد بفصلها عن بعضها بعبارة (وفيه) ثم يذكر الخبر أو الترجمة

---

[١] **جان بلاط:** هو الملك الأشرف أبو النصر جان بلاط بن عبد الله سلطان الدولة الشركسية كان مملوكاً للسلطان الأشرف قايتباي فعلمه ودربه على الفروسية، وجعله أمير مائة ومقدم ألف ثم ولي الدوادارية الكبرى ونيابة حلب ثم نيابة دمشق ثم نيابة القاهرة، وأخيراً تولى السلطنة سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م وخلع سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م ومن آثاره العمرانية المدرسة الجانبلاطية في القاهرة. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٣٧٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨/ ص٥٨.

[٢] نيل الأمل، ج٨/ ص٢٣١.

[٣] المصدر نفسه، ج٨/ ص٢١٤.

[٤] بدائع الزهور، ج٤/ ص٨٣؛ تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٥٦.

[٥] نيل الأمل، ج١/ ص٧٧.

[٦] المصدر نفسه، ج١/ ص١٦٣.

كقوله في أحداث شهر جماد الأولى ((**وفيه سقطت الكثير من الدور ببولاق**))[1]. وأحياناً يذكر اليوم من الشهر كقوله: ((**وفي ثالث محرم وصل ...**))[2] أو قوله: ((**وفي ثاني عشرين مسرى كان وفاء النيل...**))[3].ومن الجدير بالذكر أن المؤلف دمج بين الحوادث والتراجم في السنة الواحدة ولم يفصل بينهما بعنوان معين. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م من أحداث وتراجم فقد أرخ أولاً لزيادة نهر النيل ثم وفاة أحد الأمراء ثم ذكر مقياس النيل وهكذا فعل مع بقية السنوات فذكر الحوادث والتراجم سويةً مختلطة.

خامساً: منهجه.

١. الاختصار:

أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى أنه اتبع منهج الاختصار في تدوين مادة الكتاب حيث قال: ((**إنما ذكرناه في غاية الإيجاز والاختصار إذ هو نبذ تظهر لمن له التأمل والاستبصار**))[4]. كما أشار في عدة مواضع من كتابه نيل الأمل إلى منهجه الواضح في الاختصار كقوله في ترجمة تيمورلنك ضمن أحداث سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م حيث قال في ختام ترجمته: ((**وأخباره تطول جداً وهذا ملخصها**))[5]. وفي أحداث ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ترجم لأحد الأمراء المماليك فقال في مطلع حديثه عنه: ((**وكان من خبر ذلك ملخصاً أنه**))[6]. ثم ذكر الترجمة باختصار شديد. واختصر بعض الحوادث بشكل شديد لأنها مشهورة حسب رأيه[7].؟أو رغبة في عدم الاطالة.

وفي أحداث سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م ذكر خبر الحروب التي دارت بين الفرنج أنفسهم بهذا القدر من الكلمات ((**وفيه ورد الخبر أيضاً بأنه كان بين طوائف**

---

[1] نيل الأمل ، ج١/ ص١٦٩.

[2] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٥٣.

[3] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢١٨.

[4] المصدر نفسه، ج١/ ص٧٧.

[5] المصدر نفسه ، ج٣/ ص١١٥.

[6] المصدر نفسه ، ج٣/ ص١٤٩.

[7] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٥٧.

الفرنج الكيتلان والجنويين حروب يطول الشرح في ذكرها))[١]. وترك ذكر بعض الحوادث لأن الشرح يطول فيها [٢]. وفي أحداث سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م ذكر حادثة وقعت لأحد الأشخاص فقال: **((وهي كائنة يطول الشرح في ذكرها، ...))** ثم ذكر هذا الخبر بحوالي السطرين[٣]. وبالمقارنة مع التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي نجد أنه ذكر هذه الحادثة بتفصيل أكبر[٤]. وفي أحداث سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م ذكر المؤلف النكبة التي أصابت أحد الأمراء بقوله: **((وفيه كائنة نكبة النحاس، والكلام عليها برمتها يطول وملخصه ...))**[٥].ثم ذكر الخبر باختصار .

وفي أحداث سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م ذكر الثورة التي قام بها بعض المماليك الجلبان قائلاً: **((والقضية التي جرت للوالد فيها طول ملخصها))** [٦] ثم ذكرها بحوالي أحد عشر سطراً[٧] وأشار أحياناً إلى الشرط الذي وضعه في مقدمة كتابه والمتعلق بمنهجه في الاختصار فقد قال بعد ذكره لعدد من الأمراء الذين قتلوا في إحدى المعارك سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م ما نصه: **((وقد ذكرنا تفصيل هذه الواقعة وأحوال هؤلاء وتراجمهم مستوفاة بتاريخنا الروض الباسم واختصرنا ههنا لأننا بصدد أن لا نطيل))**[٨]. ومن قراءة كتاب نيل الأمل يبدو واضحا ان المؤلف التزم إلى حد كبير في منهجه الذي اختطه لنفسه في اختصار الحوادث والتراجم.

٢- الإحالات:

استعمل المؤرخ أسلوب الإحالات بشكل واضح في كتابه نيل الأمل، سواء كانت إحالة داخلية على صفحات الكتاب نفسه أم إلى كتب أخرى لاسيما مؤلفاته هو

---

[١] نيل الأمل ج٤/ ص٣٨٥.

[٢] المصدر نفسه، ج٥/ ص٢٩.

[٣] المصدر نفسه، ج٥/ ص٢٣٧.

[٤] السخاوي، التبر المسبوك، ج٢/ ص١٧٧ – ١٧٨.

[٥] نيل الأمل ، ج٥/ ص٣١١.

[٦] المصدر نفسه،ج٥/ص١٩٠.

[٧] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٢.

[٨] المصدر نفسه ، ج٦/ ص٢٨٥.

لاسيما كتابه التاريخي الآخر (الروض الباسم) ويبدو أن السبب في اعتماده هذا الأسلوب يعود إلى أمرين:

الأول: أن هدف المؤرخ الأساس هو الاختصار وأسلوب الإحالات يحقق هذا الهدف ويحد من التكرار.

والأمر الثاني: هو لغرض تنظيم مادة الكتاب ومساعدة القارئ للحصول على معلومات أكثر ولاسيما حينما يحيل إلى تاريخه الموسع الروض الباسم.

ففي ما يتعلق بالإحالات الداخلية أحالة المؤرخ قارئ الكتاب إلى ما سيكتبه من حوادث وتراجم كقوله بعد ذكره لخبر اعتقال (ابن دلغادر) أحد حكام نواحي بلاد الروم باختصار ثم قال: ((**كما سيأتي**))[1]. وأحياناً يذكر شخص ما عرضاً ثم يقول: ((**كما سيأتي**))[2]. وأحياناً يحيل إلى المكان الذي يحيل إليه من الكتاب بشكل واضح كقوله في خبر المدرسة التي أنشأها الأمير زين الدين عبد الباسط فقال: ((**...وهي من أجلّ المباني الجليلة التي أنشأها وهو ناظر الخزانة قبل شهرته الطايلة الآتي ذكرها في ترجمة الأشرف برسباي**))[3]. فهو هنا يحدد مكان الإحالة بدقة لتسهيل الأمر على القارئ في الوصول للمعلومة.وقال في ترجمة القاضي تقي الدين البلقيني المتوفّى في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م ((**وهو والد الولي أحمد البلقيني قاضي قضاة دمشق الآتي في محله في سنة ٨٦٨هـ إن شاء الله تعالى**))[4] أو قوله ((**وستأتي ترجمته سنة أربع وسبعين إن شاء الله تعالى بل وبعض أخبار له قبل ذلك**))[5]. معلقاً على ذكره اسم أحد الشيوخ في أحداث سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م وقال في أحداث سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م ما نصه: ((**ثم وقع للسلطان هذا حادثة قريبة الشبه من هذه سنقف عليها في حوادث سنة إحدى وتسعمائة إن شاء الله**

---

[1] نيل الأمل ، ج١/ ص٢٥٣.

[2] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٦٤.

[3] المصدر نفسه، ج٤/ ص٧٤.

[4] المصدر نفسه ، ج٤/ ص٣٨٠.

[5] المصدر نفسه، ج٥/ ص٢١٤.

تعالى))[1]وهذا السلطان هو الأشرف سيف الدين قايتباي الذي حكم أثناء الفترة (٨٧٢ – ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ – ١٤٩٥م) أما الحادثة التي أشار إليها المؤلف فهي تعرض هذا السلطان لإصابة في ساقه أدت إلى انتشار إشاعة بين الناس بأنه قد مات[2]. وأحياناً تكون إحالته إلى الصفحات السابقة من كتابه كقوله بعد تنصيب أحد القضاة في منصب القضاء بإيجاز شديد: **((وقد تقدم ذلك))**[3]. وذكر ترجمة أحد الأمراء في سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م باختصار ثم علق قائلاً: **((وقد تقدمت أخباره))**[4]. ويقصد بذلك أنه ذكر أخباره ضمن الأحداث التي سجلها في السنوات التي سبقت سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م.أما الإحالات الخارجية فقد كان استخدامها كثيراً عند المؤرخ ولاسيما إلى كتابه التاريخي الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم كقوله بعد ذكر حادثة نادرة **((وذكرنا ذلك في تاريخنا الروض الباسم))**[5]. وفي أحداث سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م ذكر غزو المماليك لجزيرة رودس باختصار ثم قال: **((ذكرناها برمتها في تاريخنا الروض الباسم))**[6].وفي سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م ذكر إعدام أحد الأمراء فقال: **((وقد بينا هذه الكائنة برمتها في تاريخنا الروض الباسم...))**[7]. وفي أحداث سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م ذكر انعقاد مجلس السلطان فقال: **((وقد بيناه وافياً في تاريخنا الروض الباسم ومن أراد ذلك فليراجعه))**[8]. وذكر خبر إحدى الحملات العسكرية في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م باختصار شديد ثم قال: **((وقد ذكرنا جزئيات ذلك مفصلة في تاريخنا الروض الباسم))**[9]. وفي إحالة فريدة له أحال المؤرخ عبد الباسط القارئٍ إلى كتابين من مؤلفاته فقد ترجم إلى أحد الأمراء باختصار ثم قال:

---

[1] نيل الأمل ، ج٧/ ص١٣.
[2] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٢ – ١٣.
[3] المصدر نفسه، ج٥/ ص١٠٩.
[4] المصدر نفسه، ج٥/ ص٢٢٧.
[5] المصدر نفسه، ج٢/ ص٧٠.
[6] المصدر نفسه ، ج٥ / ص٨٨١.
[7] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٧٩.
[8] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٠.
[9] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٥٦.

((وقد أطلنا ترجمته في المجمع المفنن بالمعجم المعنون وترجمناه طويلاً أيضاً في تاريخنا الروض الباسم))[1].وأحياناً يشير إلى المكان من الكتاب الذي يحيل إليه. ففي ترجمته لصاحب تونس قال: **((وقد ترجمنا في أول تاريخنا الروض الباسم))**[2]. واستعمل الإحالة أيضاً حينما يكون الخبر عن رسائل متبادلة أو وثائق مكتوبة ففي أحداث سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م وصل إلى القاهرة كتاب الصلح من صاحب الروم وجواب السلطان المملوكي عليه فبعد أن ذكر ذلك باختصار شديد قال: **((وقد ذكرنا صورة المكاتبتين وجواب السلطان بتمامهم وكمالهم بتاريخنا الروض الباسم))**[3]. وفي بعض الإحالات لم يشر إلى كتابه الروض الباسم بشكل صريح بل بلفظ يدل عليه كقوله: **((وقد ذكرنا جزئيات ذلك في عدة فصول بتاريخنا الكبير))**[4]. أو كقوله ذكرناها بتفاصيلها بأيامها في التاريخ الكبير. في حالات قليلة أحال المؤرخ إلى مؤلفات مؤرخين آخرين دون تسميتهم أو ذكر عناوين مؤلفاتهم كقوله حينما ذكر خبر الوباء الذي حدث سنة ٧٤٩هـ/ ١٤٤٨م **((وجرت فيه أمور وغرائب وعجائب قد ذكرها عدة من المؤرخين يطول الشرح في ذكرها))**[5].وفي إحالة واحدة فريدة أحال المؤرخ القراء إلى مؤلفات المقريزي حينما قال: **((من أراد إفادة وضوح هذا الأمر فلينظر في تواريخ العلامة التقي المقريزي متأملاً يظهر له ذلك))**[6].

٣-ذكر أخبار البلدان المختلفة:

لم تقتصر المعلومات التاريخية التي دونها عبد الباسط في كتابه نيل الأمل على بلد معين بل أنه على الرغم من تركيزه على أحداث مصر بالدرجة الأساس ومن ثم الشام إلاّ أنه سجل أخبار البلدان المختلفة ومنها بلدان بعيدة عن مدينة القاهرة

---

(١) نيل الأمل ، ج٧/ ص٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٦٢.

(٥) المصدر نفسه ، ج١/ ص١٨١.

(٦) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٣٨.

التي عاش فيها المؤلف فقد ذكر أخبار المغرب[١] والأندلس[٢] وقبرص[٣] وبلاد الفرنج[٤] والحبشة[٥] وبلاد الروم[٦] وأخبار الدولة العثمانية[٧] التي يعد مؤرخنا معاصرا لها يمكن الاعتماد عليه ولاسيما فيما يتعلق في العلاقات بينها وبين دولة المماليك في مصر والشام. وذكر أيضاً معلومات مهمة عن تاريخ الهند والعلاقات السلمية بينها وبين دولة المماليك ولاسيما تبادل الرسل والسفراء الهدايا[٨] وتتبع أيضاً أخبار اليمن والدول التي قامت فيها[٩]. كما دون المؤلف معلومات قيمة عن أخبار العراق في هذه الفترة[١٠].وذكر معلومات عن أخبار بلاد فارس[١١] كما ذكر أخبار بعض البلدان الأفريقية[١٢] وتتبع بشكل ملحوظ أخبار الحجاز[١٣].

٤- المقارنة بين الأحداث

واستعمل المؤرخ أسلوب مقارنة الأحداث التي وقعت قبل عصر بما عاصره من أحداث ومن ذلك ما ذكره في أحداث سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م حينما رغب السلطان الكامل شعبان(١٤) ببناء مدرسة في مكان خان الزكاة وهو وقف فلم يوافق قضاة عصره على ذلك، فامتنع السلطان ولم يشرع بالبناء فقارن عبد الباسط بن خليل موقف

---

[١] نيل الأمل ، ج٢/ ص٢١٤، ٢٤٥، ج٤/ ص٦٩، ج٦/ ص٦٦، ج٧/ ص٣٨، ج٨/ ص١٥٣.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٨٨، ٣٦٠، ٤٠٩.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣١٤، ج٦/ ص٩٤، ١٥٨.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٠٢، ج٥/ ص٧١، ج٦/ ص٢٤٧.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٧، ج٥/ ص٢٥٥.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص٨٣، ٤٢٧، ج٥/ ص١١٥، ج٧/ ٣٩.

[٧] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٣٦، ج٤/ ص٩٢، ٣٣٧، ج٥/ ص٣٣١، ٤٥٨، ج٨/ ص١٥٣، ٢٣١

[٨] المصدر نفسه، ج١م ص٨١، ج٤/ ص٤٠٨.

[٩] المصدر نفسه ، ج٤/ ص٤٦، ج٥/ ص٦٦، ٤٦٨، ج٨/ ص١٥١.

[١٠] المصدر نفسه، ج٣/ ص٦٣، ج٤/ ص٥٢، ج٦/ ص٣٥١، ج٨/ ص٧٧، ٢٣٧.

[١١] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٧٨.

[١٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٣٦.

[١٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٤٧، ٨٤، ٣٢٣، ج٥/ ص١٣٤، ٤٤٦.

[١٤] **السلطان الكامل:** هو السلطان الكامل شعبان بن السلطان الناصر محمد بن السلطان قلاوون تولى الحكم خلال المدة (٧٤٦ – ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥ – ١٣٤٦م) وهو السلطان التاسع عشر من سلاطين البحرية في مصر اتهم بأنه كان يسند الوظائف والمناصب الكبرى إلى من يدفع المال له. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢/ ص٣٤٣ – ٣٤٤؛ الحسيني، ذيل العبر، ص٢٥٤ – ٢٥٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣/ ص٩٠؛ القلقشندي، مآثر الأنافة، ج٢/ ص١٥١.

أولئك القضاة بقضاة عصره قائلاً: ((**ولو كان في عصرنا هذا لبادر القضاة إلى حِلِه، كما هو دأبهم لأقل الأمراء فضلاً عن السلطان والله المستعان**))[1].لقد حرص المؤلف على مقارنة قسم من الأحداث التي وقعت في دولة المماليك قبل عصره مع أحداث مماثلة عاصرها وشاهدها بنفسه وكان في مقارناته تلك يأسف لما أصاب بعض المؤسسات والمناصب بل بعض المناسبات الدينية من تردي ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في أحداث سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م أثناء عهد السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤ – ٧٧٨هـ/ ١٣٦٢ – ١٣٧٦م) عند ذكره مناسبة قراءة صحيح البخاري في القلعة[2] التي كانت مركزاً للسلطنة المملوكية وتلك المناسبة كانت معروفة في مصر أثناء العصر المملوكي ولاسيما في شهر رمضان[3] وقد علق على ذلك مقارناً بقوله: ((**وهذا السلطان أول من إستجدذلك بالقلعة ودام ذلك إلى الآن وكان مجلس سماع فصار في عصرنا مجلس عياط وخباط ولغط الكثير من غير تأدب في سماع الحديث كما هو مشهور**))[4].كما قارن منصب قاضي القضاة في الدولة المملوكية وما كان عليه هذا المنصب في بدايات الدولة العباسية حيث قال: ((**...فأن قاضي القضاة في هذا الزمن اسم لا مسمى له إذ كان في العصر الأول منفرداً كأبي يوسف فهو قاضي قضاة الإسلام حقيقة...**))[5]. وقارن المؤلف بعض إجراءات السلاطين السابقين مع ما كان يقوم به سلاطين عصره ففي أحداث سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ذكر قيام السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ – ١٣٩٨م) بزيارة بعض القناطر التي أمر بإنشائها وأنه حينما عاد إلى القاهرة كانت قد زينت له واستعد

---

[1] نيل الأمل، ج١/ ص١١٨.

[2] **القلعة:** وهي قلعة الجبل ودار الملك أي مركز السلطنة المملوكية ليس لها نظير في الاتساع والزخرفة والأبهة تشتمل على سور وفندق وأبراج وعدة أبواب من حديد وهي حصينة جداً فيها القصور والدواوين والميادين والجوامع والمدارس والأسواق والحمامات. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص٦٢.

[3] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٢٦٦، ، ٣٥٨، ٤٢٨.

[4] المصدر نفسه، ج٢/ ص٦٤.

[5] المصدر نفسه ، ج٢/ ص١٥٦.

الناس لاستقباله فقال: **((وعد ذلك من النوادر ومن يعتبر أبهة الملك، فماذا يقال في هذه الأيام التي نحن فيها؟ كثر ركوب السلطان حتى صار ذلك لا يؤرخه المؤرخون))**[١].

كما قارن بين الحوادث النادرة التي وقعت قبل عصره وتلك التي عاصرها ومن ذلك ما ذكره في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م من خبر لحم الجمل الذي يضيء حيث قال: **((ووقع مثل هذا بعد الثمانين وثمانمائة في بقرة ذبحت في القاهرة فأضاء لحمها وعد ذلك في غاية العجب))**[٢].

٥- ذكر نوادر الأخبار.

اهتم عبد الباسط الظاهري اهتماماً ملحوظاً بذكر الأخبار النادرة والعجيبة، ويظهر أنه أراد من بعض هذه الأخبار أن تكون مسلية للقارئ وإبعاده عن الملل وهو يقرأ كتاب نيل الأمل الذي يقع بثمانية أجزاء. فمما ذكره في هذا المجال خبر تناول فيه وصول رجل طويل جداً إلى مدينة القاهرة في شهر شعبان من سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م وسمع به السلطان الأشرف زين الدين شعبان فتعجب من خبره فأرسل بإحضاره فحضر إليه[٣]. وفي أحداث سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م ذكر حادثة غريبة ونادرة حدثت بدمشق مفادها أن رجلاً من أعيان دمشق مات فلما أنزل إلى القبر عطس فأخرج منه ثم حدث الناس بما جرى له أثناء الموت وأنه عاش بعد ذلك ثلاث سنين[٤]. ومن الأخبار العجيبة التي ذكرها المؤرخ خبر الحائط المتكلم في مصر سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م وقد انتشر خبره جداً بين الناس وافتتنوا به إذ كان الشخص يذهب إلى ذلك الحائط ويسأله فيجيبه ثم هدم ذلك الحائط فتكلم حائط ثان إلى جانبه، ثم تبين أن وراء ذلك حيلة قام بها بعض الأشخاص فقبض عليهم وتم

---

[١] نيل الأمل ، ج٢/ ص١٩٨.

[٢] المصدر نفسه ، ج٤/ ص٦٧.

[٣] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٩.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٤٣.

تسميرهم وحملوا على جمال وطيف بهم في القاهرة حتى كان لهم يوم مشهود[١]. وأشار المؤلف إلى أخبار بعض الولادات الغريبة ومن ذلك قوله في أحداث شهر رمضان من سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م أن امرأة ولدت ابنة لها رأسان قائمان على جسم واحد لكنها لم تعش[٢]. ومن غرائب الأحداث ما ذكره في سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م أن رجلاً كان له أربعة أبناء فطلبت والدتهم من زوجها أن يعمل لهم الختان قبل أن يموتوا بالطاعون الذي انتشر تلك السنة ففعل واحتفل بذلك فكلما ختن واحد منهم يسقى السكر المذاب فلما انتهوا من ذلك ماتوا جميعاً، فاتهم الرجل الذي ختنهم فجرح نفسه بالموسى الذي ختنهم به فلم يحدث له شيء فلما فتشوا عن الماء الذي صنع منه السكر المذاب فإذا به أفعى ميتة وهي كبيرة فكان موتهم بسبب سمها[٣].

ومن نوادر الأخبار التي ذكرها ان جزاراً ذبح جملا سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م وعلق لحمه في داره فأخذ يضيء كما تضيء الشمعة وكلما قطعوا منه جزء أضاء بمفرده فجمعوا لحم هذا الجمل ودفنوه دون أن يأكلوا منه شيئاً[٤]. وأخذت بعض الأخبار التي ذكرها المؤرخ طابعاً قصصياً مشوقاً مثل خبر التمساح الذي ذكره في أحداث سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م وهو أن قاطع طريق أمسك بإنسان وأراد قتله وتسليبه ما يملك فأقسم عليه أن يسقيه شربة ماء قبل أن يقتله فذهب قاطع الطريق إلى النهر ليجلب له الماء فلما دخل إلى النهر ليملأ الإناء اختطفه التمساح والرجل مكتوف اليدين ينظر إلى التمساح وهو يبتلع قاطع الطريق ثم مر به ناس فأعلمهم خبر ما جرى عليه فأطلقوه[٥].و أعطى بعض الأخبار صفة قصصية أسطورية حيث قال أن

---

[١] نيل الأمل ، ج٢/ ص١٥٧؛ وقد ورد خبر هذا الحائط عند ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج١/ ص١٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص١٧٢ – ١٧٤.

[٢] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٣٠.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٥٠–٥١؛ وقد ورد ذكر هذا الخبر عند ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣/ ص١٩٩ – ٢٠٠؛ وابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢/ ص٤٥٦.

[٤] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٤/ ص٦٧.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٧٧.

الفئران اشتبكت فيما بينها في حرب في ناحية البهنسا[١] وإن هذه الحرب شهدها الكثير من الناس حيث انقسمت الفئران إلى قسمين واقتتلت قتالاً عظيماً فلما انسحبت خلفت الكثير من الفئران ما بين قتيل وجريح ومقطع الأعضاء، وأشار إلى تعجب الناس من هذه المعارك[٢]. ومن الجدير بالذكر أن الفئران كغيرها من الحيوانات تتصارع فيما بينها، ولكن ليس بالطريقة التي ذكرها المؤرخ حيث صور الأمر وكأنه قتال بين جيشين، وعلى الرغم من أنه اعتمد في نقل هذا الخبر على مصادر سبقته لكنه لم يبد رأيه في رفضه بل دونها وكأنها حقيقة واقعة.وذكر عن طريق المشاهدة أخبار الحيوانات بهيئات غريبة مثل البقرة العجيبة التي شاهدها سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م في الوجه القبلي لها رأس واحد بفمين وأربعة عيون وأربعة آذان وأنفين[٣]. كما شاهد في سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ديكاً كبيراً له رأس واحد بأربعة عيون وعرفين وأربعة أجنحة وأربعة قوائم وعلق على ذلك قائلاً: **((وهذا نادر سبحان الخالق العظيم))** [٤].إن تسجيله لمثل هذه النوادر هو محاولته إدخال البهجة إلى نفس القارئ والترفيه عنه، كما أنه اعتبر بعض هذه النوادر من عجائب خلق الله تعالى.

سادساً: شخصيته كمؤرخ في كتابه نيل الأمل:

اتضحت شخصية عبد الباسط بن خليل كمؤرخ في كتابه نيل الأمل من خلال آرائه الشخصية وتعليقاته ومقارناته ونقده لبعض الحوادث والشخصيات وإطلاقه الأحكام وتفسيره وتعليله لبعض الحوادث ومن ذلك ما قاله في حادثة وقعت في الجامع الأزهر بالقاهرة واختلاف الفقهاء حولها **((وهي مسألة مسطورة مشهورة لا خير فيها ولا طائل تحت ما وقع منها سوى هوى النفس والأغراض وهو أمر آخر))**[٥].

---

[١] **البهنسا:** من أعمال الفيوم فيها صناعة الستور التي كانت تحمل منها إلى الأوقاف. ابن زولاق، أخبار مصر وفضائلها، ورقة ٩٩.

[٢] نيل الأمل، ج٥/ ص٨٤ – ٨٥؛ اعتمد المؤلف في نقل خبر الفئران على المقريزي، لكنه لم ينقل رأي هذا المؤرخ بذلك الخبر حيث قال فيه أنه ينذر بحادث ينتظر. ينظر: السلوك، ج٧/ ص٤١٨.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٤٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٧/ ١٣٤.

[٥] نيل الأمل، ج٧/ ص٧٥.

وقال في حادثة قتل السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م **((وفي الحقيقة من هذا الوقت أقرت البلاد بتغير أهلها فإن فتنة قتل الأشرف كانت فتنة عظيمة في الإسلام))**[1]. وهذا معناه أن المؤرخ لم يكن ناقلاً للأحداث التي سبقت عصره وإنما كان يتدخل في إعطاء آرائه الشخصية فيها.

وإلى جانب الآراء الشخصية كان للمؤرخ تعليقات خاصة حول بعض الأحداث المختلفة ومن ذلك قوله حينما تم إحصاء مصروفات السلطان الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) في سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) حيث قال: **((...وكانت جملة ذلك ما بين ذهب نقد ودراهم وعروض ثلاثة آلاف ألف دينار لا لله ولا لأبي عبد الله))**[2]. ويبدو من هذا التعليق ان المؤلف لم يكن راضياً على الطريقة التي صرفت بها هذه الأموال أثناء عهد السلطان المذكور في أمور مختلفة.

وقال عن مجموعة أحداث وقعت سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م ما نصه: **((...كانت هذه السنة من عجائب السنين في حوادثها العجيبة وتوالت فيها الحوادث الغريبة وذلت الأعزاء وعزت الأذلاء))**[3]. وعلق على تولي الأشرف برسباي السلطنة المملوكية سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢٤م بقوله: **((...وكانت سلطنته أبعد ما في الأذهان فسبحان المعطي المنان))**[4]. واستعمل أحياناً التعابير الدينية في بعض تعليقاته ومن ذلك قوله حينما انتهى حكم السلطان الصالح حاجي بن شعبان سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م **((فسبحان من لا يزول ملكه))**[5].

وأحياناً نجد المؤلف يعطي أحكام مطلقة بشأن بعض الحوادث ومن ذلك قوله في حادثة قيام السلطان الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ – ١٤٩٥م) في سنة ٨٧٦هـ ١٤٧١م بالسماح لأحد أبناء السلطان السابق الظاهر

---

[1] المصدر نفسه، ج٢/ ص١١٨.

[2] المصدر نفسه، ج٥/ ص١٣٩.

[3] المصدر نفسه، ج٥/ ص٨٩.

[4] المصدر نفسه ، ج٤/ ص١٠٩.

[5] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٩٥.

خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ – ١٤٦٧م) للجلوس معه على عرش السلطنة. **((وعد ذلك من النوادر التي ما وقعت قط))**[١]. وقال في حادثة سرقة رضيع ميت سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م **((وفيه وقعت حادثة ما سمع بمثلها قط ...))**[٢]. وفيما يتعلق بالتفسير والتعليل الخاص ببعض الأحداث التاريخية فقد كان للمؤلف أثر فيه ومن تفسيراته قوله في الأخبار التي وصلت إلى القاهرة بانتصار السلطان الظاهر برقوق المملوكي[٣] على أحد أعدائه وهو الأمير منطاش سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م. بقوله: **((ثم ترادفت الأخبار في أثناء ذلك بنصرة الظاهر فكان هذا من غرائب الاتفاقات وأذهب الله الدولة المنطاشية بأسرها))**[٤]. وقال في الحريق الذي حدث ببولاق[٥] سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م **((وكان هذا الحريق من عقوبات الله تعالى لعباده جزاء ببعض ما كسبوا وترك ما اليه ندبوا))**[٦].

وقد علل بعض الأحداث التاريخية تعليلاً شخصياً ومن ذلك قوله حينما استولى الفرنج على جزيرة شقير[٧] **((وكان سبب أخذها اختلاف الملوك من بني مرين أصحاب فاس حتى أعطوها لابن الأحمر صاحب غرناطة من الأندلس فنقل سلاح كان بها فطمع بها الفرنج فأخذوها))**[٨].وبين المؤرخ موقفه أحياناً من بعض الحوادث التي أصابت المسلمين وهو موقف يدل على حسرة وألم مر بها المؤرخ ففي أحداث سنة

---

[١] نيل الأمل، ج٧/ ص٣٠.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٧٥.

[٣] **الظاهر برقوق:** هو السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بن أنص وهو أول سلاطين دولة المماليك الشراكسة انتزع السلطنة من آخر سلطان من بني قلاوون وهو السلطان حاجي اتصف بالشجاعة والدهاء وحكم خلال الفترة (٧٨٤ – ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ – ١٣٩٨م). السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٨؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١/ ص٢٥٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١/ ص٤٤.

[٤] نيل الأمل، ج٢/ ص٢٨٧.

[٥] **بولاق:** بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس تشتهر بالنخيل ولها ميناء ترسو فيه السفن. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٣٦٨.

[٦] نيل الأمل، ج٦/ ص٤٠.

[٧] جزيرة **شقير:** وهي جزيرة بالأندلس قريبة من مدينة شاطبة بينهما وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً وتسمى شقر أيضاً وهي كثيرة الأشجار والثمار والأنهار. الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٩.

[٨] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٧٠.

٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م دون خبر سقوط مدينة مالقة في الأندلس على أيد القشتاليين فعلق على الخبر قائلاً: ((**فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، إنّا لله، ما هي إلاّ مصيبة ورزية عظيمة ولله الأمر**))[١]. أما النقد التاريخي عند المؤلف فقد كان موجهاً للمؤسسات وللشخصيات وأحياناً للسلطة المملوكية، وأن تأكيد المؤرخ في نقده للمؤسسات ولاسيما مؤسسة القضاء يأتي من كونها ذات مكانة خاصة لهذا نجده ينقد ويطرح آراء شخصية فيها حينما يذكر أخبار القضاة ومما ذكره في هذا الصدد عن سبب تدخل الناس في شؤون القضاء حيث قال: ((**ثم تزايد الأمر بعد ذلك لاسيما في أزماننا هذه حتى صار أقل الناس فضلاً عن الأكابر يتكلمون في القضاة والعلماء وينسبونهم إلى المعائب والمثالب والمصائب حتى أقبل الغلمان وأراذل العامة وسفلة الناس – أي على التدخل في القضاء – وما ذلك إلاّ عقوبة من الله تعالى لهم لامتهانهم العلم وخضوعهم لبني الدنيا في طلبها وليتها لو وصلت اليهم وإنّا لله وإنّا إليه راجعون**))[٢].وفي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م ذكر خبر تولي شمس الدين محمد الغزي المغربي لمنصب القضاء فقال: ((**استقر في قضاء الحنفية في مصر إنسان كان لا في العِير ولا في النفير ... وكانت ولاية الغزي هذا لهذه الوظيفة من أعظم ما أصيبَ به الناس، ومن أكثر البليات في مصر...**))[٣].

ونقد عبد الباسط السلطة وأقطابها في عدة مواضع من كتابه نيل الأمل ففي أحداث سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨١م ذكر قتل المماليك لشخص يدعى ابن عرام(٤) فقال معلقاً على ذلك: ((**وكان ابن عرام هذا إنسان حسن له فضيله ويذاكر بعلوم وصنف تاريخ مفيد ... فيقال انه قتل ظلماً... وهذه من نذالة الشراكسة**))[٥].

وعلق على فرض أحد الولاة ضرائب مجحفة على بعض الناس سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م بقوله: ((**...وهذا من أشنع ما يفعل الولاة في هذا الزمن العجيب في**

---

[١] المصدر نفسه، ج٨/ ص١١٢.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٨٣.

[٣] المصدر نفسه ، ج٧/ ص٢٨٥.

[٤] **ابن عرام:** هو خليل بن علي بن عرام الاسكندراني مؤلف تاريخ مصر جمع فيه بين الحوادث والتراجم توفّى سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م وكان فطناً ذكياً تولى الوزارة في دولة المماليك البحرية. المقريزي، السلوك، ج٥/ ص٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص١٨٦؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١/ ص٣٥٢.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص١٧٠.

قبحـه))[1]. وفـي سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) ترجم للسلطان المؤيد شيخ الظـاهري (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢١) فقـال: **((...وكـان مـن معايبـه البخـل والشـح حتـى بالأكل وعنده لجاجه غصوبا حسوداً معيابا نكدا فحاشا سباباً بذيئاً يتظاهر بمنكرات محرمـة عفا الله عنـه))**[2]. وترجم للوالي محمد بن تاج الدين الدمشقي (ت٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م)[3] فقال: **((وكـان مـن الفسـق والفسـاد علـى جانـب عظـيم ... وكـان مـن قبائح الدهر))**[4]. ومن جهة أخرى مدح بعض الأشخاص الذين ترجم لهم ففي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤١٨م تم تعيين بدر الدين حسن بن الطولوني في معلمية المعلمين[5]. فعلق قائلاً: **((...ونعم الرجـل هـو))**[6]. وفـي سـنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م ألّف المـؤرخ المصري ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) كتاب الأخبار عن الأعذار وما جاء به من الأخبار والآثار فقال: **((...كتاب جليل المقدار))**[7].ومما يميز أسلوبه في كتابه استخدامه للأقوال والأمثال ففي سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م ذكر خبر نفي أحد الأمراء من مصر إلى الشام فعلق قائلاً: **((ولم ينتطح في ذلك شاتان))**[8].وفـي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م ذكر خبر لرجل جاء إلى الاستادار[9] ومعه رسالة من السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ – ١٣٩٨م) يأمر فيها بالقبض على حامل

---

[1] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٠.

[2] المصدر نفسه، ج٤/ ص٧٧.

[3] ترجم له الصيرفي، ج٣/ ص٣٥٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٤.

[4] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٩٠.

[5] **معلمية المعلمين:** تعني رئاسة المهندسين أو كبير المهندسين. عبد الباسط الظاهري، ، نيل الأمل، ج١/ ص٤١٢؛ ابن الصيرفي، إنباء الصهر، ص١٦٤.

[6] نيل الأمل، ج٧/ ص٢٨٧.

[7] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٥٤.

[8] نيل الأمل، ج٢/ ص٦٠ والمثل ورد عند الزبيدي في تاج العروس، ج٤/ ص٢٣٦ حيث قال إن هذا المثل يشار به إلى الأمر الذي لا يجري فيه خلاف ولا نزاع.

[9] **الأستادار** : هو الأمير الذي يهتم بأمور بيوت السلطان وشؤونها من الملبس المأكل والخدم كما أنه يقوم بطلبات السلطان ويحكم بين غلمان القصر وله الحق في صرف ما يحتاجه من نفقات الإيفاء احتياجات السلطان ويتولاها أمير مائة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٢١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص١٠٢.

الرسالة وتغريمه مائة ألف دينار فنفذ الاستادار ذلك فعلق المؤرخ على هذا الخبر قائلاً: ((...**فكان كالباحث عن حتفه بظلفه**))[١].

سابعاً: مصادره في كتاب نيل الأمل:

تنوعت المصادر التي اعتمد عليها عبد الباسط بن خليل في نقل مادة كتابه نيل الأمل لكن الملاحظ على المؤرخ أنه لم يذكر الكثير منها وقد يعود السبب في ذلك إلى أن الكتاب مختصر فضلاً عن اعتماد المؤرخ بشكل أساس على كتابه التاريخي الكبير الروض الباسم ومن موارده التي اعتمد عليها المشاهدة حيث نقل عددا من النصوص حول أحداث وأشخاص عن طريق المشاهدة كقوله في ترجمة السلطان المملوكي المؤيد الذي حكم أربعة شهور أثناء عام ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م: ((**ولم نرَ في شعار الملك سلطاناً أليق منه في يوم بيعته**))[٢]. وهذا معناه أن المؤرخ كان حاضراً أثناء حفل تنصيب السلطان وأن الأبهة التي كان عليها السلطان في ذلك اليوم قد أثارت إعجاب المؤرخ. ووصف لنا بعض الأشخاص عن طريق مشاهدتهم ففي ترجمة للأمير شهاب الدين الطولوني (ت٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م) قال: ((**وكان مفرط السمن جداً حتى لم أرَ في عمري أسمن منه..**))[٣].

كما ذكر خبر وصول رسول ملك الفرنج بالأندلس سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م عن طريق المشاهدة بقوله: ((**وكان وصول هذا القاصد من جهة البحرالملح وكان في ضخامة كبيرة وأنزل بمكان أعد له وصعد بعد ذلك إلى السلطان**))[٤].وأورد المؤرخ بعض النوادر التاريخية التي حدثت في زمانه مشاهدةً كقوله في أخبار ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ((**وفيه_اي ربيع الاول- رأيت ديكاً كبير الجثة له رأس واحد فيه أربعة عيون وعرفين وله أربعة أجنحة وأربعة قوائم ...**))[٥]. وفي نادرة مشابهة ذكر

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٠٧ وهذا القول عند ابن حجة الحموي في كتابه خزانة الأدب وغاية الأرب، ج١/ ص٢٣٤.

[٢] المصدر نفسه، ج٦/ ص١١٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٠٤.

[٤] نيل الأمل ، ج٨/ ص١١٦.

[٥] المصدر نفسه ، ج٧/ ص١٣٤.

المؤلف في أحداث سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م خبر عن فروج عجيب قائلاً: **((وفيه رأيت فروجاً من الدجاج ببدن واحد له عنق خلق الله به رأسين بمنقارين وأربع عيون، فسبحان القادر على ما يشاء))**[١]. وفي أحداث سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م ذكر المؤرخ خبر لأحد مروضي الجياد على الحركات البهلوانية ووصف ذلك وصفاً دقيقاً بعد أن شاهده حيث قال: **((وفي رمضان رأيت راكباً معه حصان أشار إليه فرقد على جانبه فصعد الركاب على جنبه الآخر وصلى ركعتين وهو لا يتحرك ثم أشار إليه فقلب على جنبه الآخر فرقد الراكب عليه ولوى عنقه وجعل البدوي رأسه على رأس الفرس وهي ملوية إليه كالمخدة له ثم أقام الحصان ورمى بنعليه من رجليه إلى الأرض وأشار إلى الفرس فناولها له واحدة بعد أخرى بفمه ثم رمى عصا بيده فأخذها الحصان بفمه وناولها للركاب ...))**[٢].ونقل عبد الباسط بعض النصوص مشافهة أي عن طريق السماع المباشر ومن ذلك ما دونه في كتابه من أبيات شعرية أنشده إياها شاعر معاصر له حول الصاعقة التي أصابت الحرم النبوي الشريف وأحرقته في سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م. حيث قال: **((وكان هذا من نوادر الحوادث وأنشدت فيه الأشعار، فمنها ما أنشدني إياه لنفسه الشمس بن الاستادار ...))**[٣].

واعتمد المؤرخ في نقل بعض النصوص على وثائق مختلفة ومنها الإجازات. ففي ترجمة الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٤هـ/ ١٤١١م) نقل من إجازة كتبها هذا الشريف حيث قال: **((ورأيت إجازة بخط الشريف هذا كتب فيها ...))**[٤]. وقف المؤرخ على بعض المكاتبات الرسمية كنقله إحدى النوادر التي حدثت في سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م حيث قال: **((وفيه وقفت على مكاتبة إلى قانصوه الشامي فيها نادرة غريبة من صفة إنسان نادر ففي المكاتبة إنه ظهر بالقرب من بلاد الكرك بمنزلة عربان بني لام صفة رجل آدمي غير أن ذقنه قدر غربال**

---

[١] المصدر نفسه، ج٨/ ص١٨٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٥٧.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٩٧.

[٤] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٢٨.

القمح، يقلع الفارس من على فرسه ويأكل اللحم والعظم ...))[١].وهذا يعني أن المؤرخ كان يصل أحياناً إلى الرسائل الحكومية وينقل منها. ونقل نصاً منقوشاً على حصاة حيث قال: ((**وفيه أحضر شخص من الجند يقال له يوسف السيفي الصوفي حصاة إلى شيخنا الأمين الاقصرائي مكتوب عليها بخط ناتئ قرب الوقت اعتبروا واتقوا الله))**[٢].أما المؤلفات التي اعتمد عليها المؤرخ فلم يشر إلاّ للقليل منها فقد نقل ترجمة الفقيه عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار العراقي (ت٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م)[٣]. حيث قال: ((**وأرخه التبريزي في هذه السنة والسبكي في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة والأسنوي قبل ذلك والله أعلم))**[٤] ويظهر من هذا النص أنه ذكر المؤرخين دون ذكر مؤلفاتهم وهو نقل لا يمكن عدّه دقيقاً لكنه في أحيان أخرى يذكر عنوان الكتاب الذي اعتمد عليه باختصار كقوله: ((**وذكر العماد بن كثير في تاريخه ...))**[٥] ويقصد بذلك كتاب البداية والنهاية لأنه أشهر كتاب تاريخي للمؤرخ ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) أو قوله: ((**قال البدر العيني في تاريخه ...))**[٦]. وهو بذلك يشير إلى كتاب عقد الجمان لأنه أكبر وأشهر كتاب تاريخي لبدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) وأحياناً يحدد موضع النقل بشكل أكثر دقة كقوله: ((في ترجمة السيد الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي (ت٨١٤هـ/ ١٤١١م)[٧]: ((**قال العيني في ترجمته ...))**[٨].

---

[١] المصدر نفسه، ج٨/ ص٢٢٤.

[٢] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٨٩.

[٣] كان العراقي إماماً عالماً فاضلاً بالغ الشهرة اشتهر بالفقه والعربية ترجمه كل من ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣/ ص٤٠؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢/ ص٣٢٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١/ ص٣٩٧.

[٤] نيل الأمل، ج١/ ص٢٤٧.

[٥] المصدر نفسه، ج١/ ص٢٥٤.

[٦] نيل الأمل، ج٥/ ص١٧٤.

[٧] وردت ترجمة هذا الشريف عند ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١/ ص٤٧٤؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج٢/ ص١٩٦.

[٨] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٢٨.

ونقل قسم من النصوص بإسنادها إلى المؤرخين دون ذكر أسماءهم ومن ذلك ما قاله في خبر الوباء الذي حدث سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م **((وجرت فيه أمور وغرائب وعجائب قد ذكرها عدة من المؤرخين...))**[١]. ونقل ترجمة لأحد الأدباء بالشكل الآتي: **((وفيه أرخ بعض المؤرخين ...))**[٢].

ونقل عدة نصوص مسنداً إياها على النحو الآتي: **((وأرخ بعضهم))**[٣] أو قوله: **((ذكر البعض))**[٤] أو قوله: **((قال بعض علماء التاريخ))**[٥] أو **((قال بعض المؤرخين أيضاً))**[٦] أو **((كذا ذكر بعضهم...))**[٧] وهذه الإشارات غير واضحة وغير دقيقة إلى المصادر التي اعتمدها في تدوين مادة الكتاب.

وفي حالات نادرة نقل أخبار المترجم له منه شخصياً ومن ذلك ما قاله في ترجمة أحد الأمراء (ت٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م) **((وكان خيراً ديناً، ذكر لي أنه سمع بدمشق ...))**[٨] أي أنه سمع الحديث النبوي الشريف على بعض الشيوخ هناك.

وفي حالات أخرى ينقل أخبار المترجم له من أحد معاصريه ومثال ذلك قوله في ترجمة الأمير الكبير أيدكي (ت٨٢٢هـ/ ١٤١٩م)[٩] **((وله أخبار تطول كنت اجتمعت بإنسان رآه وعرف أحواله وصحبه هذا الإنسان مدة سنين، فكان يذكر لي عنه غرائب وعجائب في شجاعته ومعرفته ورئاسته وعظمته))**[١٠].

---

[١] المصدر نفسه، ج١/ ص١٨١.

[٢] المصدر نفسه، ج١/ ص٢٢٦.

[٣] المصدر نفسه، ج١/ ص٢٦٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص٦٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٣٥.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦١.

[٧] المصدر نفسه، ج٦/ ص٧٤.

[٨] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٣٧.

[٩] كان هذا الأمير موصوف بالشجاعة وإليه تدبير السلطنة وقاد بعض الغزوات. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٥١؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢/ ص٤٥٨.

[١٠] نيل الأمل، ج٤/ ص٥٢.

ويلاحظ ان المؤرخ أراد التأكيد على علاقة مصدر المعلومة بالشخص المترجم له من خلال استخدامه عدة مصطلحات تدل على ذلك وهي (رآه، عرف أحواله، وصحبه)وأحياناً يشير إلى أنه ينقل المعلومات من أشخاص يثق بهم ومن ذلك ما قاله في أحداث سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م. **((وذكر لي من أثق به))**[١]. ويتبين من هذا النص أن عبد الباسط حاول أن يوضح للقارئ أنه يعتمد على أشخاص هم موضع ثقة.

---

[١] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٥٨.

المبحث الرابع: تلامذته والناقلون عنه:

لم نجد في المصادر المتوافرة التي طالعناها عن عبد الباسط ما يشير إلى الكثير من تلامذته بل أن هناك إشارة واحدة ذكرها المؤرخ الشهير ابن اياس[1] حيث قال في ترجمته لعبد الباسط بن خليل ما نصه: ((**شيخنا العلامة زين الدين عبد الباسط بن خليل**))[2] وقدم للنصوص التي نقلها منه بعبارة دالة على تتلمذه عليه كقوله: ((**نقل شيخنا الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي في تاريخه ...**))[3].

وذكر ابن اياس وصفاً دقيقاً للهيئة التي كان عليها شيخه عبد الباسط مما يدل على أنه كان قريباً منه متردداً إليه حيث قال: ((**وأما الشيخ عبد الباسط رحمه الله فقد كانت صفته طويل القامة نحيف الجسد وكان يرى له ذؤابة شعر في رأسه على طريقة الصوفية وكان له أنف وافر جداً**))[4].

وقد اعتمد على مؤلفات عبد الباسط التاريخية بعض المؤرخين المعاصرين له أو الذين جاءوا بعده ومنهم شمس الدين السخاوي الذي اعتمد عليه في كتابه الضوء اللامع حينما ختم ترجمة سلطان المغرب الأوسط أحمد بن أبي حمو العبد الوادي التلمساني (ت٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م) بقوله: ((**وترجمهُ الزين عبد الباسط مطولاً**))[5].

ويبدو أن مؤرخنا حصل على معلومات كثيرة عن هذا السلطان أثناء رحلته إلى بلاد المغرب والراجح أن هذه الترجمة نقلها السخاوي من كتاب الروض الباسم لأنه كتاب مطول على خلاف كتاب نيل الأمل المختصر وكلاهما في الحوادث والتراجم. كما نقل السخاوي أيضاً عنه معلومات في ترجمة تاجر المماليك إبراهيم بن قرمش

---

[1] **ابن اياس:** هو أبو البركات محمد بن أحمد بن اياس الحنفي أحد مؤرخي المماليك المشاهير كانت له علاقات ببعض السلاطين المماليك ولد سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م توفّى سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م من أشهر كتبه بدائع الزهور في وقائع الدهور وله أيضاً عقود الجمان في وقائع الزمان؛ العزاوي، التعريف بالمؤرخين، ج١/ ص٢٥٤ – ٢٥٥؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج٢/ ص١٢٤؛ البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢/ ص١١٢.

[2] بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٧٤.

[3] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦.

[4] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٧٤.

[5] الضوء اللامع، ج١/ ص٢٩٢.

(ت٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) نصاً نقله بلفظ أفادنا الزين عبد الباسط بن الأمير خليل وكان زوجاً لعمته[١].

واتخذ المؤرخ الشهير ابن اياس من كتابات عبد الباسط التاريخية ولاسيما كتاب نيل الأمل مصدراً أساسياً له حتى أنه نقل معظمه في كتاب بدائع الزهور بل أنه نقله بتمامه ووضعه في كتابه المذكور[٢]. ومن الأخبار التي نقلها عنه مشيراً إليه كمصدر خبر الحصاة التي كتب عليها عبارة قد قرب الوقت اعتبروا واتقوا الله[٣].

ونقل عنه أيضاً أبيات شعرية كان عبد الباسط قد رثا بها الشيخ بدر الدين محمد بن محمد بن خليل القاهري الحنفي (ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م)[٤] ونقل ابن اياس أيضاً نصاً عن أخبار نهر النيل بقوله: ((**وقال شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفي ...**))[٥].

وهذا النص والنصوص التالية تشير إلى أن ابن اياس اعتمد على نسخة كاملة من كتاب نيل الأمل لأن النسخة التي حققت وطبعت تنتهي عن أحداث سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م فحفظ لنا ابن اياس النصوص التي ضاعت من كتاب عبد الباسط بن خليل، ونقل عنه أيضاً ثلاث أبيات شعرية قالها مؤرخنا منتقداً بها المنجمون الذين ذكروا في سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٥م ان فتناً عظيمة ستقع[٦].

ومن المؤرخين الذين اعتمدوا عليه أيضاً ابن طولون الدمشقي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) حيث نقل عنه القصيدة التي كتبها عبد الباسط بن خليل راثياً بها المؤرخ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وهي القصيدة ذاتها التي نقلها المؤرخ الغزي (ت١٠٦١هـ/ ١٧٤٨م) في كتابه الكواكب السائرة وهذه القصيدة تعد أيضاً من النصوص التي ضاعت من كتاب نيل الأمل[٧]. ومن الجدير بالذكر ان الغزي لم

---

[١] الضوء اللامع، ج١/ ص١١٨.

[٢] تدمري، مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل، ج١/ ص٦٦، ٦٧.

[٣] بدائع الزهور، ج٣/ ص٢٦ وينظر كتاب نيل الأمل، ج٦/ ص٣٥٨-٣٥٩ .

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦٣ وينظر كتاب نيل الأمل، ج٨/ ص١٤٢ – ١٤٣.

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٠٤ وينظر كتاب نيل الأمل، ج٨/ ص٢٣٣.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣١٨ وينظر كتاب نيل الأمل، ج٨/ ص١٩.

[٧] الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج١/ ص٢٣٣.

يترجم لعبد الباسط بن خليل في كتابه المخصص لأعيان القرن العاشر على الرغم من أن الأخير عاش في هذا القرن عقدين من الزمان.

ومن المؤرخين المتأخرين الذين اعتمدوا عليه المؤرخ ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) حيث نقل عنه عدة نصوص لكنه لم يشر إلى اسمه الصريح بل أشار إلى عنوان كتابه بعبارة **((قاله في ذيل الدول))**.حيث ذكر ذلك بعد نقل الترجمة ومن تلك النصوص التي نقلها ترجمة القاضي قاسم بن جلال الدين الشافعي (ت٨٦١هـ/ ١٤٥٦م)[١]. وكذلك ترجمة الشيخ الصوفي شهاب الدين أحمد بن محمد القاهري الحنفي (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)[٢].

وترجمة الإمام العلامة عبد الرحمن بن علي بن عمر القاهري المعروف بابن الملقن[٣] وفي أحداث سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م نقل عنه خبر غريب تحدث فيه عبد الباسط عن الحصى الأبيض الذي نزل على شكل مطر من السماء[٤]. ومن التراجم التي نقلها ابن العماد الحنبلي عن المؤرخ عبد الباسط بن خليل ترجمة الإمام العلامة أبو بكر بن محمد بن شادي الشافعي (ت٨٨١هـ/ ١٤٧٦م)[٥].

---

[١] شذرات الذهب، ج٧/ ص٢٩٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٠٠؛ وينظر كتاب نيل الأمل، ج٦/ ص٢٩.

[٣] شذرات الذهب، ج٧/ ص٣١٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣١٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٣١.

المبحث الخامس: أقوال المؤلفين فيه:

وردت في ثنايا التراجم القليلة التي دونها بعض المؤرخين والباحثين لعبد الباسط بن خليل أقوال وأحكام أشادت به وبعلميته ومكانته ومن ذلك ما قاله شيخه شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) **((برع في كثير من الفنون وشارك في الفضائل وألّف ونظم ونثر وأقبل على التاريخ ... وهو إنسان ساكن أصيل منجمع عن الناس متودد سمعت من نظمه وفوائده))**[١]. أما تلميذه ابن اياس فقد وصفه بأوصاف دلت على مكانته من الناحيتين العلمية والاجتماعية حيث قال: **((شيخنا العلامة زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين ... كان عالماً فاضلاً رئيساً من ذوي البيوت وكان من أعيان الحنفية))**[٢]. ثم أثنى على علميته في الفقه والطب ووصف مصنفاته بأنها مصنفات نفيسة[٣].وقدم تلميذه هذا وصفاً لبعض أخلاق شيخه عبد الباسط وطباعه الشخصية حيث قال: **((وكان الشيخ عبد الباسط ضنين بنفسه ... مع شمم زائد))**[٤]. وختم ابن اياس تقييمه لشيخه عبد الباسط بقوله: **((كان معظماً عند الأتراك والأمراء وكان عارفاً باللغة التركية وفيه جملة محاسن وكان بقية السلف وعمدة الخلف))**[٥].

ويتبين مما أورده ابن اياس بحق شيخه أنه أثنى على علميته غير أنه أخذ عليه اعتزازه بنفسه واعتداده بها. ومن الباحثين الذين أصدروا أحكاما على عبد الباسط ومؤلفاته الباحث المؤرخ شاكر مصطفى الذي كتب عن المؤرخين ومؤلفاتهم التاريخية حيث قال بأنه عالم كثير التأليف[٦].

---

[١] الضوء اللامع، ج٤/ ص٢٧.

[٢] بدائع الزهور، ج٤/ ص٣٧٤.

[٣] المصدر نفسه ،ج٤/ص٣٧٤.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ص٣٧٤.

[٥] المصدر نفسه ،ج/ص٣٧٤٤.

[٦] التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣/ ص٢٥٤.

المبحث الأول: بيت المال ووارداته

أولاً: بيت المال:

أشـار عبـد الباسـط إلـى وجـود مؤسسـتين مـاليتين همـا بيـت المـال[١] وخزانـة الخـاص[٢]. فبالنسبة إلى بيت المال كان يطلق عليه في العصر المملوكي اسم الخزانة العالية الكبرى[٣]، تمييزاً لها عن خزانة الخاص التي تسمى أيضاً خزانة الخاص الشريف والتي كانت تشتمل على أموال السلطان إضافة إلى الأقمشة والطرز والخلـع[٤] وكـان لبيـت المـال وكيـل يقـوم بمهامـه[٥]، يهـتم بمبيعـات بيـت المـال ومشـترياته[٦]. وفضـلاً عـن ذلـك فـإن لبيـت المـال نـاظر كـان يقـوم بإيـداع الأمـوال المستحصـلة لبيـت المـال والتصـرف بهـا ويشـترط بـه أن يكـون موصـوفاً بالعـدل والعلم[٧]. وأشار عبد الباسط إلى وجود موظف آخر لبيت المال هو الخازن دار[٨] الذي عرفه القلقشندي على أنه صاحب بيت المال[٩].

أما فيما يتعلق بخزانة الخاص فكان يديرها ناظر الخاص حيث كان يكلف بإدارة الأمور المالية الخاصة بالسلطان وكان كالوزير بأهميته وذلك لقربه من السلطان المملوكي يساعده بعض الموظفين مثل مستوفي الصحبة[١٠]

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٦، ج٦/ ص٣٢٨.

[٢] المصدر نفسه، ج١/ ص٩٨، ١١٢ وخزانة الخاص هي الخزانة التي استحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون عند استحداثه وظيفة نظر الخاص وقد انتقل ما كان يحمل من أموال إلى الخزانة الكبرى ويصرف منها إلى هذه الخزانة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١/ ص٨٨، ٣٣٤.

[٣] القلقشندي، المصدر نفسه، ج١١/ ص١٢٠.

[٤] المصدر نفسه، ج١١/ ص٨٨، ١٢٠.

[٥] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج١/ ص٢٩٣، ٣٦٤.

[٦] القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٧.

[٧] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٢.

[٨] نيل الأمل، ج٦/ ص١٠٨.

[٩] صبح الأعشى، ج٣/ ص٥٥٦.

[١٠] **مستوفي الصحبة:** أحد موظفي خزانة المال الخاصة بالسلطان وكان يشترط به أن يكون أميناً عفيفاً عارفاً بالحسابات وفنون الكتابة. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١١/ ص٨٨.

والكاتب[١] وهذا التقسيم شبيه بما كان موجوداً في الدولة العباسية حيث كانت هناك مؤسستان هما بيت مال العامة وبيت مال الخاصة اهتم الأول الذي يسمى أيضاً بيت مال المسلمين بالأموال العامة للدولة واهتم الثاني بالأموال الخاصة بالخليفة العباسي[٢].لقد أشار عبد الباسط إلى وجود هاتين المؤسستين إشارة مختصرة دون ذكر تفصيلاً عنهما[٣]. ويبدو أن خزانة السلطان كانت تضم أموالاً طائلة فقد ذكر المؤرخ انه في سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م تعرضت هذه الخزانة للسرقة فأخذ قسم من الأموال فكان مبلغ كبير وان السلطان تمكن من استرجاعه ومعاقبة الفاعلين[٤].

ثانياً: الضرائب.

تعددت الضرائب التي ذكرها عبد الباسط الظاهري في كتابه نيل الأمل وتنوعت أشكالها وقد شكلت هذه الضرائب مورداً مالياً كبيراً كان ينتهي دائماً بأيدي السلطة المملوكية، يفهم ذلك من النصوص المقتضبة أو المفصلة أحياناً الواردة تحت عناوين خاصة بها أو في سياق الحديث الذي هو بصدده، ومن بين هذه الضرائب ضريبة الخراج أو ما يسمى في العصر المملوكي (بالمال الخراجي)[٥] ومما ذكره مؤرخنا في هذا الجانب ان السلطان الظاهر ططر[٦] في عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م أمر وهو في القدس بإلغاء ما كان يأخذه نواب القدس من فلاحيها من أموال بلغت أربعة آلاف

---

[١] القلقشندي،صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٠.

[٢] الطبري، تاريخ الطبري، ج٦/ ص٤٣٥؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١/ ص١٥٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦/ ص١٠٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١/ ص١١٨.

[٣] نيل الأمل، ج٧/ ص١٥٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٥٠.

[٥] **المال الخراجي:** هو مقدار من المال يؤخذ من الأراضي وهو كل ما حصل عليه المسلمون عنوة وتزرع حبوب أو نخل أو عنب أو فاكهة أو ما يجبى من الفلاح على سبيل الأموال العينية كالدجاج والغنم وغير ذلك. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص١٠٣.

[٦] **الظاهر ططر:** هو سيف الدين أبو سعيد السلطان الظاهر ططر الجركسي سادس سلاطين دولة المماليك الجراكسة تسلطن خلال سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م ثم ما لبث أن مرض ومات في نفس العام ودام حكمه ثلاثة أشهر فقط. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٤١؛ العيني، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، ص٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢/ ص١٩٨؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١٣.

دينار سنوياً فألغاها ونقش أمره على حجر في المسجد الأقصى، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلاً ففي العام نفسه عادت الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً[١]. ويبدو أن مقدار هذا المبلغ الذي يجبى من فلاحي مدينة واحدة في دولة واسعة كدولة المماليك تضم الكثير من الأراضي في مصر والشام وغيرها مبلغاً كبيراً، وإن الدولة المملوكية كانت تستحصل أموالاً طائلة من ضريبة الخراج ومن الأدلة على ذلك أن عبد الباسط ذكر جباية أموال الخراج من الوجه البحري[٢] سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م واصفاً إياها بأموال جزيلة حملتها جمال موقرة بالذهب انتهت أخيراً بيد السلطان وتسمى جباية نوروز الاموال[٣]. وفي سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م فرضت الأموال على الأراضي فاستحصلت مبالغ طائلة منها[٤].أما الجزية فهي الضريبة المفروضة على أهل الذمة الذين يعيشون داخل الدولة العربية الإسلامية[٥]. وتفرض على البالغين القادرين عليها دون الشيوخ والنساء والأطفال[٦]، ويعفى منها من يدخل الإسلام[٧]. ذكر مؤرخنا أن للجزية موظف خاص هو ناظر الجوالي[٨] ويبدو من كتابات عبد الباسط حول هذه الوظيفة ان لكل مدينة من المدن المصرية والشامية ناظر جوالي خاص بها فضلاً عن الموظف الرئيسي في مركز الدولة في القاهرة[٩]. وأشار إلى أن بعض

---

(١) عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٩٦.

(٢) **الوجه البحري:** هو ما كان في جهة شمال مصر وهو كثير الخلجان والترع والجسور والأغوار والمشهور ومن خلجانه خليج منجا وخليج منف وخليج اشموم طناح وخليج الإسكندرية وخليج دمياط وخليج القاهرة وغيرها، وأهم جز جزيرة الغربية والمنوفية وجزيرة بني نصر والبحرية وفوه وغيرها، وهو ستة أعمال متصلة البر بالإسكندرية وبرقا. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص١٣٩.

(٣) عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٣/ ص٢٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٤٦.

(٥) أبو عبيد ، الأموال، ص٢٠٩.

(٦) أبو يوسف، الخراج، ص١٤٦.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٥٦.

(٨) **ناظر الجوالي:** يدر ناظر ديوان الجوالي الذين يعين من قبل السلطان يساعده موظفون مثل الشهود أو العمال وتحت يده موظف من اليهود وآخر من النصارى على دراية بأسماء الأشخاص المشمولين بضريبة الجوالي. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٤٥٨.

(٩) نيل الأمل، ج٣/ ص٢٧٤، ج٧/ ص٨٩.

هؤلاء تعرض إلى الغرامة القاسية من قبل السلطة كما حدث سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م حينما غرم ناظر الجوالي في القاهرة قاسم البشتكي مبلغ عشرين ألف دينار[١]. ويبدو أن الأموال التي كانت تجبى من ضريبة الجزية كبيرة، فقد ذكر المؤرخ أنه في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م استحصلت الأموال الكثيرة من النصارى واليهود[٢]. كما أشار إلى الجزية التي فرضها سلاطين المماليك على بعض المناطق التي كانوا يغزونها، ففي أحداث سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م ذكر عبد الباسط وصول مبلغ خمسين ألف دينار كجزية من ملك جزيرة قبرص الملك جينوس[٣] وإن السلطان المملوكي الأشرف برسباي أمر بصهرها وسكها مجدداً إلى دنانير سميت بالدنانير الأشرفية نسبةً إليه ونقشت عليها كتابات إسلامية[٤]. وفي سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م أرسل السلطان ذاته رسول إلى جوان بن جينوس الذي حل محل أبيه في حكم جزيرة قبرص يطالبه بمال الجزية[٥]. وأشار عبد الباسط إلى ما حصل عليه المماليك من غنائم في بعض المعارك ففي سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م أرسل السلطان الأشرف برسباي حملة لغزو جزيرة قبرص وقد حققت هذه الحملة انتصاراً كان له أصداء واسعة في القاهرة حيث احتفل الناس احتفالاً كبيراً بهذا النصر[٦]. وإن الجيش المملوكي غنم في هذه الغزوة غنائم هائلة حملت أموالها على مائة وسبعين جملاً[٧].

أما الأسرى الذين جلبهم الجيش المملوكي فبلغ عددهم ألف وستين أسيراً تولى السلطان بنفسه عملية بيعهم ، ولكنه أمر أن لا يفرق بين أسير وقريبه عند البيع[٨]. ولابد أن عملية بيع هؤلاء الأسرى قد أكسبت السلطان أموالاً كثيرة، لكن عبد الباسط

---

[١] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٧٤.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٨١.

[٣] **الملك جينوس:** هو جينوس بن جاك بن بيدو بن انطوان بن جينوس الفرنجي تملك جزيرو قبرص بعد وفاة أبيه سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م

[٤] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٢٦.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣١٥.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٨٠.

[٧] المصدر نفسه، ج٤/ص ١٨١-١٨٢.

[٨] نيل الأمل ، ج٤، ص١٨٢.

لم يذكر أن هذه الأموال ذهبت إلى بيت المال أم إلى الخزينة الخاصة بالسلطان التي كانت تسمى بخزانة الخاص. وشكلت المكوس[(١)] مبالغ مالية كبيرة كانت تحصل تحصل عليها السلطة المملوكية وقد ذكر عبد الباسط قسم منها مثل مكس المغاني[(٢)] ومكس القراريط[(٣)] التي كانت السلطنة تحصل منها على مال عظيم جداً على حد قول المؤلف[(٤)]. وقد أبطل السلطان الأشرف زين الدين شعبان في سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م هذا المكس بضغط من بعض علماء الدين المعاصرين[(٥)]. وفي سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م تدخل السلطان مرة أخرى لإلغاء مكس المغاني بعد أن أعاده **((وزراء السوء لكثرة ما يتحصل منه وكان من أشنع الشنائع وأقبحها))**[(٦)] ومن هذه المكوس مكس الفواكه والخضروات الذي ألغاه السلطان سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م ويبدو أن هذه الضريبة قد أعيدت مرة أخرى ولم يتم إبطالها إلا في عهد السلطان المؤيد شيخ الظاهري (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢١م) ولكنها أعيدت مرة

[(١)] **المكوس:** تعني كلمة المكوس الضرائب المفروضة من قبل الدولة وأطلق عليها المقريزي المال الهلالي الذي هو عبارة عن الأموال التي تؤخذ شهرياً كأجرة للأملاك والحوانيت والأفران والطواحين والبساتين ومصائد الأسماك ويسمى بالهلالي لأنه يجبى عند ظهور الهلال كل شهر عربي. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص١٠٧.

[(٢)] **مكس المغاني:** هو مبلغ مقرر على النساء اللاتي يقمن بعمل الأفراح والاحتفالات المختلفة في بيوت الناس وكانت المغنية إذا تغيبت عن بيتها تدفع ذلك الرسم حتى لو كانت في زيارة لأهلها، وكان أعوان الضامن لهذا المكس يدورون على بيوت المغنيات لمعرفة من باتت خارج بيتها ويلحق بهذا المكس أيضاً رسم العرس فأهل العروس عليهم أن يدفعوا للضامن مبلغ من المال ولم تكن أي امرأة تستطيع إقامة حفل زفاف أو ختان أو ولادة إلا بدفع تلك الضريبة. المقريزي، السلوك، ج٢/ ص٣٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١/ ص٥٨؛ عبد اللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية، ج٢/ ص١١٨.

[(٣)] **مكس القراريط:** القراريط جمع قيراط ويساوي نصف دانق وهذا المكس يدفعه كل من باع عقاراً بنسبة عشرين درهماً عن كل ألف درهم وكان الناس لا يستطيعون البيع والشراء حتى يدفعون ذلك المكس وحينما يدفعونه يختم لهم على ورق أحمر ختم أشبه بالدائرة وفيها تواقيع العدول. المقريزي، السلوك، ج٢/ ص٢٩٥، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص١٣٤.

[(٤)] نيل الأمل، ج٢/ ص٥٧.

[(٥)] المصدر نفسه، ج٢/ ص٥٧.

[(٦)] نيل الأمل، ج٢/ ص١١٢.

أخرى من قبل الوزير ابن كاتب المناخات[١] وقد علق عبد الباسط على هذا الإجراء من قبل الوزير المذكور بقوله: **((وعليه أثم ذلك إلى يوم القيامة))**[٢].ومن الضرائب أيضاً ما كان يفرض على بضائع التجار في بعض الموانئ مثل ميناء جدة الذي بدأت هذه الضريبة تؤخذ فيه منذ سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م[٣] وأورد المؤرخ في سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م خبراً عن أخذ المكوس من التجار القادمين من الهند[٤]. وقام بعض السلاطين بإلغاء عدة مكوس دفعة واحدة ومن ذلك ما قام به السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م حيث أعلن أمام القضاة أنه ألغى عدة مكوس وأمر المنادي أن يعلن ذلك على الملأ منها مكس الخشب والأطرون بالبحيرة[٥]. وفي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م أمر السلطان نفسه بإلغاء جميع المكوس في المدينة المنورة وعوض صاحب المدينة عن ذلك الف اردب قمح[٦].ومن الجدير بالذكر إن هذه الإجراءات غالباً ما تكون محدودة ومؤقتة لأن الاتجاه العام للسلاطين هو فرض ضرائب كثيرة ومتنوعة ومن الأدلة على ذلك ما سنذكره من ضرائب ومنها الضرائب المفروضة على كل من يدخل إلى السجن أو من يزور أحد السجناء[٧] وهناك ضرائب تفرض على الخيول[٨]، وأخرى عينية تؤخذ من الفلاحين كضريبة الشعير التي كان يفرضها بعض السلاطين حيث يأخذ مقدار معين من هذا المحصول لخيوله الخاصة، وكان الفلاحون يعانون من ذلك كثيراً ولاسيما من الجباة[٩]. ومن

---

[١] **ابن كاتب المناخات:** هو تاج الدين عبد الرزاق بن عبد الله القبطي تولى الوزارة وهو الذي أعاد مكس الفاكهة بعد أن كان قد تم إلغائه وقد تولى الوزارة مرتين توفّى سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م. ينظر: ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٨/ ص٥٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤/ ص١٩٤؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص١٥٣.

[٢] نيل الأمل، ج٤/ ص١١٨.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٦٨.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٤٠.

[٥] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٣٠.

[٦] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٤٣.

[٧] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٠، ج٧/ ص١٣.

[٨] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٠٠.

[٩] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٨٠.

أغرب ما فرضه المماليك من رسوم هي (ضريبة القرعان) ففي سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م كتب السلطان الأشرف برسباي مرسوماً سلطانياً عين بموجبه أحد المماليك والياً على القرعان ليجني منهم مبلغاً من المال. وقد أخذ هذا يمارس سلطته التي منحها إياه السلطان عن طريق تفتيش الرجال بكشف رؤوسهم فمن وجده أقرعاً فرض عليه هذه الضريبة سواءً أكان مسلماً أم نصرانياً أم يهودياً وقد بلغ مقدارها عشرة دنانير على الأمراء القرعان ثم استنجد الناس بالسلطان فأمر بإلغائها[١]. وعلق عبد الباسط على هذه الضريبة قائلاً: **((وكان هذا من أشنع الحوادث وبالله المستعان))**[٢].كما ذكر المؤرخ إن الجزارين في القاهرة كان يؤخذ منهم ضريبة على شكل أغنام[٣]، وكانت السلطة المملوكية أحياناً تفرض ضرائب على الناس لغرض القيام بعمليات كري وحفر بعض القنوات والخلجان من ذلك ما فعلوه سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م حينما فرضوا على الأهالي أموالا لقاء حفر خليج الإسكندرية[٤].

ثالثاً: المصادرات.

المصادرة عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء بالمطالبة أو بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون أن يكون للشخص المصادر حق الاعتراض عليه[٥]. وقد عرف أحد الباحثين المصادرة بأنها عقوبة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان أو المطالبة أو الاستيلاء عليه بالقوة من قبل الدولة[٦].وقد شكلت المصادرات في العصر المملوكي الذي تناوله عبد الباسط في كتابه نيل الأمل مورداً ضخماً للسلطة المملوكية وأشار المؤرخ إلى الكثير من المصادرات التي تعرض لها أشخاص أو مجموعة أشخاص دفعة واحدة ومن ذلك ما حدث سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م

---

[١] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢١٦، وينظر عن هذه الضريبة أيضاً المقريزي، السلوك، ج٧ ص١٥٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١١٤.

[٢] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢١٦.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٢٣.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٤٢١.

[٥] بيومي إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية، ص٣٢.

[٦] محمد بهجت عصفور، المصادرات في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك، ص٣ – ٥.

حينما تمت مصادرة الكثير من الناس وكان السبب في ذلك تغطية ما أنفقه السلطان المنصور علاء الدين بن الأشرف شعبان ٧٧٨ – ٧٨٣هـ/ ١٣٧٦ – ١٣٨١م على الجند المماليك من مبلغ ضخم بلغ مليونين وخمسمائة ألف دينار[١]. ومن المصادرات الجماعية التي ذكرها المؤرخ ما تعرض له أهل دمشق سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م حيث تمت مصادرة القضاة والتجار وعامة الناس بالقوة غير أنه لم يذكر سبب المصادرة أو مقدار المبلغ المستحصل منها[٢]. وأحياناً تكون المصادرات الجماعية عينية ومن ذلك ما فعله السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨١٠ – ٨١٥هـ/ ١٤٠٧ – ١٤١٢م) حينما أمر بمصادرة خيول الناس وجمالهم فتعسف الأمراء الذين عينهم لذلك في الاستيلاء على هذه الحيوانات[٣]. وفي سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م تمت مصادرة أهل الوجه البحري بطريقة قاسية حيث نهبت أموالهم فضلاً عن خيولهم وجمالهم[٤]. وتكررت مصادرة أهل الوجه البحري سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م وكانت سبب هذه المصادرة هو لتغطية نفقات سفر السلطان الأشرف برسباي[٥].

ويلاحظ أن المماليك حرصوا عند تنفيذ عقوبة المصادرة أن تشمل ما يملكه الشخص المصادر من حيوانات ولاسيما الخيول لأنها كانت ذات أهمية كبرى في ذلك العصر لاستخدامها في المواصلات أو الحرب أو التدريبات العسكرية أو الألعاب الرياضية[٦]. وذكر المؤرخ أحياناً سبب سياسي وراء المصادرة الجماعية ومن ذلك ما قام به السلطان الظاهر خشقدم حينما صادر مجموعة من أهل مكة وجدة ثاروا ضد نائبه هناك حيث أخذ منهم مال كثير[٧].واقترنت المصادرات التي

---

[١] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٢/ ص١٢٠ وقد أشار ابن اياس إلى هذه المصادرة في بدائع الزهور، ج١/ ص١٩٦.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٦٥.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٧٣.

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٢٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٢٣.

[٦] بيومي إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، ج١/ ص١٩٥.

[٧] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص١٧٧.

تعرض لها المسؤولين المماليك بعقوبة قاسية من ذلك ما حدث لابن البقري[١] الذي صودر ما قيمته أكثر من ثلاثمائة ألف دينار بعد أن تعرض لعقوبة شديدة[٢]. واحيانا تضبط الامول كما حدث للأمير منطاش[٣] سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م حيث ضبطت اموله فبلغت ثلاثمائة وخمسة وثلاثين ألف دينار[٤]. وفي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م صودر ابن النظام الأصبهاني[٥] بمبلغ قدره مائتا ألف دينار. وأحياناً تشتمل المصادرة أقارب المسؤول المصادر ، إذ ذكر عبد الباسط أن السلطان الناصر فرج بن برقوق شك بأمر جمال الدين الأستادار[٦] فقبض عليه وعلى أقاربه وسجنوا وتمت مصادرتهم بمبلغ مليون دينار[٧] وعلى الرغم من أن هذا المبلغ مبالغ فيه إلاّ أنه يعكس لنا مدى الثراء الذي كان يتمتع به كبار المسؤولين المماليك وضخامة المبالغ

---

[١] **ابن البقري:** هو تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله الوزير تولى إضافة إلى الوزارة نظر الذخيرة ونظر الإسكندرية ونظر الكارم والأملاك والمستأجرات وكان واسع الثراء صودرت أملاكه عدة مرات وأخذ منه مبالغ طائلة من الدنانير الذهبية واللؤلؤ والجوهر والذهب والحرير وغيرها توفّى سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م، المقريزي، السلوك، ج٥/ ص١٥٥، ٤٠٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١١/ ص٢٣٨.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٢/ ص٢٠٨.

[٣] **الأمير منطاش:** هو الأمير منطاش الأشرفي نسبةً إلى السلطان الأشرف شعبان بن حسين تولى نيابة السلطنة في مدينة ملطية فجمع حوله الكثير من التركمان وأظهر العصيان ضد السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م استولى على دمشق وتوجه إلى حلب ثم أرسل إليه الظاهر برقوق جيش لقتاله في سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م وتمكن من قتله، وصف بأنه عالي الهمة كثير العطايا شجاعاً. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٦/ ص١٣٠؛ القلقشندي، مآثر الأنافة، ج٢/ ص١٨٩.

[٤] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٢/ ص٢٧٩.

[٥] **ابن النظام الأصبهاني:** هو أحمد بن إسحاق بن عاصم بن محمد بن عبد الله المعروف بابن النظام الأصبهاني ولد في حدود سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م ونشأ بالقاهرة وتفقه على يد أبيه وتولى مشيخة خانقاه سرياقوس فحمدت سيرته وكان من خواص الظاهر برقوق توفّى سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ ص٢٢٦.

[٦] **جمال الدين الأستادار:** هو يوسف بن أحمد بن جعفر الحلبي المعروف بجمال الدين الأستادار يكنى بأبي المحاسن وينسب بالبجاسي نسبةً إلى الأمير بجاس الذي قربه وعينه في بعض الوظائف حتى كثر ماله ثم تولى الأستادارية فلقب بالأستادار واشتهر عنه قتل الكثير من الناس بعد إذاقتهم ألوان العذاب توفّى سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م. المقريزي، السلوك، ج٦/ ص٢٤٠ – ٢٤١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣/ ص٩٥ – ٩٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢.

[٧] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٣/ ص١٨٥.

المستحصلة من عمليات المصادرات. وقد تعرض هذا الأستادار إلى عقوبة شديدة من أجل أن يقر بجميع ما يملك. ومن المصادرات التي ارتبطت بعقوبة قاسية ما تعرض له الوزير ابن كاتب المناخات حيث ضرب مائة (شيب)[١] ثم ضرب على أكتافه بالعصي ضرباً مبرحاً ثم عُصِر[٢]، حتى أخذت جميع أمواله ثم اضطر إلى بيع ما يملكه من أملاك ليسدد به ما طلب منه من أموال[٣]. وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٤١م تمت مصادرة ابن النحاس بمبلغ زاد عن ثمانين ألف دينار[٤].

رابعاً: الغرامات.

ذكر عبد الباسط أسماء العديد من شخصيات العصر المملوكي الذين تعرضوا إلى غرامات معينة وهؤلاء غالباً ما كانوا من المسؤولين الكبار وأورد مؤرخنا أحياناً أسباب الغرامة في حين أغفل ذكرها في أحيان أخرى ففي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م ذكر ان السلطان الظاهر برقوق أمر بمصادرة أحد الأشخاص مبلغ مئة ألف درهم[٥].وفي سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م تم القبض على قاضي دمشق نجم الدين عمر بن حجي الحسباني الشافعي وقتل بعد أن غرم أموالاً طائلة وكان السبب وراء ذلك تدخله في أمور لا تعنيه وتكالبه على المناصب وحبه للرئاسة ومعاداته للناس على

---

[١] **شيب:** أداة للتعذيب كانت تستخدم لضرب المعاقبين وأشهر من عوقب بهذه الأداة الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخات وأخذ منه عشرين ألف دينار بعد تعذيبه. المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٤١٤، ج٥/ ص٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٥٣.

[٢] **العصر:** هي عقوبة تنفذ عن طريق آلة تعذيب تسمى المعصرة تتكون من خشبتين مربوطتين مع بعضهما يوضع بينهما وجه الشخص المراد تعذيبه أو رأسه أو رجلاه ثم تضغط الخشبتان ضغطاً شديداً حتى يؤدي ذلك إلى كسر العظام، وقد استعملت هذه الطريقة في التعذيب لإجبار الأشخاص على الاعتراف. المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٢٩٠، ٤١٤؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج١/ ص٢٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٥٣، ج١٦/ ص٢٠٠٠.

[٣] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٣٦٦.

[٤] المصدر نفسه، ج٥/ ص٣١٢.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٠٧.

حد قول المؤرخ عبد الباسط[١]. وفي السنة التالية تعرض قاضي دمشق شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفي إلى غرامة مقدارها عشرة آلاف دينار[٢]. ومن المسؤولين الذين تعرضوا للغرامة كاتب السر[٣] جلال الدين محمد بن بدر الدين بن مزهر بن محمد بن محمد أحمد الأنصاري الشافعي الذي تم عزله عن منصبه المذكور بعد أن غُرم مائة ألف دينار[٤].

وفي سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م عزل يوسف بن كاتب جكم[٥] من الوزارة بعد أن غُرم ثلاثين ألف دينار[٦]. وتعرض بعض أقارب السلاطين المخلوعين إلى عقوبة الغرامة ومن ذلك ما تعرض له الأمير بردبك الدوادار[٧] صهر السلطان الأشرف اينال (٨٥٧ – ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ – ١٤٦٠م) حيث غرم مبلغ ثلاثين ألف دينار من قبل السلطان الظاهر خشقدم في بداية تولية السلطة سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م دون أن يذكر المؤرخ سبب هذه الغرامة[٨].وهكذا شكلت الغرامات إلى جانب المصادرات مصدراً

---

[١] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٢٠.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٢٩.

[٣] **كاتب السر:** هو أحد الموظفين المهمين في العصر المملوكي يقوم بمهمة قراءة الرسائل الواردة إلى السلطان وكتابة إجاباتها وأخذ تواقيع السلطان عليها وإرسالها. كما ويقوم أيضاً بقراءة القصص (الشكاوى) بدار العدل والتوقيع عليها لذلك كان لابد أن يتولى هذه الوظيفة أحد المقربين من السلطان الموثوق بهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٣٠، ١٩٥، ج٦/ ص٦٩.

[٤] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٢٥٢.

[٥] **يوسف بن كاتب جكم:** هو الوزير جمال الدين يوسف بن كاتب جكم شقيق الوزير سعد الدين إبراهيم تولى الوزارة بعد أخيه في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م في عهد السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) ولم يبقَ في هذا المنصب سوى بضعة أشهر. ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص١٧٨.

[٦] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٣٧٢.

[٧] **الأمير بردبك الدوادار:** هو الأمير بردبك الدوادار الأشرفي نسبةً إلى السلطان الأشرف اينال الذي اشتراه وأعتقه وزوجه ابنته الكبرى وولاه الدوادارية ومنحه إقطاعاً حتى نالته السعادة وعظم في الدولة واستمر في حضوته هذه في عهد السلطان المؤيد ولما خلع الأخير من السلطنة قبض على بردبك وصودرت منه أموال قدرت بمائتي ألف دينار توفّى سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٣٣٥ – ٣٣٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٤.

[٨] نيل الأمل، ج٦/ ص١٢٠.

مالياً كبيراً للسلطة المملوكية وتختلف الغرامات عن المصادرات في أن الأولى تحدد مبالغها مقدماً وقد لا تشمل جميع ما يملكه الشخص المغرم.أما المصادرة فتشمل جميع ما يملكه الشخص المصادر من أموال نقدية وعينية والعقوبتان تقترنان أحياناً بعقوبة جسدية من أجل استحصال المبالغ المطلوبة.ومن الذين تعرضوا للغرامات ناظر الدولة[١] محب الدين بن منقورة الأسلمي، بسبب إثارته للفتنة على السلطان الظاهر خشقدم سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م فأمر به وضرب ضرباً مبرحاً مؤلماً وغرمه ستة آلاف دينار حتى افتقر بسبب ذلك[٢]. وفي العام نفسه قام هذا السلطان بتغريم شاد بك الصارمي مبلغ عشرة آلاف دينار وكان صرف عن دمش فحل محله خير بك القصروي [٣] فلما امتنع سجن ولم يذكر المؤرخ سبب هذه الغرامة[٤].

وأحياناً يقوم السلطان المملوكي بالإشراف شخصياً على عملية الغرامة المقترنة بالعقوبة ومن ذلك ما قام به السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م الذي أمر بإحضار علاء الدين بن الصابوني[٥] وأمر به فضرب على قدميه ضرباً مبرحاً وغرمه مبلغاً قدره مائة ألف دينار[٦].وشملت الغرامات بعض القضاة حيث أمر

---

[١] **ناظر الدولة:** هو ناظر دواوين الدولة في الديار المصرية خلال العصر المملوكي ويشارك الوزير بمهامه، وفي دمشق يسمى ناظر النظار حيث يقوم هناك بمهام الوزير بالديار المصرية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ ص٤٣٧.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ١٥٣.

[٣] **خيربك القصروي:** كان أحد المماليك السلطانية عينه السلطان الأشرف اينال في ولاية القاهرة ثم تولى نيابة القلعة ثم نيابة غزة ثم نيابة صفد تعرض إلى محن وأهوال حتى افتقر في آخر حياته ومات. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٠٩.

[٤] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص١٥٨.

[٥] **ابن الصابوني:** هو علي بن أحمد بن محمد بن سليمان بن أبي بكر القاضي علاء الدين الدمشقي ثم القاهري الشافعي المشهور بابن الصابوني كان تاجراً كأبيه ثم جاور مكة وحفظ القرآن وولاه السلطان الظاهر خشقدم نظر الأوقاف، قبض عليه السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م وعذبه وصادر أمواله البالغة مئة ألف دينار ثم ترك القاهرة وسافر إلى دمشق. السخاوي، الضوء اللامع، ج٥/ ص١٨٤ – ١٨٥.

[٦] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٣٤٨.

السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م بتغريم القاضي برهان الدين بن المعتمد الدمشقي الذي كان يعمل أيضاً مفتياً في دار العدل بدمشق مالاً طائلاً لأنه حاكَمَ إنسان محاكمة باطلة[١].

خامساً: أموال التركات.وإلى جانب أموال الضرائب والمصادرات استولت السلطة المملوكية على تركات بعض المتوفين من أموال نقدية وعينية. وقد أشار المؤرخ إلى قسم من حالات الاستيلاء على تلك الأموال ومن ذلك ما ذكره سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م حينما استولى برقوق الذي كانت بيده السلطة الفعلية زمن السلطان زين الدين حاجي بن الأشرف شعبان (٧٨٣ – ٧٨٤هـ/ ١٣٨١ – ١٣٨٢م) على مال كثير تركته امرأة بعد وفاتها أثناء قيامها برحلة إلى الحج[٢]. وفي العام ذاته أكد المؤرخ عبد الباسط أن برقوق استولى على ثروة تركها خطيب أحد المساجد في مدينة أخميم[٣]، أماالورثة فلم يحصلوا على شيء من تلك الثروة وعاشوا فقراء[٤]. وتوالت الأيام وتوفّى برقوق سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م فترك أموالاً طائلة فعُقد مجلساً من القضاة والأعيان للنظر في تلك الأموال وكان السؤال المطروح في هذا المجلس هو هل توزع هذه الأموال بين ورثته أم تؤول إلى بيت المال ؟. وبعد نقاش طويل أفتوا بأن يقسم السدس بين ورثته فقط والباقي يذهب إلى بيت المال[٥].والواقع إن أموال التركات التي تحصل عليها السلطة المملوكية لم تكن جميعاً تؤخذ وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية وما مرَّ سابقاً عن برقوق دليل على ذلك فضلاً عن نصوص أخرى ذكرها عبد الباسط وبين رأيه الفقهي فيها، ومن ذلك أيضاً ما ذكره في أحداث سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م عندما قام الاستادار بأخذ أموال التركة من الورثة الشرعيين بعد أن حصلوا عليها شرعاً فأجبرهم على ردها إليه وعلق المؤرخ على هذه الحادثة بقوله: ((**...ووقع**

---

(١) المصدر نفسه، ج٨/ ص٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٦٧.

(٣) **أخميم**: بلد قديم على شاطئ النيل بصعيد مصر فيه عجائب كثيرة قديمة مثل الأبنية العجيبة التي تحوي التماثيل والصور. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص١٢٣ – ١٢٣؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٤٤٢ – ٤٤٣.

(٤) نيل الأمل، ج٢/ ص١٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦.

ما لا خير فيه وشنعت القالة بأنهم قد أبطلوا أحكام الله تعالى في المواريث...))[١].وأحياناً يتم إجبار الوريث بدفع قسم من التركة إلى السلطة المملوكية، فحينما توفّى نائب الشام قصروه[٢] ترك لابنه محمد مبلغاً طائلاً قدره ستمائة ألف دينار فأجبر على دفع مبلغ مائة ألف دينار منها[٣]. وفي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م استولى السلطان الأشرف قايتباي على مبلغ ستين ألف دينار تركها أحد الأشخاص في صعيد مصر بعد وفاته حيث ذهب الوزير بنفسه لجلب المبلغ[٤].

سادساً: بيع المناصب.

أكد أحد الباحثين أن بذل الأموال من أجل شراء المناصب أو الاستمرار فيها وجد منذ بداية العصر المملوكي[٥]. وقد أشار عبد الباسط إلى قسم من حالات بيع المناصب في العصر المملوكي فقد ذكر في أحداث سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م أن الأمير أقبغا الجمالي[٦] تسلم منصب الاستادارعلى أن يحمل إلى الخزانة مبلغ مائة ألف دينار[٧]. وفي سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م قام السلطان الأشرف برسباي بإسناد عدة

---

[١] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٠٧، وقد ذكر هذه الحادثة ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج٢/ ص٤٦٣.

[٢] **قصروه:** هو الأمير قصروه التمرازي الظاهري (ت٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) نسبةً إلى السلطان الظاهر برقوق تولى عدة مناصب في الدولة المملوكية حتى تولى أخيراً نيابة طرابلس ونيابة حلب ونيابة دمشق وصفه السخاوي بالعقل والشجاعة والإقدام مع الدهاء والمكر. ينظر: الضوء اللامع، ج٦/ ص٢٢٢؛ في حين قال عنه عبد الباسط الظاهري بأنه لم يكن محمود السيرة وجمع المال الحرام. ينظر: نيل الأمل، ج٤/ ص٣٩١.

[٣] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٩١.

[٤] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٦١.

[٥] أحمد عبد الرزاق أحمد، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، ص٢٥.

[٦] **أقبغا الجمالي:** ويسمى أيضاً كمشبغا علاء الدين الرومي الجمالي أحد أمراء الطبلخاناه تولى الاستادارية عن طريق بذل المال وساءت سيرته فعزل من منصبه وضرب بالمقارع وقتل على يد العربان في منطقة الوجه البحري سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢٧٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٣١٧.

[٧] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٦٦ وقد ذكر هذا الخبر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤/ ص٣٣٧؛ ابن الصيرفي في نزهة النفوس والأبدان، ج٣/ ص١٨١.

وظائف ومناصب إلى عدد من الأشخاص مقابل مال فرضه عليهم غير أن عبد الباسط لم يذكر مقادير المبالغ المستحصلة منهم.وفي سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م ذكر مؤرخنا أن الأمير جانبك[١] بذل أموالا كثيرة بغية الحصول على نيابة جدة فكان له ما أراد[٢]. وفي العام نفسه قام السلطان الأشرف اينال بإسناد عدة نيابات مثل نيابة حلب وطرابلس ونيابة حماة ونيابة غزة مقابل أن يبذل الأشخاص الذين تولوها المال[٣]. وقد علق المؤرخ على ذلك بقوله: ((**وعدت هذه الولايات من حسن تصرفات الأشرف اينال هذا ، وأنها كانت على القاعدة المملوكية على أنها كانت ببذل المال...**))[٤] وحصل الأمير شاد بك الصارمي[٥] على أتابكية حلب مقابل مال كثير بذله في ذلك[٦]وذكر المؤرخ أن بعض السلاطين قام بإجراء تنقلات بين بعض أصحاب المناصب والوظائف الكبرى من أجل الحصول على مبالغ مالية ومن الأمثلة على ذلك ما قام به السلطان الظاهر خشقدم سنة ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م حينما أجرى تلك التنقلات بين كبار الموظفين في دمشق فحصل على خمسة وثلاثين ألف دينار مقابل ذلك[٧]. وامتد شراء المناصب إلى منصب القضاء فقد ذكر عبد الباسط

---

[١] **الأمير جانبك:** هو الأمير جانبك الظاهري المعروف بالثور نائب جدة وجعله السلطان الظاهر خشقدم برتبة دوادار كبير حتى صار مدبر المملكة وقد عمل وليمة كبيرة جداً فأشاع أعداءه أنه يدبر أمراً ضد السلطان فعمل على قتله سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م وقد أناف على الخمسين. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦/ ص٣٢٤؛ السخاوي الضوء اللامع، ج٣/ ص٤٣؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص١٦٧ – ١٦٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٨.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص٥٤.

[٤] نيل الأمل ، ج٦/ ص٥٤، وذكر هذه الحادثة ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص٣٥٢.

[٥] **شاد بك الصارمي:** هو الأمير إبراهيم بن المؤيد شيخ المعروف بشاد بك الصارمي، استخدم بذل الأموال للحصول على المناصب مثل حاجب حجاب طرابلس الشام ثم أتابك حلب توفّى سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٩٠.

[٦] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص١٠٨.

[٧] المصدر نفسه، ج٦/ ص٢٠٠.

بأن القاضي علي بن أحمد الزرعي الدمشقي صرف أموال طائلة من أجل الحصول على منصب القضاء وذلك سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م[١] .

إن ما ذكره المؤرخ من شواهد تاريخية على شراء المناصب وبيعها يؤكد أن الفساد الإداري كان ينخر في أعلى مستوى في إدارة الدولة المملوكية حيث كان السلطان يقوم بنفسه ببيع المناصب، ويظهر أن بيع تلك المناصب يدر على السلطان أموالاً طائلة ومن الجدير بالذكر ان من كان يدفع الأموال الكثيرة للحصول على المنصب لابد وأنه كان يستغله للحصول على أموال أكثر بكثير من تلك التي يدفعها بغير وجه حق.

---

[١] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٩٧.

المبحث الثاني: نفقات بيت المال

تعددت أوجه النفقات التي ذكرها عبد الباسط في كتابه نيل الأمل والتي كانت تضطلع بها السلطة المملوكية وتأتي في مقدمة هذه النفقات ما كان يصرف على الجند المماليك وبناء الأسطول وفي المرتبة الثانية المصروفات على الجانب العمراني، ثم بقية أشكال النفقات مثل الرواتب والهدايا والخلع والهبات ونفقات دعم الفقراء ونفقة البيعة وغيرها.

أولاً: النفقات العسكرية.

إن أبرز ما ذكره المؤلف في هذا المجال هي النفقات التي كان يفرقها السلطان على الجند المعينين للسفر بهدف القيام بعمليات عسكرية أو تنفيذ حملات استطلاعية وكان يصفها دائماً تحت عنوان تفريق النفقة على الجند. ففي سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م وزع السلطان المنصور علاء الدين بن السلطان الأشرف شعبان (٧٧٨ – ٧٨٣هـ/ ١٣٧٦ – ١٣٨١م) النفقة على الجند فبلغت مليون وخمسمائة ألف دينار[١]. ونقل المؤرخ تعليقا المؤرخ لبعضهم على هذا المبلغ الكبير بقوله: **((وما عهد بمثلها في الدولة))**[٢] ويبدو أن المبلغ الضخم لهذه النفقة أدى بالسلطان إلى مصادرة الأموال الكثيرة من الأمراء وكبار الموظفين[٣]. وبلغت النفقة على المماليك المعينين للسفر سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م عشرة ملاين درهم فضة[٤] ومن الجدير بالذكر أن سعر صرف الدينار الذهبي مقابل الدرهم الفضي لم يكن ثابتاً أثناء العصر المملوكي، بل هناك تفاوتاً واضحا من عهد إلى آخر من عهود السلاطين ففي عهد السلطان المنصور لاجين (٦٩٦ – ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ – ١٢٩٨م) كان الدينار يساوي اثنا عشر درهماً[٥]. وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص١٢٠.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٢٠.

[٣] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٢٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٤٢.

[٥] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨/ ص٩٧؛ عفاف عبد الجبار عبد الحميد؛ الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، أطروحة دكتوراه، ص٢٧٢.

أثناء سلطنته الثالثة من (٧٠٩ – ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ – ١٣٤٠م) كان سعر الدينار في سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م يساوي خمسة وعشرين درهماً[١]. وفي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م وفي عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ – ١٣٩٨م) كان سعر الدينار يساوي ستة وعشرين درهماً ونصف الدرهم[٢]. وفي سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م أثناء عهد السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) كان الدينار المسمى بالدينار الأشرفي نسبةً إليه كان الدينار يساوي مئتان وخمسة وثلاثون درهماً[٣]. وفي سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م كان الدينار يساوي ثلاثون درهماً[٤].

ويتضح من خلال ما كتبه المؤرخ عن هذا النوع من النفقات أنها كانت تعطى إلى جند حينما يتم تحديد أسماء المشمولين بالسفر أو الاشتراك في الحملة العسكرية. فقد ذكر المؤلف في أحداث جمادي الأولى سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م ما نصه: **((وفيه تعين جماعة من الأمراء للخروج للسفر وحملت إليهم النفقات ... وكانوا ثلاثة آلاف لكل نفر مائة درهم))**[٥].

وفي وقت الأزمات المالية كان السلطان يعمل على الاقتراض لدفع نفقة الجند ومثال ذلك ما فعله السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ – ٨١٥هـ/ ١٣٩٨ – ١٤١٢م) حينما اقترض من مال الأيتام ومن مال التركات لسداد مبلغ مائتين وخمسين ألف دينار تصرف على الجند المعين للسفر[٦].

وقام السلطان المؤيد شيخ (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢١م) بتوزيع النفقة على الجند لغرض السفر أثناء سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م فبلغت عشرة آلاف درهم لكل جندي وقال أنها لا تعني شيئاً إلاّ إذا كانت من الذهب[٧]، علماً أن هذا المبلغ يساوي

---

[١] نيل الامل، ج١/ ص١٤٣؛ عفاف عبد الجبار، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، ص٢٧٣.

[٢] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩/ ص٥٢؛ عفاف عبد الجبار، المرجع نفسه، ص٢٧٣.

[٣] المصدر نفسه، ج١٤/ ص٢٠١؛ عفاف عبد الجبار، المرجع نفسه، ص٢٤٧.

[٤] المصدر نفسه، ج١٤/ ص٢٠١.

[٥] نيل الأمل، ج٣/ ص٣٦.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ص١١٨.

[٧] نيل الأمل، ج٣/ ص٣٢٠.

مقابل الدينار في السنة المذكورة ثمانية وأربعين دينارا فقط[١]. هذا بالنسبة للجنود أما بالنسبة إلى الأمراء فكان المبلغ كبيراً إذ تراوحت نفقتهم بين خمسمائة وخمسة آلاف دينار[٢]. وفي سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م تسلم الجند نفقة السفر البالغة مائة دينار افرنتي لكل منهم[٣]. وبلغت نفقة الجند المعينين في الحملة المتوجهة سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م إلى الرها[٤] ثلاثين ألف دينار[٥]. وفي سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م تم تعيين ألفين وسبعمائة جندي من المماليك للسفر فتسلم كل منهم مبلغ قدره مائة دينارأشرفي[٦]. وهذا معناه أن مبلغ هذه النفقة هو مائتين وسبعين ألف دينار. وأحيناً يحدد عبد الباسط الجهة المتوجه إليها الجند المملوكي ويذكر سعر الدينار مقابل الدرهم ففي أحداث سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م ذكر خبر النفقة على الجند المتوجهين لقتال ابن قرمان[٧] فذكر أن حصة كل فرد من الجند بلغت مائة دينار[٨].وفي سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م ذكر المؤلف النفقات التي فرضها السلطان الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ – ١٤٩٥م) على الجند مشيراً إلى أنه لم يكن عادلاً في توزيع هذه النفقات فلقد أعطى البعض خمسة وعشرون ديناراً وحرم من كان غائباً

---

[١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤/ ص١٨٤؛ عفاف عبد الجبار، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي ، ص٢٧٤.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٣/ ص٣٢٠.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٨٧.

[٤] **الرها:** مدينة بالجزيرة الفراتية بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ اسمها بالرومية (أذاسا) بناها الملك سلوقس. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص١٠٦.

[٥] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٢٥٥.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٢٥.

[٧] **ابن قرمان:** وهو السلطان صارم الدين إبراهيم بن محمد بن علي بن قرمان صاحب قونيه ولارنده وقيسارية من بلاد الروم تولى الحكم أكثر من خمس وأربعين سنة وجاء بعده ابنه إسحاق توفّى سنة٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٣٣٤ – ٣٣٥.

[٨] نيل الأمل، ج٦/ ص١٦.

عـن القـاهرة. أمـا أولاد النـاس[1] فلـم يعطهـم شـيئاً وكـذلك الأمـراء إلا مـن عـين للسفر[2].وفي عدد من الحالات التي ذكر فيها المؤرخ أخبار النفقات العسكرية أشار فيها إلـى مراتب الأمراء ومقدار ما يتسلمه كل منهم فضـلاً عن الجهة التـي توجهوا إليهـا. ورأيـه فـي مقدار تلـك النفقـة ومـن ذلـك مـا سـجله فـي أحـداث سـنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م عـن النفقـة المخصصـة للمماليـك المجـردين إذ أعطـى للأتابـك أربعـة آلاف دينـار وللأميـر المقدم[3] ثلاثـة آلاف دينـار ولأميـر طبلخانـاه خمسمائة دينـار ولأميـر عشرة مائتين وكان هدف هذه الحملة كما ذكر المؤرخ هو محاربة شاه سوار[4]. وقال عن هذه النفقة بأنها طائلة هائلة[5].

وأشـار المـؤرخ أحيانـاً إلـى مـا تواجهـه السـلطة المملوكيـة مـن أزمـات ماليـة عنـد تمويـل الحمـلات العسـكرية ففـي سـنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م أيضـاً حـاول كاتـب السـر أن يحرض السلطان الأشرف قايتباي على أخذ الأموال من الناس عن طريق قطـع نسبة من رواتبهم وأن الخليفة العباسي المستنجد بـالله يوسـف (٨٥٩ – ٨٨٤هـ/ ١٤٥٥ – ١٤٧٩م) وافقه على هذا الرأي ولكن حضور الفقهاء في المجلس الذي عقد من أجل هذه الغاية وتدخلهم فـي الأمـر واعتراضـهم عليـه حـال دون تحقيق رغبـة كاتـب السـر،

---

[1] **أولاد الناس:** هم أبناء المماليك الذين ولدوا في مصر ولم يمسهم الرق ومكانتهم الاجتماعية أدنى من المماليك وقد شارك بعض هؤلاء في الحركة الفكرية مثل مؤرخنا وأبيه وابن اياس وغيرهم. ينظر: قاسم عبده قاسم، عصر السلاطين المماليك، ص١٧١.

[2] نيل الأمل، ج٦/ ص٢٩١.

[3] **الأمير المقدم:** هو الأمير الذي يكون بدرجة أمير مائة ومقدم ألف له الأمر على مئة فارس أثناء الحرب ومن هذه الفئة يختار السلطان كبار الموظفين مثل نائب السلطنة وأتابك العسكر وأمير سلاح والـدوادار الكبيـر وغيـرهم. ينظـر: القلقشـندي، صـبح الأعشـى، ج٤/ ص١٤؛ المقريـزي، المـواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٣٥٠؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١٣.

[4] **شـاه سـوار:** هو سوار بن سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر التركماني المشهور بشاه سوار كان نائب للسلطان المملوكي على مرعش وابلستين لكنه خرج عن الطاعة واستولى على بعض المناطق الحلبية معتبراً إياها من ملك آباءه وأجداده، فأخذ السلاطين المماليك بدءً من السلطان الظاهر خشقدم يرسلون إليه الحملات لمحاربته إلى أن توفّى سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٣٦١؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٧٤.

[5] نيل الأمل، ج٦/ ص٣١٧.

حيث أكد الفقهاء أنه لا يحل للسلطان أخذ شيء من الناس دون وجه شرعي إلاّ إذا نفذ جميع ما في بيت المال فعندها يحدد المبلغ المستقطع من أرزاق الناس ورواتبهم بشروط معينة[١]. وفي سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م ذكر المؤرخ ما قام به السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ – ١٤٩٥م) حينما أراد تغطية نفقات سفر الجند، إذ استعرضهم وخيرهم بين السفر وتركه فمن رغب بالسفر وافق عليه ومن لم يرد المشاركة ألزمه بدفع مائة دينار لتدفع إلى من يقوم بالسفر بدلاً عنه هذا إذا كان للممتنع إقطاع زراعي ومن لم يكن له إقطاعٍ ألزمه بدفع عشرين دينارا حتى حصل على أموال كثيرة لتغطية نفقات سفر الجند[٢] واقتصر المؤرخ في بعض السنوات التي أرخ فيها للحملات العسكرية على ذكر مقدار المبلغ المخصص للجند المماليك فقد ذكر أن هذا المبلغ كان في سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م مائة ألف دينار صرف من بيت المال حصراً[٣]. وفي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بلغت النفقة العسكرية أكثر من مئة ألف دينار[٤]. أما في سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م فكان المبلغ أكثر من سبعين ألف دينار[٥].وهكذا يتضح من هذه النصوص مدى اهتمام المؤرخ عبد الباسط الظاهري بتتبع أخبار النفقات العسكرية وتسجيلها وبيان مقاديرها.

وإلى جانب هذه النفقات كانت هناك أنواع أخرى منها فهناك النفقات التي تخص توفير الخيل و السلاح وما يحتاجه الجند في السلم والحرب. ففي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م وزع السلطان الظاهر برقوق الخيول والجمال والسلاح على الجند[٦].كما أن السلطان كان ملزماً بتوزيع ما يحتاج الجند من ملابس وهذه النفقات سماها المؤرخ بنفقة الكسوة[٧]. كما أشار إلى اهتمام بعض السلاطين بتوفير السفن والمراكب

---

[١] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٢٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٥٩.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٩.

[٤] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٥٨.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٥٣.

[٦] المصدر نفسه ، ج٢/ ص٢٧١.

[٧] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٦١، ٤٣٧.

الحربية للأسطول البحري[1]. ويمكن القول أن اهتمامه بذكر هذا النوع من النفقات هو أضعف بكثير من اهتمامه بذكر أخبار النفقات المخصصة للجند المشتركين بالحملات العسكرية.

ثانياً: النفقات العمرانية.

وردت في كتاب نيل الأمل الكثير من النصوص التي أشارت إلى أعمال عمرانية أنجزها سلاطين المماليك وعدد من الأمراء وأحياناً كان المؤرخ يذكر مقدار المبالغ المصروفة على تلك الأعمال كبناء الجوامع والمدارس والمنشآت الأخرى. كما ذكر أعمال الترميم التي أجريت عليها ومن ذلك ما سجله سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م حيث ذكر بناء الجامع الأقمر[2] الذي أنشأه الأمير يلبغا السالمي[3]وأضاف إليه المنارة[4]. وفي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م بوشر ببناء الجامع المؤيدي حيث عمل فيه مئة عامل وثلاثين بنّاءً بأجورهم الكاملة وهنا يذكر عبد الباسط قصة طريفة عن سبب بناء هذا الجامع مفادها أن السلطان المؤيد شيخ الظاهري (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢١) كان قبل توليه السلطنة قد أودع في سجن يسمى خزانة شمايل[5] فنذر إن خلصه الله تعالى وتولى السلطنة هدم السجن وبنى جامعاً مكانه فأوفى بنذره دون أن

---

[1] نيل الأمل، ج٤/ ص١٦٧، ج٦/ ص٦٥.

[2] **الجامع الأقمر**: شيد هذا الجامع في عصر الدولة الفاطمية في سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م شيده الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بالقاهرة وأقيمت فيه الصلاة سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٣٦١؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣/ ص٧٧؛ أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية، ص٦١٨.

[3] **الأمير يلبغا السالمي**: هو يلبغا بن عبد الله السالمي الظاهري تولى نظر خانقاه سعيد السعداء ثم تولى الاستادارية الكبرى كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الصدقات ويحب العلماء مات مخنوقاً وهو صائم في رمضان في سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م. المقريزي، السلوك، ج٦/ ص٢٢١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧/ ص٩٥ – ٩٦.

[4] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٨١.

[5] **خزانة شمايل**: اسم لأحد السجون في القاهرة بجوار باب زويلة عرف بهذا الاسم نسبة إلى الأمير علم الدين شمايل والي القاهرة أيام السلطان الأيوبي الكامل محمد بن العادل (٦١٥هـ/ ٦٣٥م) وكان من أشنع السجون وأقبحها منظراً يسجن فيه من حكم عليه بالقتل أو قطع اليد أو من يريد السلطان قتله من المماليك وأصحاب الجرائم الكبرى، هدمها السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م. المقريزي، السلوك، ج١/ ص٣١٦؛ المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٣٣٠.

يسخر الناس فيه بالعمل بلا أجر[١]. وقد بلغت النفقة على بناء هذا الجامع الذي سمي بالجامع المؤيدي نسبة إلى السلطان المؤيد أكثر من أربعين ألف دينار[٢]. وأشار عبد الباسط إلى بناء الميضأة في الجامع الأزهر لحاجة المصلين لها[٣]. وأمر السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م بترميم الجامع الناصري[٤] وتوسيع ميضأته بكلفة إجمالية بلغت ألف دينار[٥]. ومن أعمال الترميم التي أجريت على الجوامع ما قام به السلطان الأشرف قايتباي حينما أمر بترميم الجامع الأزهر وخصص لذلك عشرة آلاف دينار[٦]. وقام السلطان نفسه سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بترميم جامع الروضة[٧] بعد أن عمه الخراب فصرف عليه ألف وخمسمائة دينار[٨]. وفي السنة التالية أمر السلطان بتجديد بناء الجامع الفخري[٩] الذي يسمى أيضاً بجامع المقسي[١٠]. ومن المنشآت العمرانية التي أشار المؤرخ إليها هي المدارس ذكر سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م بناء مدرسة في القاهرة والتي هدمت فيما بعد وبني محلها

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٩٩.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٢٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٦٩.

[٤] **الجامع الناصري**: من الجوامع التي أسسها السلطان الناصر محمد بن قلاوون المتوفى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ويقع في قلعة الجبل وهو واحد من ثلاثين جامعاً بناها وجددها هذا السلطان. ينظر: المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٣١٧؛ الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢/ ص٤٣٣.

[٥] نيل الأمل، ج٧/ ص١٦.

[٦] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٧٨.

[٧] **جامع الروضة**: أحد جوامع القاهرة بناه السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣ – ٦٤٧هـ/ ١٢٠٦ – ١٢٤٩م) أحد سلاطين الدولة الأيوبية وقد جدده السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ المحمودي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م وضم إليه مساحات بيوت بجواره، ومات السلطان قبل إكماله. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٩٠ – ٩١.

[٨] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٢٥٢.

[٩] **الجامع الفخري**: أنشأه الأمير فخر الدين عبد الغني بن عبد الرزاق بن أبي الفرج الاستادار سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ويقع بجوار دار الذهب في خط بين السورين. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص١٤١.

[١٠] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٢٨٩.

مارستاناً[1]. وفي سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م أشار المؤرخ إلى بناء المدرسة البنجالية[2] التي أمر ببنائها أحمد خان بن ظفر خان بن طقس خان صاحب ولاية البنجال من الهند وذلك في مدينة مكة المكرمة وذكر أن هذا السلطان صرف آلاف الدنانير من المال من أجل هذه الغاية[3].وفضلاً عن المدارس أشار مؤرخنا إلى قيام السلطان المؤيد شيخ الظاهري ببناء مارستاناً للمرضى بمكان المدرسة الأشرفية بعد أن هدمت[4]. كما ذكر بناء عدد من الجسور ومن ذلك قيام الأمير جركس الخليلي[5] ببناء جسر بين جزيرة الروضة[6] وجزيرة أروى[7] وأنه أنفق عليه مالاً عظيماً[8]. وذكر المؤرخ قيام السلطان الأشرف قايتباي ببناء القناطر في منطقة الجيزة سنة

---

[1] نيل الأمل، ج٢/ ص٩٧.

[2] **المدرسة البنجالية:** بنيت هذه المدرسة في مكة المكرمة بناها ملك بنجاله الهندي أحمد خان بن ظفرخان المسلم هدية منه لأهل مكة وصرف عليها آلاف الدنانير ورتب فيها المساكن والرواتب للشيوخ والطلبة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج١/ ص٣٤٢.

[3] نيل الأمل، ج٣/ ص١٩.

[4] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩.

[5] **جركس الخليلي:** هو الأمير جركس الخليلي الظاهري أحد الأمراء في عهد السلطان المنصور علاء الدين علي (٧٧٨ – ٧٨٣هـ/ ١٣٧٦ – ١٣٨١م) كان بدرجة أمير آخور وهو الذي اشرف على بناء المدرسة البرقوقية في منطقة بين القصرين بالقاهرة سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م ثم أصبح بدرجة أمير ومائة ومقدم ألف في عهد السلطان الظاهر برقوق قتل سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥/ ص٥٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢/ ص٣٣٤؛ المقريزي، السلوك، ج٥/ ص٢٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص١٨٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦/ ص٢٩٩.

[6] **جزيرة الروضة:** إحدى الجزر المشهورة في العصر المملوكي تقع وسط مكان متسع من نهر النيل تحيط بها المياه ويقع فيها مقياس نهر النيل، واتخذها المماليك مركزاً لحكمهم حيث تقع في قلعة الروضة وإلى هذا المكان من نهر النيل ينسب المماليك البحرية لأنهم سكنوا جزيرة الروضة من بحر النيل. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٣٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦/ ص٣٧١.

[7] **جزيرة أروى:** تعرف أيضاً باسم الجزيرة الوسطى بساحل النيل لتوسطها بين الروضة وبولاق. السخاوي، البلدانيات، ص١٣٨.

[8] نيل الأمل، ج٢/ ص١٩١.

٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م وصرف عليها أموالاً طائلة[١] ولما اكتملت كانت متقنة ومن أجل آثار الملوك وحصل فيها نفع عام فحبس المياه ادى لعمارة ما قبلها من بلاد[٢]. وأكد أن النفقة على هذه القناطر كانت أكثر من مئة ألف دينار[٣] .ومن الأعمال العمرانية التي أشار إليها عبد الباسط عمارة الأشرفية التي أنشأها السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م في القاهرة وكانت من أجل المباني[٤]. وفي سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م ذكرعمارة البندقانيين التي أنشأها السلطان الأشرف قايتباي في القاهرة ووقف وارداتها على الحرم النبوي الشريف[٥].وهكذا تنوعت المنشآت العمرانية التي أشار إليها المؤرخ لكنه لم يهتم كثيراً بذكر مقادير الأموال التي صرفت عليها. ولكن يمكن التأكيد أن ما صرف على الجانب العسكري أكثر بكثير مما صرف على الجانب العمراني، لاهتمام المماليك الكبير بالجيش لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي واجهتهم لذلك كانوا يغدقون العطاء للجند المماليك ويمولون الحملات العسكرية باستمرار.

ثالثاً: الرواتب.

وردت عند عبد الباسط إشارات إلى رواتب موظفي الدولة ولم تكن تلك الإشارات تفصيلية أو مباشرة بل جاءت عرضية ومختصرة. ففي أحداث سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م ذكر قيام السلطان الناصر فرج بن برقوق بقطع جوامك[٦] الكثير من المماليك المستجدة بالديوان بلغ عددهم ألف ومائتين ثم أعيدوا إلى الديوان باستثناء القليل مما

---

[١] نيل الأمل، ج٧/ ص٢٢١.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٦٥.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٦٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٣٣.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣١٤.

[٦] **جوامك:** مفردها جامكية وكانت تعني في العصر المملوكي الراتب المتكون من المبلغ النقدي أو المواد العينية مثل اللحم والسكر والزيت والدقيق والتوابل وعلف الجياد الذي كان يسمى العليق. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤/ ص٣٣٠؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص١٦؛ محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص٦٣.

لا جاه له[١]. ولم يذكر المؤرخ سبب اتخاذ السلطان لهذه الخطوة ولا مقادير تلك الرواتب، ولم تكن الرواتب نقدية فقط بل كانت عينية أيضاً فقد قطع السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م القمح المرتب للمباشرين البالغ خمسة آلاف اردب[٢] في كل سنة فوفرها السلطان للخزينة[٣]. وحينما ذكر المقريزي هذا الخبر أشار إلى أن سعر أردب القمح بمائتي درهم[٤] ويظهر من كتابات المؤرخ حول هذا الموضوع أن قسما من السلاطين المماليك كانوا يقومون بأنفسهم بتوزيع الجامكية على الجند المماليك[٥].

وحينما يرغب السلطان بقطع تلك الجامكية عن قسم من المماليك يقوم أحياناً بعقد مجلس بالقاعة التي هي مركز الحكم يحضره القضاة ومشايخ العلم وأرباب الدولة ومن ذلك ما قام به السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م حيث وصف المؤرخ هذا المجلس مشاهدة وصفاً دقيقاً. وقال إن الغرض منه هو قطع جوامك عدد من الأمراء المماليك مشيراً إلى أن سبب ذلك هو عجز الميزانية عن سداد مبالغ تلك الجوامك لأنها زادت عن المعتاد أضعافاً مضاعفة، وكيف أن السلطان أخذ يدعو على نفسه بالموت وعلى من كان سبباً في وصوله للسلطنة وكيف أن السلطان أعلن أنه حائر بين أمرين عجز الميزانية وعدم قدرتها على تأمين الرواتب وبين خشيته من الظلم إذا ما قطع الأرزاق وأعلن عن رغبته في التنحي عن الحكم طالباً من الحاضرين اختيار بديلاً للسلطنة عنه لعدم قدرته على الاستمرار إلا إذا استعمل الظلم والتعسف وقد وافقه على هذا الرأي بعض القضاة ثم انقضى المجلس. لكن المؤرخ أكد أن السلطان استمر بالحكم وقام بقطع الجامكية عن عدد من المماليك على الرغم من كل ما قاله وأعلنه[٦].ومن الجدير بالذكر أن المبلغ

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ص٨٨.

[٢] **الأردب:** يجمع على أرادب وهو مكيال ضخم يستخدم في مصر يساوي أربعة وعشرين صاعاً من القمح أو الشعير. ابن منظور، لسان العرب، ج١/ ص٤١٦.

[٣] نيل الأمل، ج٤/ ص١٧٥.

[٤] السلوك، ج٧/ ص١٠٩.

[٥] نيل الأمل، ج٤/ ص١٥٢.

[٦] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٥٣.

الإجمالي للجامكيه في سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م كان ستة وأربعين ألف دينار وخمسة دنانير في كل شهر[١]. وأشار مؤرخنا أيضاً إلى مقدار الرواتب التي كان يستلمها عدد من كبار المسؤولين والموظفين فقد خصص السلطان الظاهر ططر سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م راتباً للخليفة المعتضد بالله (٨١٥ – ٨٤٥هـ/ ١٤١٢ – ١٤٤١م) قدره ثمانمائة درهم يومياً[٢]. وكان الراتب الشهري للموظف بدرجة أمير مجلس[٣] ألف ومائة دينار شهرياً[٤].لكنه لم يكن راتبا شاملا للجميع وذكر الراتب الذي كان يستلمه بعض المتقاعدين ففي ترجمة الأمير لاجين الظاهري المتوفّى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م والذي تولى عدة وظائف كان آخرها وظيفة أمير مجلس ذكر أن تقاعده الشهري مائة دينار فقط[٥].

رابعاً: نفقة البيعة

اعتاد السلاطين المماليك أن يقوموا في بداية توليهم السلطة بتوزيع المبالغ النقدية على الأمراء المماليك وقد أطلق عليها مصطلح(نفقة البيعة)[٦]وقد أشار المؤرخ في عدة نصوص إلى هذه النفقة، ففي أحداث سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م ذكر خبر توزيع السلطان الصالح ناصر الدين محمد بن ططر (٨٢٤ – ٨٢٥هـ/ ١٤٢١ – ١٤٢٢م) لنفقة البيعة وكان المبلغ المخصص لكل أمير خمسين ديناراً وعلل قلة المبلغ بسبب العجز الذي أصاب بيت المال في هذه السنة وأن المبالغ التي

---

[١] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣/ ص٦٨٩؛ عفاف عبد الجبار، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، ص١١٤.

[٢] نيل الأمل، ج٤/ ص٩٩.

[٣] **أمير مجلس:** هو لقب الأمير الذي يتولى أمرة مجلس السلطان إضافة إلى الإشراف على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥/ ص٤٢٨.

(٤) عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٣٠١.

[٥] المصدر نفسه ، ج٧/ ص٢٩١.

[٦] **نفقة البيعة:** وهي النفقة التي اعتاد السلاطين المماليك أن يمنحوها للأمراء والجند المماليك عند تولية كل سلطان جديد. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص٢٨٩؛ عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٥/ ص٣٩٣.

خصصت لهذه النفقة ما توفرت لدى السلطان إلاّ بأمور شديدة وهول[1]. مما يوضح شدة العجز الذي أصاب الخزينة.أما في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م فحينما ذكر المؤرخ خبر نفقة البيعة التي وزعها السلطان المؤيد أحمد بن اينال الذي حكم أربعة شهور فقط أثناء السنة المذكورة ثم خلع. فإنه فصل في مبالغها فقد ذكر أن حصة الأتابك أربعة آلاف دينار والأمراء الذين هم بدرجة أمير مائة ومقدم ألف[2] منحوا ألفين وخمسمائة دينار لكل منهم وأعطى لكل أمير بدرجة طبلخاناه خمسمائة دينار وللأمراء من هم بدرجة أمير عشرة[3] مائتي دينار لكل منهم[4]. وفي العام نفسه حينما تسلم السلطنة السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥ – ٨٧٢هـ/ ١٤٦٠ – ١٤٦٧م) ذكر المؤرخ أن هذا السلطان أمر بتوزيع نفقة البيعة لكنها كانت غير عادلة وتراوحت بين الثلاثين دينارٍ والمائة دينار[5]. وأشار المؤرخ في موضع آخر من كتابه أن خشقدم علل قلة المبالغ الموزعة على الأمراء بشحة المال المتوفر لديه ولهذا قام بمصادرة أموال عدد من الأمراء الأثرياء كما فرض على الموظفين مبالغ معينة لحساب بيت المال[6]وعند المقارنة مع ما كتبه ابن تغري بردي حول هذه النفقة نجده قد أشار إلى عجز الخزينة لكنه قال ان المبلغ الممنوح للأمراء يتراوح بين خمسين دينارا ومائة دينار[7].

ومن أخبار نفقة البيعة أيضاً ما ذكره المؤرخ في أحداث سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م حيث أشار إلى قيام السلطان الظاهر تمربغا الذي حكم شهرين أثناء السنة المذكورة

---

[1] نيل الأمل ج٥/ ص ١٠٣.

[2] أمير مائة ومقدم ألف من الرتب العسكرية المعروفة للأمراء في عصر المماليك وقد مر التعريف به ص١١٩.

[3] **أمير عشرة**: وهو الأمير الذي يتولى قيادة عشرة أمراء من المماليك أثناء الحرب ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة والموظفين مثل الدوادار الثالث والحاجب الثالث ودلال المماليك ومتولي القاهرة وغيرهم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١٤؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١٥.

[4] نيل الأمل، ج٦/ ص١٠٣.

[5] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٠٤.

[6] المصدر نفسه، ج٦/ ص١١٩.

[7] النجوم الزاهرة، ج٦/ ص٢٥٦.

بإكمال توزيع مبالغ نفقة البيعة التي كان ابتدأ بتوزيعها السلطان الظاهر سيف الدين يلباي الذي حكم شهرين أيضاً أثناء السنة نفسها ثم خلع ، وأن السلطان الظاهر تمربغا لم يوزع نفقة خاصة به معتذراً عن ذلك بعجز بيت المال فانتقدوه وأعابوا عليه عدم توزيعه تلك النفقة[١]. وقد ذكر المؤرخ ابن تغري بردي أن السلطان الظاهر تمربغا لم يعاب عليه أثناء سلطنته القصيرة إلاّ هذه القضية مشيراً إلى أن ذلك يعد من باب عدم المعرفة والتدبير بأمور السياسة وأن هذا السلطان ما خلع من سلطنته إلاّ بسبب كثرة الدعاء عليه من قبل الأمراء الذين لم يتسلموا مبالغ نفقة البيعة[٢]. علماً أن المؤرخ عبد الباسط ذكر كثرة الدعاء على السلطان لكنه لم يشر إلى أن زوال ملكه كان بسبب ذلك الدعاء[٣]. والواقع أن نهاية حكم هذا السلطان كان بسبب نفور الأمراء المماليك عنه وعدم التفافهم عليه وإثارتهم المشاكل ضده وخلعهم إياه في نهاية المطاف.

خامساً: نفقات خاصة بالسلطان.

وردت في كتاب نيل الأمل بعض النصوص التي تفيد بأن عدداً من سلاطين المماليك كانوا ينفقون مبالغ مالية بمناسبات خاصة بهم وكان ذلك من بيت المال ومن ذلك ما سجله المؤرخ في أحداث سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م عندما مرض السلطان الظاهر سيف الدين برقوق لفترة من الزمن ثم اكتسب الشفاء فزينت القاهرة احتفالاً بهذه المناسبة ووزع السلطان مالاً جزيلاً بلغ مائتان وخمسون ألف دينار ذهبا. غير أن المؤرخ لم يذكر الشرائح الاجتماعية التي وزعت عليها تلك الأموال[٤].

ومقارنة مع ما كتبه ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) حول هذا الحدث نجده يذكر أن السلطان المذكور حينما شعر بدنو أجله تصدق على نفسه بالمبالغ النقدية من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية والسلع العينية من

---

[١] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٠٠.

[٢] النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٣٠٨.

[٣] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٠٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٩٨.

الغلال والقماش ونحو ذلك ما يعادل مائتان وخمسون ألف دينار[١] مما يشير إلى أن ابن حجر كان أكثر تفصيلاً في ذكره لهذا الخبر. ومن المناسبات المشابهة ما ذكره عبد الباسط في أحداث سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م حينما فرق السلطان المؤيد شيخ الظاهري الأموال على الفقراء والفقهاء وغيرهم بعد الشفاء من مرضه[٢] ومن النفقات الخاصة بالسلطان أيضاً ما كان يصرف أثناء سفره فقد ذكر المؤرخ عبد الباسط أن السلطان الناصر فرج بن برقوق حينما سافر إلى الشام سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م كانت سفرته حافلة جداً حيث أخذ معه الكثير من الخيل والأثقال والأبقار والسلاح بما يزيد على حمل ألف جمل ومن النقد ما قدر بأربعمائة ألف دينار وأخذ معه من الغنم والبقر والجاموس ما يزيد على الثلاثين ألف رأس لأجل المطبخ السلطاني. أما نساؤه فقد حملن على سبع محفات[٣] هائلة فضلاً عن ثلاثين حملاً من المخابز. وذكر أن عدد الجمال التي أخذها معه في سفرته بلغت ثلاثة وعشرين ألف جمل واستصحب معه الخليفة العباسي والقضاة وكبار موظفي الدولة، وقد علق المؤرخ عبد الباسط على ضخامة هذه النفقات بأن السلطان قد بالغ فيها زيادة على غير عادته[٤]. وقد تطابقت رواية عبد الباسط مع رواية ابن حجر العسقلاني حول نفقة سفر هذا السلطان إلى حد بعيد[٥].

سادسا: الهدايا والخلع.

كانت الهدايا والخلع والهبات قد شكلت إحدى أوجه الصرف عند سلاطين المماليك وقد أورد المؤرخ عبد الباسط الظاهري عددا من النصوص التي تؤكد ذلك.

---

[١] إنباء الغمر، ج٣/ ص٣٩٥.

[٢] نيل الأمل، ج٤/ ص٦٩.

[٣] **المحفة:** المحفة محمل في أعلاه قبة له أربعة سواعد ساعدان أمامها وساعدان إلى خلفها مغطاة بالحرير تحمل على بغلين أو بعيرين يكون أحدهما في المقدمة والآخر في المؤخرة إذا ركب عليها الراكب صار كأنه قاعد على سرير لا يلحقه انزعاج وقد جرت عادة الملوك والأكابر باستصحابها أثناء السفر خشية العجز أو المرض. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص٥٧٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢/ ص١٤٥.

[٤] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٢٤-٢٢٥.

[٥] ينظر: إنباء الغمر، ج٧/ ص١٨.

فمن ذلك ما ذكره عن الهدايا التي كان يرسلها السلاطين إلى حكام الدول المعاصرين لهم. ففي أحداث سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م أورد خبر وصول رسول من إسكندر بن قرا يوسف[1] وأن السلطان استقبله بالترحاب وأرسل معه رسالة جوابيه بالشكر والثناء مع هدية بلغت قيمتها عشرة آلاف دينار[2].وقال عبد الباسط أن السلطان الظاهر سيف الدين جقمق صرف في ثلاث سنوات من حكمه الممتد من (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م) ما قيمته ثلاثة ملايين دينار معلقاً بقوله: ((**إنها لم تكن لا لله ولا لأبي عبد الله**))[3]. وبعث السلطان سيف الدين جقمق سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م إلى حمزة بن قرا يلك[4] بهدية سنية أرسلها مع رسوله الذي جاء إلى القاهرة يطلب من السلطان المملوكي منحه الشرعية على حكم بلاده ولم يذكر المؤرخ نوع الهدية ولا قيمتها[5]. وأرسل السلطان قايتباي سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٨٢م رسولاً إلى السلطان العثماني محمد الفاتح (٨٥٥ – ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ – ١٤٨١م) حاملاً هدية سنية[6]. وأرسل السلطان سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م الخواجة محمد بن محفوظ المغربي إلى ملك الكيتلان الفرنجي فرندو صاحب نابلي حاملاً إليه ما وصفه المؤرخ بأنها هدية حافلة فيها أشياء وأنواع كثيرة من الحيوانات[7].

---

[1] **اسكندر بن قرا يوسف:** هو الإسكندر بن قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرام خواجة التركماني أحد حكام الدولة القراقوينلو كان موصوف بالشجاعة تولى الحكم سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م بعد وفاة أبيه وكانت تبريز مركز لحكمه قتل سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م عندما دخل في حرب مع أحد أشقائه. ينظر: ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ص٣١٧؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٣/ ص٣٠٢.

[2] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٩٣.

[3] المصدر نفسه، ج٥/ ص١٣٩.

[4] **حمزة بن قرا يلك:** هو حمزة بن عثمان بن قرايلك صاحب آمد وماردين وغيرها من ديار بكر توفّى سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م ولم يكن محمود السيرة كأبيه وأخوته وتولى حكم تلك الديار بعد ابن أخيه جهان كير بن علي بن عثمان. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص١٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٨٢.

[5] نيل الأمل، ج٥/ ص٤٥.

[6] المصدر نفسه، ج٧/ ص٧٣.

[7] نيل الأمل، ج٧/ ص٢٢٢.

ومن الخلع التي منحها سلاطين المماليك تلك الخلعة التي أكرمها السلطان الظاهر جقمق سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م إلى خليل بن السلطان الناصر فرج الذي قدِم إلى القاهرة من مدينة الإسكندرية فالتقى به وخلع عليه كاملية[١] هائلة[٢]. كما خلع السلطان الظاهر خشقدم في محرم سنة ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م على رئيس الطب وجماعة من السقاة وغيرهم حينما تعافى[٣]. وفي رجب سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م قدم الأتابك جانبك قلقيز[٤] إلى القاهرة والتقى بالسلطان الأشرف قايتباي الذي رحب به وخلع عليه كاملية هائلة وأهداه بعض جياده بسرج مذهب[٥].

سابعاً: نفقات دعم الفقراء وفداء الأسرى.

سجل المؤرخ عبد الباسط في كتابه نيل الأمل عددا من النصوص التي تخص نفقات دعم الفقراء وفداء أسرى المسلمين والمقصود بالفقراء هنا الفقراء المحتاجين من عامة الناس وقسم من طلبة العلم والصوفية وغيرهم. فقد ذكر أن السلطان المؤيد شيخ الظاهري وزع سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م مبلغ مائة ألف درهم على القراء والمنشدين والصوفية المتواجدين في خانقاه سرياقوس[٦]، وقضى معهم وقتاً ثم عاد إلى

---

[١] **كاملية:** نوع من الملابس كالعباءة وكان السلاطين عادة يهدونها إلى الأشخاص المقربين منهم وزائريهم من الأمراء والحكام والدول المجاورة وتضع هذه الكامليه من الفراء. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٣٨؛ انطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية، ص٣٣٤؛ فهيم، الفن الحربي، ص٢٢٦.

[٢] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٥/ ص٣٦٩.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٥١.

[٤] **جانبك قلقيز:** هو الأمير جانبك قلقيز الأشرفي نسبة إلى السلطان الأشرف برسباي وصف بالشجاعة والفروسية وعُد من أبطال الإسلام عارفاً بالأدب رشح للسلطنة أكثر من مرة وتولى عدة مراتب منها أمرة عشرة والحجوبية الكبرى وأمير مجلس وأمير سلاح وأخيراً نائب الشام وتوفّى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٣٦٧؛ البصروي، تاريخ البصروي، ج/ ص٦٤؛ ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج٢/ ص٩٠١؛ العليمي، الأنس الجليل، ج٢/ ص٤٥١.

[٥] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص٢٠٧.

[٦] **خانقاه سرياقوس:** هو خانقاه خارج القاهرة أنشأه السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م حيث ركب يوماً من أجل الصيد فأخذه ألم عظيم في جوفه حتى عجز فنزل عن فرسه ونذر لله إن عوفي من ألمه فإنه سيبني في الموضع الذي هو فيه مكان يعبد فيه الله فلما عوفي

القاهرة[١]. وفي العام التالي قام السلطان ذاته بتوزيع مبلغ قدره أربعة آلاف دينار على ما موجود في المدارس والجوامع والخوانق من المشايخ والطلبة والفقراء فضلاً عما منحهم إياه من القمح حتى عمَّ بذلك النفع الكثير[٢]. ومن الجدير بالذكر أن الأسواق شهدت في هذا العام شحة في الغلال ولاسيما الخبز الذي انعدم من الأسواق والأفران فارتفعت أسعاره جداً وازدحمت الناس حينما أمر السلطان بتوزيع ألفي أردب من القمح عليهم حتى مات بعضهم في الزحام[٣]. ومن أجل التخفيف عن معاناة الفقراء كان هذا السلطان قد أمر بتوزيع اثني عشر ألف رغيف من الخبز يومياً عليهم ثم تم إلغاء ذلك بعد أن استبشر الناس بوفرة السلع والبضائع في الأسواق[٤]. ومن الفئات التي شملها السلطان بالإعانات والدعم المالي هم الفقهاء والأيتام حيث ذكر عبد الباسط أنه فرق بينهم مبلغاً كبيراً سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م أيضاً[٥]. ولم يقتصر دعم هذا السلطان على مصر فقط ففي سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م ذهب إلى الشام فوزع في مدينة حلب الأموال على الفقهاء والفقراء[٦]. وقام السلطان الأشرف برسباي بتوزيع الأموال على الفقراء حينما لزم الفراش بسبب المرض[٧]. وفي سنة ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م وزع السلطان الأشرف قايتباي مبلغ ثمانمائة دينار على الفقراء[٨]، وخصص السلطان نفسه في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م مبلغاً قدره ستين ألف دينار لشراء قرى وضياع وأملاك وغيرها لتكون وقفاً على فقراء المدينة المنورة وغيرها، على أن يستخدم ما يدره ذلك الوقف لشراء الطعام لهم. وكان سبب قيام السلطان الأشرف

بعد عودته عاد إلى ناحية سرياقوس وأمر ببناء تلك الخانقاه وجعلها مكاناً للصوفية وبنى بجانبها مسجد وحمام ومطبخ. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص١٨٦.

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٩٥.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٧.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٧.

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٩.

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ٣٠٨.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ٣٢٧.

[٧] المصدر نفسه، ج٤/ ٣٤٩.

[٨] نيل الأمل، ج٧/ ٢٥.

قايتباي بهذه الخطوة هو ما يلقاه أهل المدينة المشرفة من الفقر والقحط وانعدام الأقوات فأراد أن يفعل الخير[(١)].ومما يذكر في هذا الجانب أيضاً أن عبد الباسط ذكر في أحداث سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م خبر عن قيام شخص يسمى الشيخ سعد بالدخول إلى الجامع الأزهر وتوزيع مائتين وستة وسبعين ديناراً افرنتيا وأربعة آلاف وخمسمائة درهم من الفضة المؤيدية تصدق بها على جميع من كان موجود في ذلك الجامع، وذكر المؤرخ أن هذا الشخص كان يعلم الأطفال بالأجرة واعتبر فعل الخير الذي قام به من نوادر الزمان[(٢)].

أما فيما يتعلق بفداء الأسرى فقد ذكر المؤرخ نصاً واحداً جاء فيه أن السلطان المؤيد شيخ الظاهري بعث الأمير اقبغا الجمالي[(٣)] سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م إلى بلاد الفرنج فدفع فدية قدرها خمسة عشر ألف دينار فداء للأسرى المسلمين البالغ عددهم نحو أربعمائة أسير وأن ملك قبرص ساعده في دفع قسم من ذلك المال[(٤)].

ويظهر من هذه النصوص أن بعض سلاطين المماليك كانوا يولون اهتماماً بالفقراء والأسرى وأن السلطان المؤيد شيخ الظاهري قد اشتهر في هذا المجال أثناء عهده الممتد من (٨١٥ – ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ – ١٤٢٠م) وعلى أية حال فإن هذه النفقات شكلت إحدى أوجه الصرف لبيت المال في عصر المماليك.

المبحث الثالث: ميادين النشاط الاقتصادي

تحدث عبد الباسط الظاهري عن أوجه النشاط الاقتصادي وميادينه كالزراعة والتجارة والصناعة والأسواق وبعض المهن والحرف إلاّ أن كتاباته لم تكن تفصيلية ولا تعطي صورة واضحة للقارئ عن تفاصيل ذلك النشاط الاقتصادي لاسيما في مجال الصناعة. ففي المجال الزراعي اقتصرت كتاباته على الخسائر التي لحقت به ولاسيما من جراء الآفات الزراعية وغيرها، وتحدث قليلاً عن وفرة المحاصيل الزراعية

---

(١) المصدر نفسه، ج٧/ ٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ١٠٥.

(٣) **اقبغا الجمالي**: ويسمى أيضاً كمشبغا علاء الدين الرومي الجمالي أحد أمراء الطبلخاناه تولى الاستادارية عن طريق بذل المال وساءت سيرته فعزل من منصبه وضرب بالمقارع قتل على يد العربان في منطقة الوجه البحري سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢٧٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٣١٧.

(٤) نيل الأمل، ج٣/ ص٢٧٩.

من عدمها، لكنه تتبع أخبار نهر النيل بوصفه عماد الحياة في مصر ولاسيما في جانبها الزراعي، وسنتحدث عما أورده من أخبار هذا النهر في الفصل الرابع الذي خصصناه للعوامل المؤثرة في النشاط الاقتصادي.

أولاً: الزراعة.

وفيما يتعلق بالزراعة تحدث عن وفرة الغلال الزراعية ومن ذلك ما قاله في أحداث سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م عن وفرة الزرع في بلاد الشام وأشار إلى أن تلك الوفرة كانت إلى درجة عالية حتى عُدت من الغرائب والنوادر في هذا الباب[١]. وقال عن الإنتاج الزراعي في مصر سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م أنه كان وفيراً حتى أن الفدان[٢] الواحد في مدينة الفيوم[٣] أنتج واحدا وتسعين أردباً من الشعير وأن هذا القدر من الإنتاج ما سمع به قط[٤]. غير أن المؤرخ لم يذكر انعكاسات ذلك على واقع الحياة الاقتصادية في البلاد. وذكر تعرض الزراعة لخطر الآفات الزراعية التي حدت كثيراً من الإنتاج، فقد ذكر خبر الجراد الكثير الذي هجم على الأراضي في دمشق واستمراره لعدة أيام في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م[٥]. وقد قال عن خبر الجراد في **شوال من هذا العام : ((وأقبل على دمشق جراد عظيم حجب عين الشمس عن الأعين وتلف به الكثير من النبات و كان عاليا من غزة إلى الفرات))**[٦] مما يشير إلى أن الجراد لم يقتصر على دمشق فقط بل شمل الكثير من نواحي بلاد الشام وأشار في سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م إلى ما تعرضت له الثروة الحيوانية من خسائر كبيرة في بلاد

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص٧٥.

[٢] **الفدان:** وحدة قياس مساحات الأراضي الزراعية مستخدمة في مصر تبلغ حوالي ٤٢٠٠م٢. ينظر: يوسف توني، معجم المصطلحات الجغرافية، ص٣٧١.

[٣] **الفيوم:** مدينة قديمة ترجع إلى عهد النبي يوسف (ع) تحوي ثلاثمائة وستين ضيعة كان يخزن فيها ماء النيل يستخدم المخزون في الزراعة عدة مرات وتقع الفيوم جنوب القاهرة على مسافة بعيدة منها تشتهر بخليجها. السمعاني، الأنساب، ج٢/ ص٤٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٢٨٦؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٤٥٧.

[٤] نيل الأمل، ج٣/ ص١٠٥.

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ص٥٩.

[٦] نيل الأمل، ج٣/ ص٦٤.

الصعيد[1] المصري حيث ذكر خبر موت عشرين ألف رأس من الغنم وكان السبب وراء ذلك رعيها في مرعى كان به نبات سام[2].وفي سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م أشار إلى قلة إنتاج أشجار النخيل والموز في مصر حتى أنه فقد وجودهما تماماً في القاهرة[3].وفي سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م نفقت الكثير من الخيول التابعة للسلطان والجند المماليك فأمر السلطان الأشرف برسباي بالاستيلاء على خيول الناس وأدخلها إلى حوزته[4]. وذكر في سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م خبر انتشار الجراد الكثير في البلاد وخشية الناس على محاصيلهم الزراعية مشيراً إلى أنه لم يحدث خسائر معلقاً على ذلك بقوله:**((... وضاق الناس منهفكفى الله شره))**[5]. وأشار إلى ما أحدثته الفئران من خسائر في المزروعات سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م[6] وفي السنة التالية ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م أشار إلى الأضرار التي ألحقتها أسراب الجراد بالمزروعات بانتشاره في مناطق واسعة في مصر ولكن تلك الأضرار كانت محدودة لأن الجراد هلك سريعاً[7].ومن الجدير بالذكر أن عبد الباسط أشار في الكثير من النصوص إلى الكوارث الطبيعية والأحوال المناخية وتأثيرها على واقع الحياة الاقتصادية ومن بينها الجانب الزراعي، وسنتحدث عن ذلك تفصيلاً في الفصل القادم لأنه مجال البحث في العوامل المؤثرة على النشاط الاقتصادي.

ثانياً: الصناعة.

---

[1] **الصعيد:** المنطقة التي تقع أعلى بلاد مصر وكأن الشخص صاعداً إليهم ويضم الكثير من الكور مثل قفط وقوص وسمهود وأسوان ويشتهر هذا الإقليم بالأراضي الزراعية الخصبة وكثرة المواشي. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٣٤٩ – ٣٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٦١.

[2] نيل الأمل، ج٣/ ص٣٣٥.

[3] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٦١.

[4] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٥٠. وقد ورد الخبر عند الصيرفي في نزهة النفوس، ج٣/ ص١٥٠ – ١٥١.

[5] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٠٣ وقد ورد هذا الخبر عند ابن حجر في انباء الغمر، ج٣/ ص٤٧٠.

[6] المصدر نفسه، ج٥/ص٨٤

[7] المصدر نفسه ، ج٥/ ص١٠٣.

أما الصناعات فلم يهتم بها المؤرخ كثيراً فقد جاء ذكرها عرضاً باستثناء ترجمته لبعض أرباب الصناعات. ومما ذكره في هذا المجال صناعة المراكب فقد أشار إلى اهتمام السلطان الأشرف سيف الدين اينال في سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م بصناعة المراكب معتمدا على الأمير سنقر الزردكاش[١] فأخذ هذا يستغل الناس ويظلمهم ويلحق بهم الأذى وأخذ أخشابهم وقطع أشجارهم رغماً عنهم[٢]. ومن السلاطين الذين اهتموا بهذه الصناعة السلطان الظاهر خشقدم الذي عين أحد الأمراء ليكون مسؤولاً على عمارة المراكب[٣] وجاء اهتمام هذا السلطان وغيره بصناعة المراكب لتقوية الأسطول البحري الحربي من أجل الدفاع ضد غزوات الفرنج واستخدام تلك المراكب أيضاً في العمليات الحربية[٤].وفضلاً عن هذه المراكب ذكر المؤرخ صناعة المراكب التجارية ففي أحداث سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ذكر صناعة خمسة مراكب لنقل الغلال الزراعية والبضائع التجارية من مصر إلى مكة وذكر كيفية بناءها وبعد أن تكاملت أخشابها حملت على الجمال إلى البحر وركبت هناك وأنزلت فيه[٥].ومن الصناعات التي ذكرها صناعة الطحين وجاء ذكرها ضمن خبر مصادرة الخيول التي تدير الطواحين من أجل تجهيز الجيش بها سنة ٨١٣هـ/ ١٤١٠م[٦] ويبدو أن مصادرة خيول الطواحين استمرت طويلاً حيث أشار المؤرخ في أحداث سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م إلى مصادرتها مما أدى إلى تعطيل الطواحين وندر الخبز في الأسواق وتضرر الناس من ذلك[٧]. وترجم المؤرخ لأحد الشيوخ الذين برعوا في صناعة تجليد الكتب وهو أحمد بن

---

[١] **سنقر الزردكاش:** أحد الأمراء المشاهير زمن السلطان الأشرف سيف الدين اينال (٨٥٧ – ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ – ١٤٦٠م) كان يتولى الزردكاشية أي الإشراف على صناعة السلاح. ووصف بالظلم والتعسف تعرض للنفي والحبس ومصادرة أمواله وأحرقت داره وعد ابن تغري بردي ذلك عقاباً إلهيا له لظلمه الناس. ينظر: النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص١٤٩.

[٢] نيل الأمل، ج٦/ ص٨٦.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٨٢.

[٤] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٨٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٣٢.

[٦] نيل الأمل، ج٣/ ص١٩٥.

[٧] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٢٦.

علي بن حسن الشافعي الكتبي (ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)[1].ومن الصناعات التي ذكرها على سبيل الإنكار أو ذكر أخبار محاربتها صناعة الخمور فقد ذكر في أحداث سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م مداهمة الكثير من الدور في القاهرة كانت تصنع فيها الخمور فكسرت وأريقت[2]. وتكرر الأمر نفسه بعد عشر سنوات أي في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ف[3]. وفي أحداث سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م ذكر خبر تشديد السلطان الأشرف برسباي في أمر إراقة الخمور وتتبع أماكن صناعتها ومنع جلبها من بلاد الفرنج فمنعت ولكن المؤرخ علق قائلاً أنها عادت بعد فترة قصيرة بدسائس من الظلمة **(لا بورك بهم)** على حد قوله[4]. وهناك صناعة العطور التي ذكرها حينما ترجم لأحد الماهرين بصناعتها وهو شهاب الدين أحمد العطار المطيباتي الطرابلسي (ت٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م) [5] وهناك صناعة الفخار التي جاء ذكرها حينما أشار المؤرخ إلى حادث غريب وقع لأحد صانعي الفخار الذي قام بصناعة أواني فخارية من نوع القيشاني ناقشاً عليها عبارة (لا أفلح من ظلم) وحينما أحضرها يوم الجمعة للبيع مرت به مجموعة من المماليك ولاحظ أحدهم تلك العبارة فأخذ بتكسير الأواني بدبوس[6] كان بيده[7].

ثالثاً: التجارة.

أما التجارة فقد اهتم المؤرخ بذكر تراجم التجار وما كان يتجرون به وما تعرض له التجار من تدخل في شؤونهم من قبل السلطة المملوكية وأشار إلى ضرائب التجارة وذكر العلاقات التجارية بين دولة المماليك وبعض الدول المعاصرة لها. ففيما

---

(1) المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٥.

(2) المصدر نفسه، ج٢/ص١٥٥.

(3) المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٧٦.

(4) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٣١.

(5) المصدر نفسه، ج٦/ص٤١٨.

(6) **الدبوس:** أحد آلات الحرب في العصور الوسطى كانت تصنع من عود طوله قدمان من الخشب الغليظ في أحد طرفيه رأس من حديد قطرها ثلاث بوصات تقريباً. محمد نديم أحمد فهيم، الفن الحربي المصري في العصر المملوكي، ص٢١٣.

(7) نيل الأمل، ج٧/ ص٣٨٧-٣٨٨.

يتعلق بالتجار ذكر عددا منهم بشيء من التفصيل مثل كبير تجار الكارم[١] بمصر ورئيسهم الخواجا[٢] ناصر الدين محمد بن مسلم بن حسين النابلسي المصري (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) الذي كان كما قال المؤرخ أعجوبة عصره في كثرة المال حتى أنه لا يعلم مقدار ما لديه من مال لكثرته وذكر أن هذا التاجر تخاصم يوماً مع أحد التجار فقال له اشتري بجميع ما لديك من مال شكاير[٣] وأحضرها لي لكي أملأها مالاً ، ووصف هذا التاجر بالبخل وأن ماله ذهب شذر مذر بعد وفاته ولكنه قال في أخباره أيضاً أنه بنى المدرسة المسلمية[٤] في مصر كما أنشأ ميضأة كبيرة بجوار جامع عمرو بن العاص[٥]. مما يتناقض مع وصف المؤرخ له بالبخل.

وأحياناً يذكر علاقة التجار بأرباب السلطة وما حققوه من هذه العلاقات من مكاسب خاصة وعامة ففي ترجمة التاجر فخر الدين عثمان بن محمد الأسعردي المتوفي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م الذي كان يجلب المماليك إلى مصر[٦]. قال: ((**كان معظما في الدول لاسيما في دولة برقوق وسعى في إبطال مكس الرمان في دمشق وأجيب إلى ذلك وكان له جاه عريض وصيت ... وأسف عليه برقوق بعد موته وحضر الصلاة عليه**))[٧] لأنه التاجر الذي جلبه الى مصر. إن ما حققه هذا التاجر

---

[١] **الكارم:** الكارم أو الكارمية هم التجار الذين كانوا يتاجرون بالبهار ونحوه الذي كان يرد إلى مصر من الهند. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٥٢٩؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١/ ص٤٧٨؛ جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص٢٢٩.

[٢] **الخواجا:** هو لقب يطلق على التجار الأعاجم سواء كانوا من الفرس أو غيرهم وهو لفظ فارسي معناه السيد. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦/ ص١٢.

[٣] **شكاير:** تأتي بمعنيين المعنى الأول وسيلة لحمل الشيء من الحبوب وغيرها، كانت تصنع من جريد النخل. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١/ ص٣٥٠ وقد تأتي أيضاً بمعنى مساحة معينة من الأرض الزراعية. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧/ ص٢٢٢. والمراد هنا المعنى الأول.

[٤] **المدرسة المسلمية:** إحدى المدارس المشهورة في القاهرة أسسها رئيس التجار ناصر الدين محمد بن مسلم (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) وكانت من أحسن المدارس وقف عليها دوراً وأراضي. المقريزي، السلوك، ج٤/ ص٣٣٣؛ الحسيني، التنبيه والإيقاظ، ص٧٢.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص٨٤.

[٦] نيل الأمل، ج٢/ ص١٨٢.

[٧] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٨١.

من مكانة خاصة عند برقوق حينما كان الأخير أتابكا أي قبل توليه السلطنة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م يعود إلى كونه هو الذي جلب برقوق إلى مصر ولذلك نسب إليه حيث يسمى برقوق العثماني[١].وذكر المؤرخ من التجار أيضاً الخواجا محمد بن محمد الدمشقي المشهور بابن الخباز الذي وصف بأنه فاضلاً مشغولاً بالتجارة[٢].

ويلاحظ من كتابات المؤرخ عن التجار أنه كان يطلق لقب الخواجا على التاجر ومن ذلك قوله في ترجمة التاجر برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي المحلي (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م): **((مات الخواجا التاجر المعظم ... كان قد بلغ من الحظ فيالمتجر وسعة المال الغاية القصوى))**[٣].وذكر بعض الأمراء الذين عملوا في التجارة مثل الأمير اينال المحمدي الساقي الذي كان أميرا برتبة رأس نوبة كبير[٤] فترك الأمرة وأخذ يتجر بجلب المماليك إلى مصر ورفض العودة إلى الأمرة مجدداً حينما طلبوا منه ذلك[٥]. وفي ترجمته لبعض التجار نجد أنه يثني عليهم ويذكر صفاتهم الإيجابية كقوله في ترجمة التاجر شهاب الدين بركوت بن عبد الله المكيني (ت٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) بأنه تاجر جليل شهير إنسان حسن صاحب أخلاق وأفضال محب لأهل العلم والخير وأشار إلى أنه واسع الثراء له حظ من الدنيا وأنشأ بعدن عدة أماكن وبمكة دار عظيمة[٦].

إن ترجمة عبد الباسط الظاهري لعدد من التجار واهتمامه بأخبارهم لا تأتي فقط انطلاقاً من كونه مؤرخاً بل إن هذا الاهتمام يأتي أيضاً لأن مؤرخنا كان تاجراً ينقل البضائع من منطقة إلى أخرى ويتاجر بها وقد سجل بنفسه أخبار متاجرته تلك حينما

---

[١] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٨٢.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص٦٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص٩٨.

[٤] **رأس نوبه كبير:** هو لقب يطلق على من يتولى شؤون مماليك السلطان وتنفيذ أوامره فيهم والمراد بالرأس هنا الأعلى ومعنى النوبه الواحدة وجمعها نوب أي مرة بعد أخرى. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص١٨، ج٥/ ص٢٧٤.

[٥] نيل الأمل، ج٣/ ص١٩٠.

[٦] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٢١.

دون رحلته إلى المغرب والأندلس[١] . ومما ذكره في أخبار التجار خبر التاجر نور الدين على بن التبريزي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) الذي حكم عليه قاضي القضاة في القاهرة بإراقة دمه بعد أن شهد عليه جماعة بما يوجب ذلك[٢]. ويلاحظ مما ذكره المؤرخ حول هذه الحادثة أنه لم يكن مع قرار قتله فقد قال أيضاً: ((**وشُهر على جمل وهو ينادي ويعلن بالشهادتين، وما جرى عليه من شهد عليه خير بعده، وعند الله مجتمع الكل**))[٣]. ويذكر أيضاً الاهتمامات العلمية لبعض التجار كقوله في ترجمة التاجر برهان الدين إبراهيم بن عبد الملك البلنسي المغربي (ت٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م): ((**كان أديباً حشماً عاقلاً ... عارفاً بالفقه**))[٤]. وأحياناً يحدد نوع البضاعة التي يتجر بها بعض التجار كقوله في ترجمة التاجر عبد الله بن غالب البلقيني (ت٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) أحد تجار الكارم بالإسكندرية[٥].وقال عن التاجر محي الدين عبد القادر بن إبراهيم بن حسن (ت٨٩٠/ ١٤٨٥م) بأنه كان تاجر الذخيرة بالإسكندرية[٦]. ومن تجار الكارم الذين ترجم لهم عبد الرحمن الناصري (ت٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) الذي قال عنه أنه كان كثير المال حسن المعاملة صادق اللهجة[٧]. وفضلاً عن تراجم هؤلاء التجار دون عبد الباسط الظاهري المكوس والرمايات[٨] والحوطة[٩] التي كانت تفرضها السلطة المملوكية على بضائع التجار. وقد ذكر

---

[١] ينظر ص٤٧-٥٠من الرسالة.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٥١.

[٣] المصدر نفسه ج٤/ص٢٥١.

[٤] المصدر نفسه، ج٨/ ص١٤٠.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٧٩.

[٦] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٢٩.

[٧] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٣٢.

[٨] **الرمايات:** مفردها رماية وتعني أن يقوم الوزير أو السلطان المملوكي بفرض البضائع أو السلع على التجار كي يشتروها بأثمان مرتفعة ومن السلاطين المماليك الذين اشتهروا بذلك السلطان الناصر فرج (٨٠١ – ٨١٥هـ/ ١٣٩٨ – ١٤١٢م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣/ ص١٥١.

[٩] **الحوطة:** بمعنى الحجر على شيء من قبل السلطة سواء كان مالاً منقولاً كالنقود والجواهر والأثاث ونحوها أو غير منقول كالأراضي الزراعية والمنازل وغيرها، وقد يوضع أشخاص تحت الحوطة

جباية المكس على ستين ألف نصفية[١] جلبها التجار من بغداد سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م وكذلك الحال بالنسبة للثياب البغدادية والموصلية والحموية والدمشقية التي جلبها أولئك التجار[٢]. غير أن عبد الباسط لم يذكر مقدار المبلغ المقرر على هؤلاء التجار. ومن الضرائب التي أشار إليها زكاة الأموال التي أمر السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م بجبايتها من التجار وكيف أن هذا السلطان أمر القاضي الحنفي أن يتولى تحليف الناس على أموالهم وكيف قام المحتسب بجبايتها ففرج الله تعالى حينما رجع تيمورلنك فأمر السلطان برد الأموال[٣]. ومما تعرض له التجار هي الرمايات التي فرضتها السلطة على التجار ومن ذلك ما قام به الوزير كاتب أرلان[٤] حينما رمى نحوا من مائة وعشرين ألف أردب من القمح على التجار وقد ألحق بهم ضرر كبير بسبب ذلك[٥]. ويبدو من الأحداث التي سجلها المؤرخ عبد الباسط أن الرمايات كانت تزداد على التجار وقت الاستعداد للحرب فعندما أخذ السلطان الظاهر برقوق بالاستعداد لقتال تيمورلنك سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م ذكر المؤرخ أن رمايات البضائع كثرت على التجار من قبل السلطان[٦].

ومما كانت تفعله السلطة ضد التجار هو إيقاع الحوطه على بضائعهم ففي سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م أمر السلطان الأشرف برسباي بالاحتياط على ما يمتلكه التجار الكارمية بمصر من الفلفل ليشتريه السلطان منهم بخمسين دينار للحمل الواحد وكان

والحجر. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص١٦٦؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥/ ص١٨٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧/ ص٢٤٦، ج١٠/ ص٢١٩.

[١] **النصفية:** أحد أنواع الملابس الرجالية في العصر المملوكي. المقريزي، السلوك، ج٥/ ص١٧١.

[٢] نيل الأمل، ج٢/ ص٢٢٣.

[٣] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٤٩.

[٤] **كاتب أرسلان:** هو شمس الدين إبراهيم المشهور بكاتب أرسلان أو ارنان تولى أرفع المناصب في دولة المماليك أهمها الوزارة ونظر الخاص وقد جعل منه السلطان الظاهر برقوق أحد مقربيه ودعمه وجعل له الأمر دون غيره ولاسيما فيما يتعلق بشؤون الوزارة. المقريزي، السلوك، ج٥/ ص١٢٨، ١٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١/ ص٢٣٢.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص٢٤٣.

[٦] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٤١.

هذا السلطان قد باع عليهم أوائل السنة كل حمل تسعين ديناراً ثم أمر أيضاً بأن تكون تجارة الفلفل القادمة من الهند حكراً عليه لا ينافسه فيها أحد وأن لا يباع للفرنج من الفلفل شيء إلاّ من حصة السلطان فلحقت بالتجار نتيجة لذلك خسائر كبيرة[١] وفي أحداث سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م ذكر المؤرخ خبر قيام السلطان الأشرف برسباي بطرح[٢] ألف حمل من الفلفل على تجار مصر والشام فبلغ مئة ألف دينار فنزل بهم من الخسائر ما لا يوصف[٣].

وتناول عبد الباسط أيضاً العلاقات التجارية بين دولة المماليك وبين الفرنج وغيرهم وجاءت أكثر معلوماته في هذا المجال عن تجار الفرنج ولم تكن هذه العلاقات إيجابية دائماً بل كان يشوبها أحياناً ما يعرقل حركة التجارة ومن ذلك ما ذكره في أحداث سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م من أسر الفرنج لمركبين تجاريين يحتويان الكثير من البضائع من شواطئ دمياط وكان رد السلطان الأشرف برسباي إصدار أمر بالاحتياط على جميع أموال تجار الفرنج الموجودين في مصر ومنعهم من السفر إلى بلادهم[٤]. ويلاحظ من خلال ما كتبه عبد الباسط عن تجار الفرنج القادمين إلى مصر أن معظم تجارتهم كانت في التوابل ففضلاً عما سبق ذكره عن أخبار التجارة أصدر السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م أمراً بدأ بمقتضاه بزيادة سعر الفلفل المباع لتجار الفرنج وإن هذه الزيادة استمرت وأصبحت دائمة[٥]. ويبدو أن سياسة التسعير هذه قد انعكست سلباً على التبادل التجاري مع الفرنج حيث أدت في سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م إلى هروب مجموعة من تجار الفرنج

---

[١] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٠٩.

[٢] **الطرح:** يأتي بمعنى إجبار الناس من قبل السلطة المملوكية على شراء السلع والبضائع والمواشي بالسعر الذي يحدده السلطان المملوكي أو الوزير. المقريزي، السلوك، ج٦/ ص٤٣٣، ٤٣٦، ٤٦١ وهي بذلك قريبة المعنى من الرماية التي مر التعريف بها.

[٣] نيل الأمل، ج٤/ ص٤٠٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٥٦.

[٥] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٠٧ – ٢٠٨.

الجنويين وفي ذمتهم لتجار المسلمين أكثر من عشرين ألف دينار، وعلل المؤرخ ذلك بسبب المظالم التي ألحقت بهم[١].

كما أن هذه السياسة التي اتبعها السلطان المذكور في رفع أسعار التوابل على تجار الفرنج أدت إلى رد فعل لدى بعض ملوك الفرنج، ففي سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م أرسل ملك الكيتلان رسالة إلى السلطان المملوكي الأشرف برسباي تحوي عبارات فيها حدة وخشونة على حد وصف عبد الباسط معللاً أن ذلك كان بسبب ما اتخذه السلطان من إجراءات أما رد فعل السلطان على ذلك فهو الغضب وتمزيق رسالة ذلك الملك[٢]. غير أن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد حيث استولى الفرنج الكيتلان على عدة مراكب لتجار المسلمين فيها الكثير من المال والرجال[٣]. وفي سنة ٨٣٨هـ/ ١٣٣٤م منعت السلطة المملوكية بيع البهار إلى تجار الفرنج فتضرروا نتيجة ذلك[٤] واستمر هذا المنع لمدة عامين حيث بدأ بيع التوابل للتجار الفرنج سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م وكان هؤلاء التجار يأتون إلى السواحل المصرية ودمياط بالبضائع المتنوعة[٥].

ومن هذه الأحداث التي عكرت سبل التبادل التجاري بين المماليك والفرنج هو قيام هؤلاء سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م بأسر مجموعة من أعيان التجار المصريين من ثغر الإسكندرية ونقلوهم إلى رودس وكان لهذا الحدث وقعاً كبير في الإسكندرية فلما بلغ السلطان الأشرف قايتباي هذا الخبر تأثر منه وأصدر أمراً بالاحتياط على جميع تجار الفرنج على سواحل مصر وألزمهم بمكاتبة ملوكهم لإطلاق سراح التجار المسلمين مقابل إطلاق سراحهم وقد حصل على ما أراد[٦]. حيث تم إطلاق سراح التجار فوصلوا الإسكندرية ومعهم حوالي مائة أسير مسلم أطلق سراحهم هدية

---

[١] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٥٩.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٥٥.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٥٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٦٩.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٤١٩.

[٦] نيل الأمل، ج٧/ ص١٤٨ – ١٤٩.

للسلطان لكن وصول هؤلاء المسلمين تأخر حتى سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م أي بعد حوالي عامين من أسرهم[١]. ومما يذكر في مجال العلاقات التجارية مع الدول الأخرى هو ما حدث سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م حينما أرسل شاه رخ بن تيمورلنك[٢] كتاب تهديد إلى السلطان الأشرف برسباي منكراً عليه فرض المكوس على تجار المغول القادمين إلى جدة[٣].

رابعاً: الأسواق والمهن والحرف.

أما الأسواق فبوصفها الميادين التي تنتهي إليها أخيراً البضائع والسلع التجارية فقد ذكر المؤرخ قسم منها سواء كان ذلك بصفة الجمع كقوله: **((أسواق القاهرة))**[٤] أو بذكر سوق معين من خلال تسميته ومن ذلك ما ذكره عن سوق الرقيق[٥] في القاهرة الذي تم نقله سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م من مكانه في خط المصطاح[٦] الواقع بين الوزيرية وخط الملحيين[٧] إلى مكان قرب المشهد الحسيني[٨] ولكن هذا السوق

---

[١] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٩٥.

[٢] **شاه رخ:** هو القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك صاحب سمرقند وبخارى ويسمى ملك الشرق أرسل رسله عدة مرات إلى سلاطين المماليك ولاسيما في عهد الأشرف برسباي طالب أن يكون له الحق في إرسال الكسوة إلى الكعبة المشرفة فرفض الأشرف ذلك توفّى شاه رخ سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥/ ص٤٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٢٩٧ – ٢٩٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٧/ ص٢٦٩.

[٣] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٧٩.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٦٥.

[٥] **سوق الرقيق:** هو أحد أسواق القاهرة يقع بخط المطاح فيما بين الوزيرية وخط الملحيين كان لبيع الرقيق المستخدمين في خدمة المنازل ويعرف هذا السوق أيضاً بسوق الجواري. المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٦٢، ج٦/ ص٤٦٤، ج٧/ ص٦٩، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص٦٢.

[٦] **خط المصطاح:** يقع هذا الخط بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب وفيه سوق الرقيق والمدرسة الحسامية وهذا الخط يقع بالقرب من باب الشعرية. المقريزي، المصدر نفسه، ج٣/ ص٦٣.

[٧] **خط الملحيين:** يقع هذا الخط بين الوزيرية وسوق البذقانيين خلف دار الديباج ويسمى أيضاً خط طواحين الملح وكان به عدد من تلك الطواحين. المقريزي، المصدر نفسه، ج٣، ص٦٢.

[٨] **المشهد الحسيني:** أحد المشاهد المشهورة في القاهرة نسبة إلى الإمام الحسين بن علي (ع) وكانت فيه مدرسة لتدريس الحديث النبوي الشريف. ينظر: المقريزي، السلوك، ج٢/ ص٤٩٢؛ النعيمي، الدارس في المدارس، ج١/ ص٢٨٦.

أعيد فيما بعد إلى موضعه الأول[١]. ويبدو من هذا النص أن سوق الرقيق هذا لم يكن سوقاً ثابتاً يحتوي على محال ودكاكين بل أنه ربما كان عبارة عن مكان واسع يعرض فيه الرقيق لغرض بيعهم لأن طبيعة تجارة الرقيق لا تحتاج إلى دكاكين بقدر ما تحتاج إلى مساحة كبيرة لاسيما وأن والحديث عن تجارة الرقيق في القاهرة أثناء العصر المملوكي اذ كان هم المماليك الأول هو ضمان استمرار دولتهم وحكمهم في مصر وبلاد الشام عن طريق جلب الدماء الجديدة من مواطنهم الأصلية في أواسط آسيا وغيرها، فهي إذا تجارة رائجة وأعداد الرقيق لابد وأنها كانت كبيرة.

ومن أسواق القاهرة التي ذكرها المؤلف سوق الكتبيين[٢] وسوق الصيارفة[٣] وسوق النقليين[٤] التي تم هدمها في سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م وتجديد عمارتها[٥]. وذكر عبد الباسط بعض الأحداث التي شهدتها الأسواق ومن ذلك ما أشار إليه في أحداث سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م حيث أغلقت الحوانيت في أسواق القاهرة لتخوف أصحابها من محاولة قتل الأتابك الظاهر برقوق الذي تولى السلطنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ولكن برقوق أفشل هذه المحاولة ونادى بالأمان وعاد الناس إلى فتح حوانيتهم[٦]. وفي العام القادم أغلقت أسواق القاهرة وتعطلت معايش الناس بسبب الفتنة التي وقعت بين الأتابك برقوق والأمير بركة حيث عمل برقوق على توسيط القضاة والفقهاء لإبرام الصلح بينه وبين ذلك الأمير فكان له ما أراد وأعلن الأمان للناس فعادوا إلى الأسواق[٧].

---

[١] نيل الأمل، ج٤/ ص١٤.

[٢] **سوق الكتبيين:** هو أحد أسواق القاهرة لبيع وشراء الكتب كان في عصر المؤرخ المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) يقع بين سوق الدجاجين المجاور للجامع الأقمر وبين سوق الحفريين ثم نقل هذا السوق إلى مكان آخر يقع بين سوق الصاغة والمدرسة الصالحية. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣/ ص١٨٥.

[٣] **سوق الصيارفة:** أحد أسواق القاهرة يقع بالقرب من سوق الصاغة مقابل لسوق الكتب. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢٤٦.

[٤] **سوق النقليين:** أحد أسواق القاهرة الكثيرة في العصر المملوكي وقد ذكر المؤرخ المقريزي بأنه يقع قرب المدرسة الصالحية. المقريزي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٤٦.

[٥] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٥٦.

[٦] نيل الأمل، ج٢/ ص١٥١.

[٧] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٦٥.

الأمر الذي يشير إلى تأثر الأسواق بالأحداث الأمنية والسياسية وانعكاسها سلباً على الحياة الاقتصادية. وذكر المؤرخ تعرض أسواق مدينة عينتاب[١] إلى التدمير والإحراق أثناء الهجوم الذي تعرضت له تلك المدينة من قبل قرايوسف[٢] وإجبار أهلها على دفع مبالغ طائلة من المال ثم الرحيل عنها[٣]. ومن الأحداث التي ذكرها عبد الباسط والمرتبطة بالأسواق هو حادث قتل أحد التجار في سوق الحاجب[٤] بالقاهرة على يد أحد المتسولين حيث طلب هذا المتسول المساعدة من أحد التجار فلم يعطه شيئاً فقام بخطف أوراق الحساب من يد ذلك التاجر وفر هارباً فتبعه التاجر وأمسك به فتناول سكيناً من أحد الجزارين وطعن بها التاجر فسقط ميتاً[٥].وهناك أخبار متفرقة ذكرها عبد الباسط عن أسواق القاهرة وما كان يدور فيها من أحداث ومن ذلك ما ذكره حول قيام المحتسب[٦] نجم الدين محمد بن عرب الطنبدي سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م بتوزيع بعض حفظة القرآن على أسواق القاهرة ليقوموا بتعليم الباعة وأهل السوق قراءة القرآن وقرر لكل منهم فلس واحد عن كل حانوت مقابل قيامه

---

[١] **مدينة عينتاب:** مدينة في بلاد الشام قرب مدينة حلب وفيها قلعة مشهورة باسمها وأسواق عامرة. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٥٧/ ص١١٩.

[٢] **قرايوسف:** قرايوسف بن قرا محمد بن بيوم خجا التركماني استولى على عراق العرب والعجم ثم تملك تبريز وماردين وغيرها واتسعت دولته، تصاهر على أخته مع أحمد بن أويس حاكم العراق ولما استولى على العراق جعل ابنه ملكاً عليه قاد عدة معارك ضد شاه رخ بن تيمورلنك وكانت تبريز قاعدة حكمه (ت٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) وجاء بعده ابنه اسكندر. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤/ ص١٦٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦/ ص٢١٧.

[٣] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٣-٢٤.

[٤] **سوق الحاجب:** أحد أسواق القاهرة المشهورة في القرن التاسع الهجري كان مختصاً بما تحتاجه النساء من ملابس وقماش وغيره، لذلك كان يسمى أيضاً بسوق النساء. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص١٣٣.

[٥] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٢٧.

[٦] **المحتسب:** هو من يقوم بمهام وظيفة الحسبة التي تستند إلى أساس ديني هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان المحتسب ينظر إلى مصالح الرعية ويدير أحوال السوق وينهى الباعة عن الغش والتدليس في البضاعة وتطفيف الميزان. ينظر: ابن بسام المحتسب؛ نهاية التربة في طلب الحسبة، ص٣، ١٠.

بذلك العمل[١]. وأشار في أحداث سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م إلى الكساد الذي تعرضت إليه السلع والبضائع في أسواق القاهرة دون أن يذكر سب ذلك الكساد[٢]. أما المهن والحرف فقد ذكر المؤرخ قسم منها مثل مهنة الرفو[٣] ومهنة الجزارة ويبدو أن الجزارين كانوا يتعرضون إلى نوع من الابتزاز من قبل السلطة فقد ذكر المؤرخ في أحداث سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م إجبار الاستادار أرغون شاه لجزاري القاهرة على أخذ ما رسم إليهم من أبقار وتغريمهم الأموال.وقد تعرض هؤلاء الجزارين إلى حادث حينما انقلب مركبهم وسط النيل وهم في طريقهم لجلب الأبقار فغرق منهم عشرون جزاراً. ووصف المؤرخ حالة أهالي الغرقى وبكائهم وعويلهم وكثرة دعاءهم على الاستادار الذي كان السبب بموتهم[٤] وفي سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م ذكر خبر إلزام الجزارين بشراء الغنم من أغنام السلطان تحديداً حتى عدَّ ذلك من النوادر[٥].

ومن الحرف التي ذكرها المؤرخ هي حرفة الدلالة حيث أشار إلى حادثة غريبة وقعت لدلال قماش أسمهبشرن درن قتل زميلا له أسمه شريدم بسبب التخاصم حول شراء قطعة قماش عرضت للبيع كان كل منهما يريد أن يكون هو الدلال لبيعها[٦]. وذكر خبر إجبار الأتابك للسقائين لنقل الماء إلى مزرعته وما نتج عنه من شحة الماء في القاهرة وذلك سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م[٧] مما يشير إلى تعرض أصحاب بعض الحرف إلى الاستغلال من قبل أصحاب السلطة والنفوذ في ذلك العصر.

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٢٥٦.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٦٥، وقد ورد خبر هذا الكساد عند المقريزي، السلوك، ج٧/ ص١٠٩ ولم يذكر سبب الكساد أيضاً على الرغم من اهتمامه بالجانب الاقتصادي وأحواله.

[٣] **الرفو**: إصلاح الثوب أو القماش المخرق والنسبة لهذه الحرفة هي الرفاء. السمعاني، الأنساب، ج٣/ ص٧٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩/ ص٤٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١/ ص٧.

[٤] نيل الأمل، ج٤/ ص١٣٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٤١٧.

[٦] نيل الأمل ، ج٧/ ص٣٩٨.

[٧] المصدر نفسه ، ج٧/ ص٣٩١.

المبحث الأول: الكوارث الطبيعية وآثارها الاقتصادية

أولاً: الأوبئة والطواعين.

عانت مصر وبلاد الشام وغيرها من المناطق التابعة للدولة المملوكية ولاسيما في شطرها الثاني أي دولة المماليك الجراكسة من حدوث الأوبئة والطواعين القاسية والمتكررة والتي كانت لها آثار سلبية على الواقع الاقتصادي والاجتماعي للبلاد. وقد ذكر عبد الباسط الظاهري الكثير من هذه الحوادث وكان له فيها آراء شخصية فضلاً عن معاصرته لقسم منها وقد ابتدأ تسجيل مثل هذه الحوادث في سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م حينما ذكر الوباء الذي انتشر في مدينة الإسكندرية بل وعموم منطقة الوجه البحري[١]. ويبدو أن هذا الوباء امتد إلى بلاد الشام حيث انتشر في مدينة دمشق ومات فيه أعداد لا تحصى من أهل المدينة[٢].وذكر المؤرخ في أحداث شوال سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م خبر تفشي الوباء في الإسكندرية مستمراً الى ذي الحجة ومات بسببه الكثير من الناس[٣]. وفي سنوات معينة يذكر المؤرخ بداية ظهور الوباء ومن ذلك ما فعله في أحداث سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م حينما ذكر في شهر محرم ابتداء الوباء في القاهرة[٤]. ثم ذكر في أحداث شهر ربيع الأول من العام نفسه نهاية هذا الوباء [٥]، ولكن مما يؤخذ على المؤرخ هو اختصاره الشديد لأخبار الوباء ومن الأمثلة على ذلك قوله في أحداث سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م:**((وفي ربيع الآخر قدم الخبر بوقوع الوباء بالإسكندرية))**[٦]ولم يزد عن ذلك.و يلاحظ عليه في هذا النص والنصوص المشابهة أنه لم يشر إلى مصدره وعند المقارنة بين ما ذكره عبد الباسط وبين لاحظنا تشابه واضح[٧]. غير أن عبد الباسط ذكر عبارة **((وفيه قدم الخبر))**

---

[١] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٢/ ص٦٦.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص٧١ وقد ذكر هذا الوباء عند المؤرخ الشامي ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٣/ ٤٤٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٧٢.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٧٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٧٧.

[٦] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٣٦.

[٧] السلوك، ج٥/ ص١٨٤.

وكأنه كان معاصر لهذا الحدث ولم يكن كذلك لأنه ولد سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م. وفي أحداث سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م ذكر تفشي الطاعون في مصر مما أدى إلى موت الكثير من أهلها[(١)]. وذكر المؤرخ أحياناً الوباء الذي أصاب الماشية وما نتج عنه فقد ذكر أن وباءً عظيماً انتشر بين البقر سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م مما أدى إلى فناء أعداد هائلة منها ونتج عنه أيضاً رخص أسعارها في أيام الوباء حتى بيعت البقرة بخمسة دراهم بعد أن كانت تباع بخمسمائة درهم[(٢)]. ومن المؤكد أن مثل هذه الأوبئة تؤدي إلى ندرة هذا النوع من الماشية ويحتاج الأمر لسنوات عدة حتى تعود أعداد البقر بالتزايد مما يؤدي إلى أضرار بالغة بالفلاحين.وفي بعض حوادث الطواعين والأوبئة يذكر المؤرخ مشاهير المتوفين فيه فقد ضرب الوباء مدينة القاهرة وضواحيها سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م وقد سجل المؤرخ هذا الحدث ثم قال أن جماعة من أهل القاهرة خرجوا للصيد فمرضوا فلما عادوا إلى المدينة مات قسم منهم مثل الأمير طوغان العمري[(٣)]. ثم عاود هذا الوباء ظهوره في هذه المدينة أيضاً سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م وقد وصف المؤرخ هذه المرة طبيعة هذا الوباء حيث قال: **((وفيه –جمادى الآخر– كان الوباء بالقاهرة وضواحيها وابتداءه كان ربيع الأول والأمراض فاشية في الناس بالحمى والباردة ومات من الخلق كثير))**[(٤)]. ويستشف مما ذكره المؤرخ من معلومات عن الأوبئة والطواعين ما كان يدور أثناء تفشيها ،فقد ذكر انتشار الطاعون بين الناس في مصر سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م مما أدى إلى ارتفاع حاد في أسعار الأدوية حتى بلغ سعر القدح الواحد منها مائة درهم[(٥)] وما ذلك إلاّ بسبب كثرة الناس الذين أصيبوا به وجشع باعة الأدوية. وارتبط غلاء بعض السلع بحدوث الوباء ومثال ذلك زيادة سعر البطيخة الواحدة إلى ثلاثمائة درهم لأن الناس ،اذ قال المؤرخ

[(١)] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٢/ ص٢٧٢.

[(٢)] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٢٢ وقد ذكر هذا الوباء عند ابن حجر العسقلاني ينظر: إنباء الغمر، ج١/ ص٤٣٧.

[(٣)] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٨٨.

[(٤)] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٧.

[(٥)] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٠٤.

في احداث ذي الحجة سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ((زاد المرض وشيعت الموت،وبيعت بطيخة بنحو الثلاثمائة درهم)) [١] لأعتقادهمأن تناول هذا النوع من الثمار يؤدي إلى اكتساب الشفاء ، كما استعانوا بالفروج الذي لمعالجة مرض الطاعون وذلك في سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م وكان من علامات هذا المرض هو ظهور نتوء على جسم المصاب فيؤخذ لحم الفروج ويوضع على ذلك النتوء[٢]. وأحياناً يعطي المؤرخ إحصائية لأعداد المتوفين بسبب الطاعون ويذكر ما ينتج عن ذلك من خسائر اقتصادية. ففي أحداث سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م ذكر خبر الطاعون الذي اجتاح بلاد الشام مؤدياً إلى فناء الكثير من الناس مشيراً إلى أن دمشق لوحدها فقدت خمسين ألفاً من سكانها حتى خلت القرى والأرياف من أهلها وبقيت المحاصيل الزراعية في أراضيها لانعدام من يحصدها[٣]. ولاشك أن لذلك آثار اقتصادية واجتماعية بعيدة المدى على البلاد. وحينما انتشرت أمراض الحميات ونزلات البرد والسعال في مصر سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م عز وجود السكر والرمان لحرص الناس الشديد على شرائهما لاستخدامهما في علاج تلك الأمراض[٤]. وفي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م فقدت القاهرة وعدد من المدن المصرية الأخرى عشرة آلاف من أهلها بسبب تفشي الطاعون[٥]. ويبدو أن المؤرخ اهتم بأخبار هذا الطاعون فقد ذكر معلومات إضافية عنه في موضع آخر حيث قال: **((وفي ربيع الأول زاد الموتان بالقاهرة وصار كل من طعن مات سريعاً وحيا وتوهم الناس أنهم سيموتون عن آخرهم...))**[٦]. وفي العام التالي كثر الموت بسبب الطاعون في المدن المصرية مثل دمياط[٧]

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص١٤٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٤٨.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢١٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٥٥.

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٩-٣٠٠.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٠١.

[٧] **دمياط:** أحد الثغور المصرية المعروفة وهي قديمة تقع بين مدينة تنيس والقاهرة في زاوية بين بحر الروم ونهر النيل. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٤٧٢؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٣٩٤.

والإسكندرية والقاهرة[1]. وكان المؤرخ يشير أحياناً إلى ما يصيب الناس من ذعر بسبب انتشار مثل هذه الأمراض ففي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م وذكر تفشي الوباء في القاهرة وأن أكثر الذين تأثروا فيه هم الأطفال حيث أن غالبية الوفيات كانت من بينهم، وقد وصف هذا الوباء إذ قال أن من يصاب به كان يموت في يومه الذي أصيب به وأحياناً في ساعته ونادراً ما يبقى حياً لثلاثة أيام ويبدو أن هذا الوباء قد اجتاح منطقة واسعة حيث أشار المؤرخ إلى ورود خبر انتشاره في بلاد الفرنج[2]. وقدم إحصائية للذين توفوا في القاهرة فقط فبلغ عددهم عشرون ألفاً[3]. وتعرضت بلاد الشام إلى وباء جارف سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م حتى بلغ عدد الذين ماتوا فيه أكثر من ثمانين ألف شخصً[4]. وكان لابد لمثل هذه الكوارث أن يكون لها تأثيرها الكبير على واقع الحياة الاقتصادية ولاسيما قلة الأيدي العاملة في القطاع الزراعي الذي كان يشكل عماد الحياة الاقتصادية، وبعد عامين من حدوث الوباء في بلاد الشام اجتاح مصر وخرب مدينتي دمياط وفارسكور[5] وأهلك الكثير من هاتين المدينتين[6]. ومن أشد الطواعين التي ضربت مصر هو ذلك الذي تفشى في سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م والذي أطلق عليه المؤرخون المصريون ومنهم عبد الباسط الظاهري اسم (الفصل الكبير)[7] ولقد اهتم مؤرخنا بخبر هذا الطاعون فخصص له عدة صفحات وهذا أضعاف ما ذكره عن الطواعين الأخرى إذ لم تتعدَ أخبارها السطرين أو الثلاثة أسطر. مما يشير إلى خطورة هذا الطاعون ومما يدل على ذلك

---

(١) عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٣/ ص٣٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٨

(٤) المصدر نفسه، ج٤/ ص١٣٤.

(٥) **فارسكور**: هي إحدى مدن الوجه البحري في مصر بينها وبين مدينة شرمساح عشرة أميال. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١/ ص٣٣٩.

(٦) عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص١٧٥.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٣٣٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣/ ص١٨٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢/ ص١٢٨.

مـا ذكـره عبـد الباسـط مـن معلومـات عنـه حيـث قـال أنـه انتشـر فـي النحريريـة[1] ودمنهور[2] والمحلة[3] والقاهرة بل واجتاح بلاد الشام وبلاد الروم وبلغ من خطورته أنـه كـان يهلك يومياً أكثر من خمسين إنسان يوميا بالقاهرة[4] وأشار المؤرخ إلى الـذعر الشـديد الـذي أصـاب النـاس خوفاً منـه حتـى كـان الأطفـال يتحـدثون بـه فـي الطرقات وبسبب شهرته كان يؤرخ به[5]. وأشار المؤرخ إلى ما قامت به السلطة حيث أمروا الناس بصيام ثلاثة أيام والتوبة إلى الله من الذنوب والآثام وأن يستعدوا بعد ثلاثة أيام للخروج إلى الصحراء من أجل الدعاء إلى الله كي يرفع الطاعون عـنهم ، فخرجـت جمـوع النـاس يتقـدمهم كاتـب السـر وقاضــي القضـاة علـم الـدين البلقينـي[6]، فضـجَّ النـاس وبكـوا وتضـرعوا ثـم انصـرفوا، ولكـن أعـداد المـوتى ازدادت فذهل الناس وكثر خوفهم لاسيما وقد ترددت إليهم الأخبار بأن الطيور تسقط وهي طائرة والحيوانات تموت في البرية ونفقت الأسماك في النيل[7]. وبلغ الأمر من كثرة أعداد الموتى حداً قلَّ معه حمالو الموتى وحفارو القبور حتى صاروا يحفرون حفرة كبيرة ويلقون فيها مجموعة من الأموات[8] وزاد هذا الوباء وانتقل إلى مدن أخر

---

[1] **النحريرية**: من أعمال منطقة الغربية تقع بين المحلة الكبرى والإسكندرية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤/ ص٤٢٢.

[2] **دمنهور**: إحدى مدن الوجه البحري بينها وبين الإسكندرية يوم واحد. ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٢/ ص٤٧٢؛ السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ص١٠٧.

[3] **المحلة**: بلدة من ديار مصر بين الفسطاط والإسكندرية على نهر النيل وتسمى المحلة الكبرى. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٥/ ص٢١٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢٦٨.

[4] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٦٧-٢٧٨.

[5] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٦٧.

[6] **علم الدين البلقيني**: هو علم الدين صالح بن عمر بن رسلان بن نصير الكناني قاضي القضاة في مصر اشتهر بعلم الحديث والفقه ألّف العديد من المؤلفات في الأدب والتاريخ. ينظر: ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٣/ ص٥٧٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣/ ص٣١٢ – ٣١٤.

[7] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٦٨-٢٦٩.

[8] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٦٨.

كالمنوفية[١] والقليوبية[٢] وكثرت أعداد الموتى حتى صارت ثلاثة آلاف في اليوم الواحد، فذهل الناس وتعطلت أحوال السوق والمعايش وارتفعت أسعار الأكفان والأدوية على الرغم من شفاء القليل جداً منهم لأن الموت كان سريعاً لمن يصاب بالطاعون[٣]. وامتد هذا الوباء إلى فوة[٤] وبلبيس[٥] وغيرهما.

وذكر المؤرخ أيضاً معاناة الناس إذ كانوا في شغل شاغل من أجل حفر القبور وتجهيز الأموات وأخذوا يبيتون ليلهم في المقابر كي يظفروا بمن يحفر لهم[٦]. وأمر السلطان الأشرف برسباي السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر أن يجمع أربعين شريفاً كل منهم اسمه محمد وطلب منهم أن يجتمعوا في الجامع الأزهر ويقرأون القرآن يوم الجمعة ثم يصلون ويدعون الله تعالى أن يرفع هذا الوباء الذي أخذ يتضاءل حتى انقطع[٧]. ومن إجراءات السلطان المذكور للحد من هذا الطاعون اجتماعه بالعلماء والفقهاء ثم استفتاهم في هل يقوم الناس بالدعاء من أجل رفع الطاعون عنهم أم القنوت في الصلوات فأراد بعض الفقهاء استغلال هذه

---

[١] **المنوفية:** إحدى أعمال مصر من الوجه البحري ومركز مدينة منوف التي بنيت على مدينة قديمة ومنوف مدينة حسنة ذات أسواق ومساجد وهي تختلف عن مدينة منف في مصر القديمة والمنوفية تقع إلى الشمال من القاهرة وكانت إحدى نيابات الدولة المملوكية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٤٦٥؛ المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢٦٢.

[٢] **القليوبية:** إحدى أعمال الوجه البحري في مصر لها العديد من القرى وتضم الكثير من البساتين ومركز مدينة قليوب التي تقع على بعد فرسخ ونصف عن مدينة القاهرة. القلقشندي، المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٥٧؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٣٤.

[٣] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٢٧٠.

[٤] **فوة:** بلدة تقع على شاطئ نهر النيل من نواحي مصر قرب مدينة رشيد بينها وبين البحر خمسة فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤/ ص٢٨٠.

[٥] **بلبيس:** مدينة بينها وبين القاهرة عشرة فراسخ على طريق بلاد الشام. السمعاني، الأنساب، ج٤/ ص٣٢٦؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج١/ ص٤٧٩؛ وقال المقريزي أنها أول الشام وآخر مصر أهلها أثرياء كثيرة العمارة والبساتين خربت سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م المواعظ والاعتبار، ج١/ ث٣٣٩ – ٣٤٠.

[٦] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٧١.

[٧] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٧٢.

المناسبة من أجل إجراء بعض الإصلاحات الاقتصادية فقالوا للسلطان بأن هذا الهدف يتحقق بالتوبة إلى الله والكف عن المظالم فسألهم السلطان عن المطلوب بالمظالم فقالوا أنهم يعنون بذلك أن يقوم السلطان بتقليل الضرائب ولاسيما على تجار البهار وإنهاء احتكار السلطان للسكر فرفض السلطان ذلك وطلب منهم أن يأمروا الناس بالتوبة ومنع خروج الناس إلى التُرَب[١] فانفض المجلس على ذلك[٢]. ولم يرتفع هذا الطاعون إلاّ بعد أن أهلكَ أعدادا هائلة من الناس وأدى إلى خلو المنازل من أهلها. وذكر المؤرخ أن من غرائب هذا الوباء أن الناس كانوا لا يأمنون على أنفسهم من الموت فوضعوا في ملابسهم أوراقاً كتبوا فيها أسماءهم وعناوينهم لخشيتهم من الموت المفاجئ في الطرقات[٣]. وفي سنة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م ذكر المؤرخ الطاعون الذي ضرب القاهرة وضواحيها إذ بدأ بإحدى القرى فأباد غالب أهلها ثم انتقل إلى القرى الأخرى[٤]. وأشار المؤرخ إلى تأثيراته السلبية على الواقع الاقتصادي إذ أكّد أن كثرة أعداد الموتى أدت إلى ذهول الناس وانشغالهم بأمر هذا الطاعون فتعطلت أعمالهم ومعايشهم وترافق مع هذا الوباء الغلاء الظاهر في الأسواق ولاسيما أسعار الخبز حيث بيع الرطل[٥] الواحد منه بأربعة دراهم وارتفعت أسعار الغلال الزراعية والألبسة ويعود ذلك إلى سببين الأول هلاك أعداد كبيرة من الناس في هذا الطاعون مما أدى إلى قلة الأيدي العاملة وانشغال الناس بسلامتهم منه وكثرة تعسف المماليك الجلبان وتعديهم على حرمات الناس[٦] وفي الوقت الذي كان الطاعون ينهش بأجساد الناس ويؤدي إلى هلاك الكثير منهم كان هؤلاء الجلبان يطالبون بزيادة رواتبهم[٧] ولم تنحط الأسعار وتتوفر السلع والغلال الزراعية إلاّ بعد أن مات

---

(١) **التُرَب:** جمع تربة وهي المقبرة. الشيخ الطريحي، مجمع البحرين، ج١/ ص٢٨٥.

(٢) عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ ص٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٦/ ص٧٥.

(٥) **الرطل:** ويساوي اثنتا عشرة أوقية وكل أوقية تساوي ثمانية دراهم أي أن وزنه كان يساوي ثلاثمائة غرام. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص٣٠.

(٦) نيل الأمل، ج٦/ ص٧٩ – ٨٠.

(٧) نيل الأمل، ج٦/ ص٨١.

الكثير من هؤلاء المماليك[١]. وكان آخر طاعون ذكره المؤرخ هو الذي ضرب جميع أنحاء مصر سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م حتى خلت المدن والقرى والبوادي من سكانها وكانت الموتى تترك كالبهائم من غير تكفين ولا دفن ونتنت البلاد من جيف الموتى وعم هذا الطاعون مصر جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً، وقال عبد الباسط أيضاً أن هذا الطاعون من الطواعين النادرة لخطورته وكثرة الموتى بسببه[٢].ووصف المؤرخ كثرة الموت بقوله أن هذا الطاعون: ((**...جرف الناس جرفاً وجافت منه جبانات القاهرة وضواحيها وطفت الأسماك في البحر وسقط الطائرشيا من الهواء**))[٣].

ثانياً: الحرائق.

ورد في كتاب نيل الأمل العديد من أحداث الحرائق ولاسيما في مصر وبلاد الشام ويظهر مما دونه المؤرخ عن هذه الأحداث أنها كانت لها آثارها السلبية على الوضع الاقتصادي سواء كان بالنسبة للدولة المملوكية أو للرعية ومن ذلك ما ذكره في أحداث سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م من حدوث حريق هائل في الدور السلطانية الموجودة بقلعة الروضة[٤] وقد ظلت النيران مشتعلة عدة أيام حتى عجز الناس عن إطفائها وضاق صدر السلطان به وذكر المؤرخ أنه أشيع في وقت هذا الحريق أن السبب وراءه كان صاعقة[٥]. وفي أحداث سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م احترقت عمارة ومدرسة السلطان الأشرف شعبان (٧٧٤ – ٧٧٨هـ/ ١٣٧٢ – ١٣٧٦م) وأتلف هذا الحريق عدداً كثيراً من الدور والعمارة المجاورة فأخذ الناس يتفاءلون بزوال حكم هذا السلطان فكان كما تفاءلوا[٦]. ومن الحرائق الشهيرة هو ما وقع سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م

---

[١] المصدر نفسه، ج٦/ ص٨٢.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٨٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٨٥.

[٤] **قلعة الروضة:** تقع هذه القلعة في جزيرة الروضة من نهر النيل أما موقعها فهو بين القاهرة ومناظر الجيزة ويقع فيها مقياس نهر النيل وهذه القلعة بناها السلطان الأيوبي الصالح بن السلطان الكامل وقد هدمها السلطان عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك البحرية. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص٢٩٣ – ٢٩٤.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص٤٧.

[٦] نيل الأمل، ج٢/ ص١١٥.

إذ كان حريقاً كبيراً سماه المؤرخ (الحريق الأعظم) الذي حدث في القاهرة خارج باب زويلة[١] حيث احترقت فيه الأسواق والربـاع وامتدت النيران إلى سوق القاهرة حتى انتدب السلطان المنصور بن الأشرف شعبان الأمراء لقيادة مماليكهم والعمل من أجل إطفاء هذا الحريق الذي وصفه المؤرخ بأنه حريق مهول استمر لمدة يومين أدى إلى تدمير بنايات كثيرة وإتلاف أموال جزيلة حتى أخذ الناس يتحدثون فيما بينهم بأن هذا الحريق هو بداية خراب القاهرة فكان تشاؤمهم صحيحاً[٢]، وبعد شهر واحد من وقوع هذا الحريق حدث حريق آخر في القاهرة في منطقتي باب النصر[٣] واليانسية[٤] وقد خلّف هذا الحريق خسائر هائلة في الجانب الاقتصادي(٧).

ولم يقتصر المؤرخ على ذكر الحرائق التي ضربت القاهرة أو مناطق أخرى من مصر بل تعداه إلى ذكر حرائق بلاد الشام أحياناً ومنها الحريق الذي وقع بدمشق سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م الذي سماه بالحريق العظيم الذي أدى إلى تدمير عدة أماكن جليلة في تلك المدينة منها سوق الدهيشة والمنارة الشرقية للجامع الأموي والصاغة [٥]. والجدير بالذكر أن ابن حجر العسقلاني أشار إلى هذا الحريق وذكر أنه أدى

---

[١] **باب زويلة:** أحد أبواب سور القاهرة الشهير بناه الوزير الفاطمي الأفضل بن أمير الجيوش وكتب عليه أسمه وتاريخ بناءه في سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م وسمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة زويلة إحدى قبائل البربر التي وصل الكثير منها إلى مصر حينما دخل الفاطميون إليها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٤٢٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢/ ص٢٣٩ – ٢٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص٣٩.

[٢] نيل الأمل، ج٢/ ص١٣٧ – ١٣٨.

[٣] **باب النصر:** هو أحد أبواب سور القاهرة بناه أولاً القائد جوهر الصقلي ثم نقله الأمير الأفضل من مكانه الأول قرب المدرسة القاصدية إلى مكان آخر قرب مصلى العيد هدمته أخت الملك الظاهر برقوق وبنت مكانه حوض ماء سبيل. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢/ ص٢٤١.

[٤] **اليانسية:** إحدى مناطق القاهرة تقع خارج باب زويلة وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد خدام الخليفة الفاطمي العزير بالله (٣٦٥ – ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ – ٩٩٦م) كان يقال له الحسن اليانسي الصقلي. ينظر: المقريزي، المصدر نفسه، ج٢/ ص١٦.

(٧) نيل الأمل ، ج٢/ص١٣٨.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٢١.

إلى خسائر لا تحصى بالأموال وإلى غلاء مفرط بدمشق[1]. ويبدو أن احتراق بعض بعض الأسواق في هذا الحريق هو الذي كان وراء ارتفاع الأسعار. وفي عودة إلى حرائق الديار المصرية ذكر عبد الباسط الظاهري الحريق الذي وقع في مدينة دمياط سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م الذي وصفه بأنه مهول والذي أدى إلى تدمير ديار كاملة وأموال كبيرة وموت العديد من الناس[2]. وتكررت الحرائق سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م في مدينة القاهرة حتى فزع الناس منها حيث أتلفت الكثير من الدور ومن أشهرها دار التاجر برهان الدين المحلي وهي دار عظيمة تقع على شاطئ النيل كلف بناؤها خمسون ألف مثقال ذهب[3]. ومن أشهر الحرائق التي وقعت في مصر والتي ذكرها عبد الباسط هو ما أطلق عليه (كائنة الحريق الأعظم في بولاق) سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م الذي كان حريقاً مهولاً شمل منطقة واسعة من تلك المدينة وقال أن هذا الحريق لم يسمع بمثله عجزت الدولة بأمرائها ومماليكها من إطفائه أدى إلى تدمير أملاك الناس وافتقر بسببه الكثير منهم. أما عن سبب اندلاع النار فقد أشار المؤرخ إلى أنه سبب خفي[4] ولكنه علله تعليلاً دينياً حيث قال: **((وكان هذا الحريق من عقوبات الله تعالى جزاء ببعض ما كسبوا ...))**[5] ولخطورته وفداحة الخسائر التي خلفها ذكره بعض الشعراء في قصائدهم ومن ذلك قول أحد الشعراء.

لهفي على مصر وسكانها	فالدمع من عيني طليق
ما شاهدوا الحشر ولا هوله	ما بالهم إذا قوى عذاب الحريق[6]

وقد وصف أحد المؤرخين المعاصرين هذا الحريق بقوله: **((لم نشاهد في عمرنا مثل هذا الحريق لما اشتمل عليه من الأمور الغريبة منها سرعة الإحراق حتى أن الموضع العظيم من الأماكن الهائلة يذهب في الحريق بأسرع وقت))**[7]. وأشار هذا

---

[1] إنباء الغمر، ج٣/ ص١١٨.
[2] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٧١.
[3] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٣١.
[4] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٩.
[5] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٠.
[6] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٩-٤٠.
[7] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص١٢١.

هذا المؤرخ أيضاً إلى الخسائر التي خلفها هذا الحريق فكانت أكثر من ثلاثين ربعاً من أرباع تلك المدينة وكل ربع منها يشمل أكثر من مائة مسكن والكثير من الحوانيت والمخازن وغيرها[١]. وفي السنة ذاتها أيضاً وقعت عدة حرائق في مدينة القاهرة أشيع أن المماليك الجلبان هم الذين أشعلوها بهدف نهب أملاك الناس[٢]. ومن الحرائق الكبرى التي أشار إليها المؤرخ الحريق الذي ضرب الجامع الأموي بدمشق سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م الذي التهم ما حوله من الأسواق وأتلف جهات الجامع الثلاث القبلية والشرقية والغربية وما يليها من الأسواق الكبيرة وقد وصفه المؤرخ بأنه كان حريقاً عظيماً ذهب فيه للناس من الأموال والأمتعة والأبنية ما لا حصر له[٣]. ولقد ذكر أحد المؤرخين الشاميين المعاصرين الخسائر المترتبة على ذلك حيث قال: **((احترق الجامع الأموي بدمشق بكماله وما حوله من الأسواق وهي سوق الذراع وسوق الحرير وسوق العنبرانيين وسوق الرسامين وسوق الإخفافيين وسوق الشوائين وسوق الخياطين وسوق الصاغة وسوق الوراقين ...))**[٤]. وهكذا كان لهذه الحرائق التي ذكرناها آثار اقتصادية مدمرة، سواء على صعيد ممتلكات الدولة أو ما يمتلكه الناس.

ثالثاً: الزلازل والصواعق.

أورد المؤرخ عبد الباسط أخبار العديد من الزلازل التي ضربت مناطق داخل دولة المماليك أو خارجها وأشار أحياناً إلى ما خلفته من خسائر اقتصادية أو بشرية، ومن ذلك الزلزال الذي ضرب القاهرة سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م ووصفه بأنه خفيف ولم يذكر الخسائر التي خلفها[٥].وفي عام ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ذكر خبر الزلزال الذي ضرب مدينة انطاكيا[٦] واصفاً إياه بأنه كان عظيماً أدى إلى وفاة ثمانية وتسعين إنساناً[١]. ومما

---

[١] المصدر نفسه، ج١٦/ ص١٢٢.

[٢] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٣.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٣٧ – ٢٣٨.

[٤] ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج٢/ ص٩٠٢.

[٥] نيل الأمل، ج٢/ ص٢٣٧.

[٦] **انطاكيا:** بلد كبير من مشاهير بلاد الروم فيه حصن للروم على ساحل البحر واسع كثير الناس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢٧٠.

يؤاخذ على المؤرخ في هذا المجال أنه اختصر أخبار بعض الزلازل اختصارا شديدا على الرغم من وصفه لها أنها كانت هائلة ومن ذلك الزلزال الذي ضرب القاهرة سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م إذ لم يذكر عنه سوى أربعة كلمات[٢]. ويشير المؤرخ أحياناً إلى قوة الزلزال وامتداده إلى عدة بلدان، إذ ذكر في أحداث سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م خبر الزلزال الذي ضرب القاهرة مؤكداً إلى أنه امتد إلى الكثير من البلدان غير أن قوته اختلفت من بلد إلى آخر، ففي الوقت الذي كان فيه ضعيفاً بالقاهرة، فإنه كان قوياً في مناطق أخرى مثل الكرك[٣] التي تهدم سوقها والعديد من دورها[٤]. وكذلك الحال بالنسبة للزلزال الذي حدث سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م الذي وصفه بأنه هائل خرب القاهرة وضواحيها وقال عبد الباسط أنه زلزال عام شمل الإسكندرية ووردت أخباره من بلاد الروم وغيرها من البلاد وحدد وقت وقوع هذا الزلزال في القاهرة حيث قال أنه بعد العصر بنحو ساعة ووصف ما حدث أثناء الزلزال، إذ قال أن الأرض ماجت واضطربت وتحركت بقوة وشوهدت الأبنية العالية تموج وتميل وسمع للأرض دوي كدوي الرحى وذهل الناس وتركوا منازلهم هاربين وهم في رعب شديد[٥] وقال عبد الباسط أن هذا الزلزال لم يعهد مثله وأدى إلى هدم الكثير من الديار والأبنية وذكر عددا من الذين توفوا بسببه منهم قاضي القضاة الشرف بن أحمد بن عيد[٦] حيث كان جالساً في إيوان المدرسة

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص١٥١.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص١١٣.

[٣] **الكرك:** قلعة حصينة جداً في أطراف بلاد الشام من نواحي البلقاء تقع على طرف جبل عال تحيط به أودية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٤٥٣ وقد اتخذ منها السلاطين المماليك سجناً ومنفى للأعداء السياسيين، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩/ ص٣٠.

[٤] نيل الأمل، ج٦/ ص٤٨.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨١.

[٦] **شريف بن عيد:** هو شريف الدين موى بن أحمد بن عيد العجنوني الدمشقي الحنفي قاضي قضاة الحنفية كان عالماً متصوفاً ولد سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م وتوفّى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠/ ص١٧٩ – ١٨٠؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١/ ص٣٤ – ٣٥؛ النعيمي، الدارس في أخبار المدارس، ج١/ ص٤٩٣.

الصالحية[1] فسقط عليه حجر من أعلى الإيوان[2]. ولشهرة هذا الزلزال فقد نظم فيه الشعراء القصائد وصنفت فيه المصنفات[3] ومن الزلازل التي ذكرها المؤرخ ذلك الذي ضرب جزيرة رودس سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م أيضاً وقد وصفه أنه هائل أدى إلى تهديم الكثير من الأبنية جاعلاً عاليها سافلها وهلك بسببه الكثير من الفرنج[4]. وفي عام ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م ضربت مدينة عينتاب بزلزال أدى إلى سقوط جانب من سورها ومنارة جامعها فطلب نائبها من السلطان الأشرف قايتباي تعمير ما تهدم فوافق أن يكون ذلك بعد الانتهاء من عمارة سور البيرة[5] في بلاد الشام[6]. وآخر الزلازل التي ذكرها المؤرخ هو الذي ضرب القاهرة سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م وصفه بأنه خفيف حدث في الساعة الرابعة من النهار[7].

أما الصواعق فقد ذكر مؤرخنا منها ثلاثة الأولى حدثت سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م والتي نتج عنها الحريق الذي التهم دور السلطانية وغيرها[8]. أما الثانية فقد حدثت سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م وقعت في مدينة جدة وأدت إلى مقتل حوالي مئة إنسان وأتلفت الكثير من البضائع[9]. والصاعقة الثالثة وقعت في مكة المكرمة وذلك في سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م. ولم يذكر المؤرخ الخسائر التي أدت إليها هذه الصاعقة، بل وصفها بأنها مهولة على جهة باب السلام [10].

رابعاً: الفيضانات والسيول.

---

[1] **المدرسة الصالحية:** تقع هذه المدرسة في القاهرة في المنطقة التي تسمى بين القصرين بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب وذلك في سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤/ ص٢١٧.

[2] نيل الأمل، ج٧/ ص٢٨١ – ٢٨٢.

[3] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٨٢.

[4] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٠٣–٣٠٤.

[5] **البيرة:** بلد بين بيت المقدس ومدينة نابلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٥٢٦.

[6] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٧/ ص٣٧٩.

[7] المصدر نفسه، ج٨/ ص٦٦.

[8] المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٧.

[9] نيل الأمل، ج٤/ ص٤٢٧.

[10] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٩١.

وهي من الكوارث الطبيعية التي أثرت سلباً على الحياة الاقتصادية وقد ذكر عبد الباسط العديد منها مثل فيضان نهر بردى[١] سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م الذي حدث بسبب زيادة الأنهار الفرعية المحيطة بدمشق التي انكسر بعضها وصب في نهر بردى وقد أدى هذا الفيضان إلى إتلاف العديد من المحاصيل الزراعية وتحطيم بعض الطواحين[٢]. وفي أحداث سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م ذكر المؤرخ السيل العظيم الذي حدث في منطقة خليص[٣] وصادف مرور قافلة الحجاج الشاميين والمصريين فأدى إلى وفاة الكثير منهم ومن نتائجه أيضاً حدوث الغلاء[٤]. ومن السيول التي ضربت القاهرة هو ذلك الذي حدث سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م الذي سببته الأمطار الغزيرة التي حدثت في شهر تموز من ذلك العام ولم يعهد بمثلها في مثل هذا الشهر كما قال المؤرخ حيث جرى سيل قوي من جبل المقطم[٥]، وبسبب حدوث هذا السيل غير المعهود لهجت الناس متشائمة في حدوث أمر ما[٦]. ولم يذكر عبد الباسط الخسائر التي نجمت عن هذا السيل، إلاّ أنه من المرجح وقوع الخسائر ولاسيما في الأبنية والمزارع المحيطة بسفح الجبل، وفي السنة التالية وقع السيل العظيم في وادي القباب[٧] مؤدياً إلى وفاة الكثير من الحجاج المصريين وإتلاف ما لا حصر له من

---

(١) **نهر بردى:** أكبر الأنهار في دمشق ينبع على بعد خمسة فراسخ منها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص٣٧١.

(٢) نيل الأمل، ج٢/ ص٤٤.

(٣) **خليص:** هو حصن يقع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٢٨٧.

(٤) نيل الأمل، ج٢/ ص١٠٧.

(٥) **جبل المقطم:** هو جبل يمر على جانبي نهر النيل إلى النوبة ويعبر من أعلى الفيوم فيتصل بالمغرب إلى سجلماسة ومنها إلى البحر المحيط لا نبت فيه ولا ماء يشرف على القرافة وهي المقبرة الشهيرة في القاهرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/ ص١٧٦؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١/ ص٢٣٣.

(٦) نيل الأمل، ج٢/ ص١٢٧.

(٧) **وادي القباب:** وهو وادي كثير الرمل يقع في مصر يمر به موكب الحج في كل عام أثناء مسيرته إلى الحجاز وهو قريب من منطقة المنصرف. القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤/ ص٤٣١.

الأمتعة والبضائع[١]. وفي جمادي الأولى من سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م تعرضت مدينة مكة المكرمة إلى سيل عظيم جداً أدى إلى غرق المسجد الحرام وتهدمت بسببه عدة دور وسقطت بعض أساطين المسجد ومات بسببه تحت الهدم أكثر من ستين شخصاً[٢].

ومن المدن الشامية التي تعرضت إلى السيول مدينة طرابلس سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م حيث أدى إلى هدم الكثير من الأبنية ومات بسببه جمع غفير من الناس[٣]. الناس[٣]. وضرب السيل مرة أخرى مدينة مكة المكرمة سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م وصفه وصفه المؤرخ بأنه سيل مهول دخلت المياه إلى المسجد الحرام وكان ارتفاعها بمقدار أربعة أذرع وتهدمت بسببه أكثر من ألف دار ومات بسببه العديد من الناس[٤]. ومن المؤكد أن الخسائر لم تقتصر على الدور فقط لأن مدينة مثل مكة لابد وأنها ضمت العديد من المنشآت العامة والأسواق، وأرَّخ ابن حجر العسقلاني هذا السيل واصفاً إياه بالسيل العظيم وقال أنه أعقب هذا السيل وباء ضرب المدينة[٥].

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٢٥٥.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٦.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٦٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٤٧ ــ ٣٤٨.

[٥] إنباء الغمر، ج٧/ ص٣٠٠ – ٣٠١.

المبحث الثاني: الأحوال المناخية.

أورد المؤرخ عبد الباسط الظاهري أخبار تتعلق بالأحوال المناخية المتنوعة مثل غزارة المطر وانحباسه والرياح العاصفة وانخفاض وارتفاع درجات الحرارة الحاد، وذكر أحياناً آثار تلك الأحوال على الواقع الاقتصادي ففيما يتعلق بالأمطار أشار المؤرخ في العديد من النصوص إلى غزارة الأمطار ومن ذلك قوله في أحداث شهر شوال من سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م: ((**وفيه عشرينه ووافق أول توت القبطي أمطرت السماء مطراً غزيراً حتى سالت منه الأودية والأزقة وخاضت الناس في الماء وعد ذلك من النوادر**))[١]. كما ذكر خبر المطر الغزير الذي عم معظم البلاد المصرية بوجهيها القبلي والبحري حتى دخلت مياه الأمطار البيوت، وقال أن أضرارها شملت جميع المناطق دون أن يسميها أو يحددها[٢]. وفي سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م كثرت الأمطار في القاهرة ونواحي الوجه البحري حتى خرجت عن الحد[٣]. كما ذكر المطر الغزير الذي سقط على القاهرة سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م في فصل الصيف[٤]. وفي شهر شوال من سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م ذكر المؤرخ هطول المطر بغزارة شديدة على القاهرة وضواحيها فظهرت المستنقعات وتعطلت أعمال الناس وأسباب رزقهم وأشار إلى أن هطول المطر بهذه الغزارة كان من الأمور النادرة[٥]. وقد ورد ذكر المطر في هذه السنة ذاتها عند ابن حجر العسقلاني مشيراً إلى أنه استمر لثلاثة أيام بلياليها مما أدى إلى توقف الأعمال[٦].وتكرر الأمر في محرم سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م اذ قال((وفيه في أول بؤونة وهو الشهر العاشر من السنة القبطيةأمطرت السماء مطرا غزيرا أوحلت منه الأرض)) [٧] . وإلى جانب أخبار الأمطار الغزيرة وتأثيراتها ذكر مؤرخنا نصوصاً عن انحباس الأمطار وإذا كانت غزارة الأمطار قد أعاقت الناس

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٣٥.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٣١.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٤٦.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٣٩.

[٥] المصدر نفسه، ج٥/ ص٢١٣.

[٦] أنباء الغمر، ج٩/ ص٢٣٨.

[٧] نيل الأمل، ج٧/ ص١٣٠.

عن أداء أعمالهم وكسب أرزاقهم اليومية فإن انحباسها أثر على إنتاج المحاصيل الزراعية مما أدى إلى ارتفاع أثمانها، فأضر ذلك بالناس أيضاً.

فقد ذكر المؤرخ في سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م خبر قيام أهل دمشق بأداء صلاة الاستسقاء بسبب انحباس المطر مما أدى إلى شحة الغلات الزراعية وارتفاع أسعارها فأغاثهم الله تعالى بعد تلك الصلاة[١]. ولم يقتصر المؤرخ على ذكر أخبار شحة الأمطار في البلاد المصرية والشامية ففي أحداث سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م أشار إلى تأخر هطول الأمطار في بلاد أفريقيا مما أدى إلى غلاء الأسعار[٢]. وفي إشارة واضحة لتأثيرات انحباس الأمطار على الجانب الاقتصادي متمثلاً بالزراعة ذكر عبد الباسط الظاهري أن الأراضي الزراعية في الحجاز وحوران[٣] لم تزرع في سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م بسبب انقطاع الأمطار عنها مما أدى إلى غلاء شديد في الأسعار[٤].

ومن الأحوال المناخية التي كان لها تأثير سلبي على الحياة الاقتصادية هي العواصف لما ألحقته من خسائر مادية، وقد أشار مؤرخنا إلى العديد من أخبار هذه العواصف ففي أحداث شهر محرم من سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م أورد خبر هبوب رياح شديدة ونزول برد كبار مما أدى إلى تخريب بيوت كثيرة[٥]. وفي ربيع الأول من ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م هبت رياح مريسية[٦] استمرت طول النهار فلما كان وقت العصر أصبحت السماء صفراء ثم أعقب ذلك ظلمة الجو حتى صار النهار كالليل واشتد فزع الناس ثم أعقب ذلك رياح عاصفة أضرت بالمباني وعم هذا الحال القاهرة ودمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحري[٧]. وفي العام ذاته أيضاً هبت ريح عاصفة

---

[١] نيل الأمل، ج١/ ص٢٦٠.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص١١٢.

[٣] **حوران:** من أعمال دمشق كبيرة وواسعة وكثيرة الخيرات. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٢/ ص٢٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢/ ص٣١٧.

[٤] نيل الأمل، ج٤/ ٢٣٢ .

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦٤.

[٦] **الرياح المريسية:** هي الرياح الجنوبية. الثعالبي، ثمار القلوب، ص٥٢٧.

[٧] نيل الأمل، ج٤/ ص١٢٧.

شديدة أدت إلى تهديم مباني عديدة وقلع أشجار كبيرة من النخيل والجميز [١] وغير ذلك، وكانت من شدتها تقلع الأشجار من جذورها وشملت معظم أراضي مصر [٢]. وتعرضت مدينة دمياط سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م إلى عواصف شديدة اقتلعت الكثير من النخيل وأسقطت العديد من المباني وأتلفت حقول قصب السكر [٣] ومن بين المدن التي تعرضت إلى العواصف الشديدة مدينة مالقة بالأندلس سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م حيث أدت تلك العواصف إلى اقتلاع الأشجار وغرق الكثير من السفن بل وحطمت بعض الأبنية[٤].

وتعرضت مدينة دمياط مرة أخرى سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م إلى عواصف أدت إلى إتلاف الكثير من الأشجار ولاسيما أشجار الموز كما سقطت بسببها بعض الأبنية[٥].

ومن أحوال المناخ التي وردت في كتاب نيل الأمل ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها وتأثيراتها، ومن ذلك ما حدث في شهر محرم سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م حيث ارتفعت درجات الحرارة ارتفاعاً كبيراً أدى إلى وفاة العديد من حجاج الشام العائدين إلى ديارهم لتعرضهم للعطش الشديد وحرارة الجو[٦]. وفي سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م هبت رياح شديدة الحرارة على سنجار [٧] أدت إلى حرق الأشجار وهلك بسببها الكثير من الناس[٨] وخربت الكثير من البيوت في مصر حينما سقط البرد في

---

[١] **الجميز:** شجرة عظيمة بحجم شجرة التين لها ورق يشبه ورق التوت يثمر ثلاث مرات في السنة وثمرة أحلى من التين ليس فيها بذور وله فوائد طبية عديدة وهذه الشجرة معروفة بمصر. ابن سينا، القانون في الطب، ج١/ ص٢٤٥ – ٢٤٦؛ السبكي، الطبقات الشافعية الكبرى، ج١٨/ ص٣٠١.

[٢] نيل الأمل، ج٤/ ص١٣١.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٤٢.

[٤] المصدر نفسه، ج٦/ ص٢٣٢.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٣٨.

[٦] المصدر نفسه، ج٢/ ص٤٢.

[٧] **سنجار:** بلدة في الجزيرة الفراتية بينها وبين الموصل مسافة ثلاثة أيام سميت باسم بانيها الملك سنجار بن ملك بن ذعر. السمعاني، الأنساب، ج٣/ صص٣١٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣/ ص٢٦٢.

[٨] نيل الأمل، ج٢/ ص٦٨.

شـهر محـرم سـنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م[١] وتعرضـت المنطقـة الغربيـة[٢] سـنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م إلى سقوط برد كبير أدى إلى تلف مساحات واسعة من الزرع وهلكت بعض الأغنام[٣]. ومن المدن التي تعرضت إلى رياح السموم شديدة الحرارة الكرك مما أدى أدى إلى تلف المزارع وشحة المياه بشكل حاد ونتيجة لذلك تفرق أهلها وأهل المناطق المحيطة بها[٤]. أما مدينة القاهرة وضواحيها فقد تعرضت سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م إلى إلى انخفاض شديد في درجات الحرارة أدى إلى تجمد المياه فهلكت المواشي وتأثرت المزارع كثيراً[٥]. وفي مدينة دمشق وضواحيها تلفت أشجار الفواكه حينما انخفضت درجات الحرارة بشكل حاد سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م[٦]

---

[١] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٦٤.

[٢] **المنطقـة الغربيـة:** إقليم مصري مشـهور جليل القدر يضم البلاد الحسنة والقرى الزاهية والبساتين المتشابكة ومركز مدينة المحلة وهي مدينة عظيمة الشأن رائعة المنظر حسنة البناء فيها الأسواق والمدارس والجوامع. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٤٦٦.

[٣] نيل الأمل، ج٤/ ص١٣.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٠٨.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٤٦.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٧٢.

المبحث الثالث: النيل وأثره في الحياة الاقتصادية.

اعتمدت الزراعة في مصر بشكل أساس على مياه نهر النيل ، لذا اهتم حكام مصر اهتماما كبيرا به، وأبرز مثال على ذلك هو الاهتمام بوضع مقياس النيل[١] وكان يتولى الإشراف على المقياس موظف خاص يراقب مستوى المياه من حيث الزيادة أو النقصان وينادي في الناس بمقدار ما وصلت إليه زيادة النهر وهذا الموظف يسمى صاحب المقياس[٢]. وحرص مؤرخنا على ذكر الزيادة والنقصان سنوياً وأشار إلى أضرار ذلك وقلق الناس وخوفهم منهما وما ينتج عن ذلك، وذكر أيضاً فرح الناس وسرورهم في حالة وفاء النيل[٣]. ففي ما يتعلق بنقصان مستوى نهر النيل أشار المقريزي إلى ذلك بقوله: **((إذا تأخر جري النيل بمصر يمتد الغلاء سنين))**[٤] وأوضح أحد الباحثين خطورة نقصان نهر النيل عن حد الوفاء إذ تنتشر الفوضى والفزع ويخيم شبح المجاعة والوباء[٥]. ولقد ذكر عبد الباسط الظاهري في أحداث سنة ٧٧٥هـ/ ١٤٧٣م أن نهر النيل تأخر عن الوفاء جداً وتوقف عن الزيادة

---

[١] **مقياس النيل:** هو عمود حجري قائم وسط المياه على شاطئ النيل توجد عليه خطوط عرضية تبين مدى زيادة أو نقصان هذا النهر فإذا قل مستوى الماء عن أربعة عشر ذراعاً فإنه يسبب القحط والغلاء لعدم تمكن الفلاحين من السقي وإذا زاد مستوى المياه عن ستة عشر ذراعاً فإنه قد يسبب الفيضان وماله من مضار على الحياة الاقتصادية بشكل عام. ينظر: زكريا القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٢٥؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص٥٧٢.

[٢] ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١/ ص٥، ج٣/ ص٤٧٨؛ عفاف عبد الجبار عبد الحميد، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، ص١٧٦.

[٣] **وفاء النيل:** ومعناه أن يصل مستوى نهر النيل إلى ستة عشر ذراعاً حينها يبدأ منادي البحر بالإعلام عن وفاء النيل ويسدل الستار على الشباك الكبير الموجود في مبنى مقياس النيل فإذا شاهده الناس استبشروا بالوفاء وبعد الإعلان بوفاء النيل يبدأ الاحتفال الكبير بهذه المناسبة حيث يشارك فيه الجميع بدءً بالسلطان وانتهاءاً بالعامة حتى تتحول القاهرة إلى مدينة مضاءة بالأنوار ويحضر قراء القرآن لتلاوته طول الليل. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣/ ص٢٩٧؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤/ ص١١٤ – ١١٥؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٤٣. وللتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر كتاب وفاء النيل لإبراهيم العفيفي.

[٤] إغاثة الأمة، ص٤١.

[٥] قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٤٣.

فقلق الناس وخرج القضاة والعلماء والمشايخ وعامة الناس من أجل صلاة الاستسقاء لكنه لم يصل مستوى الوفاء فابتدأ الغلاء وارتفعت أسعار الغلال الزراعية وتكرر خروج الناس للاستسقاء ولكن نهر النيل ظل بلا وفاء، غير أن هطول المطر الذي عم معظم أراضي مصر نفع الناس وأدى إلى انخفاض الأسعار ولاسيما محصول القمح[١]. وكان قلق الناس عاماً في حالة نقصان مستوى المياه لعلمهم بأن ذلك سيؤثر على حياتهم المعيشية من خلال ارتفاع الأسعار وهذا ما حدث أيضاً في سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م عندما توقف نهر النيل عن الزيادة فقلق الناس[٢]. وعندما تكون نسبة انخفاض المياه في النيل كبيرة فإن نتائج ذلك تتعدى الجانب الزراعي إلى حياة الناس اليومية حيث تشح المياه المستخدمة للشرب أو في الاستعمال اليومي. ففي سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م نقص الماء في نهر النيل نقصاناً كبيراً حتى أخذ الناس يخوضون مشاة في نهر النيل وغلا سعر الماء جداً وازدحم الناس على شراءه من السقاة حتى بلغت سعر الراوية الواحدة أربعة دراهم بزيادة ثلثي قيمتها الثابتة وأخذ الناس يخرجون بأنفسهم وعبيدهم وجواريهم لنقل الماء على البغال والحمير وعلى رؤوسهم وتزايد العطش بالناس وصادف ذلك فصل الصيف وكان الحر شديداً[٣]. وعلى الرغم من أن المؤرخ لم يشِر إلى تأثير هذا النقصان على الأراضي الزراعية وعلى الحياة الاقتصادية بشكل عام فإنه من الواضح أن آثاره السلبية كانت كبيرة قياساً على ما زودنا به من معلومات عن شحة المياه حتى أنها وصلت إلى ندرة مياه الشرب. وفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م كان نقصان نهر النيل فشرقت[٤] الكثير من أراضي الوجه القبلي وارتفعت الأسعار[٥]. وأحياناً يشير المؤرخ إلى إجراءات السلطة لمواجهة نقصان النيل ففي سنة ٨١٩هـ/

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٥٨ – ٥٩.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٤٨.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص٤٢.

[٤] **التشريق**: ويسمى الشراقي أيضاً مصطلح يطلق على الأرض حينما يكون مستوى نهر النيل في نقصان ولم يوفِ فلا يصلها الماء فيقال شرقت الأرض وكلمة الشراقي مأخوذة من الريح الشرقية التي تعني عند أهل مصر دليل على نقص الماء فعند هبوبها يجف الماء وتظهر الأرض. ينظر: عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص١٥٣؛ أبو زيد، الريف المصري في العصر الإسلامي، ص١٤٨؛ عفاف عبد الجبار عبد الحميد، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، ص٥٨.

[٥] نيل الأمل، ج٣/ ص٩٧.

١٤١٦م توقف النيل عن الزيادة ونقصت مياهه فأمر السلطان المؤيد شيخ قراء القرآن أن يذهبوا إلى المقياس ليتلوا القرآن هناك وفرق عليهم الأموال وعمل الأطعمة وركب حاجب الحجاب[١] إلى ساحل النيل وقام بحرق ما كان به من الأخصاص ومنع الناس من الاجتماع هناك[٢] وأوضح المؤرخ عبد الباسط أن القلق كان ينتاب الناس في حالة نقصان نهر النيل ففي رمضان من سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م قال: **((نقص النيل في غير أوانه، وأخذ الناس القلق من ذلك وتزايدت الأسعار))**[٣] وفي العام التالي توقف النيل عن الزيادة فأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار الغلال الزراعية فطلبت السلطة المملوكية من الناس صيام ثلاثة أيام والخروج بعد ذلك لإقامة صلاة الاستسقاء في الصحراء فخرج القضاة والعلماء والمشايخ وكذلك السلطان المؤيد شيخ الظاهري فصلى بهم قاضي القضاة وخطب خطبتين حث فيهما على التوبة والاستغفار والقيام بأعمال البر فمنَّ الله تعالى بعد ذلك بزيادة النيل[٤].

إن نقصان نهر النيل شكل قلقاً كبيراً لدى الناس لأنهم يعلمون النتائج السلبية لذلك وقد أشار مؤرخنا في العديد من النصوص إلى نتائج هذا النقصان فعندما توقف النيل عن الزيادة ونقصت مياهه سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م قال المؤرخ: **((قلق الناس وظنوا ظنوناً وشحوا بالغلال وتوقف خزانها عن بيعها وارتفع السعر وتكالب بعض الناس على شرائها))**[٥]. ومن هذا يتبين أن نقصان نهر النيل يؤدي إلى سلسلة من النتائج السلبية تبدأ بخوف الناس على قوتهم وهو خوف مشروع لأن أسعار المنتوجات الزراعية سترتفع كثيراً بسبب شحتها وزيادة الطلب عليها وامتناع التجار عن بيعها. وفي شهر ذي الحجة من سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م نقص النيل عن المستوى

---

[١] **حاجب الحجاب:** منصب مملوكي كان صاحبه يقوم مقام النائب في الولايات وإليه يشير السلطان وإليه تقدم العروض من قبل الجند والأمراء فيراجع بها السلطان. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤/ ص٢٠؛ دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٩.

[٢] نيل الأمل، ج ٣/ ص٣٠٧.

[٣] المصدر نفسه، ج٤/ ص٤٤.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص٦٢ – ٦٣.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢١٩.

المطلوب للوفاء فذعر الناس وانزعجوا وسارعوا لشراء الغلال وتكالبوا على ذلك[1]. ويفهم من النصوص التي دونها المؤرخ عن نقصان نهر النيل أن أخبار ذلك تنعكس مباشرةً على أحوال السوق فالتجار يبادرون إلى إمساك ما عندهم من غلال بغية ارتفاع ثمنها والناس يسارعون من أجل الحصول على ما يستطيعون الحصول عليه من غلال زراعية ولاسيما القمح. ففي أحداث سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م توقف النيل عن الزيادة ثمانية أيام متتالية فغلت الأسعار وندر الخبز في الأسواق وتكالب الناس على شراء القمح فخرج القضاة والأعيان لإقامة صلاة الاستسقاء فزاد النيل أصبعين[2].

أما فيما يتعلق بأخبار زيادة مستوى مياه نهر النيل عند المؤرخ فهي أقل وطأة من حيث الخسائر الاقتصادية. ويلاحظ مما ذكره في هذا الجانب أن المنافع الاقتصادية لزيادة نهر النيل أكثر من خسائرها. بل أن الزيادة ترتبط أحياناً بشعور غامر بالفرح والسعادة لدى عامة الناس لأن الزيادة غالباً ما تؤدي إلى المستوى الذي يكون فيه وفاء نهر النيل والذي يعني وصول المياه بسهولة إلى الأراضي الزراعية. إذ كان السلطان المملوكي يذهب بنفسه إلى المكان المخصص للاحتفال بوفاء نهر النيل وهذا ما حدث في شهر جمادي الأولى من سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م حينما أعلن وفاء نهر النيل فذهب السلطان الظاهر برقوق بنفسه[3]. وهذا ما فعله السلطان الناصر فرج بن برقوق في سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م وأحياناً ينوب الأمراء عن السلطان للقيام بهذا العمل ومثال ذلك ما حدث سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م حينما كان وفاء النيل فذهب كل من أمير سلاح[4] وأمير مجلس والدوادار[5] بأنفسهم[6] وفي سنة ٨٢١هـ/

---

[1] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٣٥.

[2] المصدر نفسه، ج٦/ ص٢٦٥.

[3] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٠٣.

[4] **أمير سلاح:** يتولى القائم بهذه الوظيفة حمل سلاح السلطان المملوكي كما يدير شؤون السلاح خاناه ومتعلقاتها ويكون بدرجة أمير مائة ومقدم ألف. ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢/ ص١٠١.

[5] **الدوادار:** موظف يتولى تبليغ الرسائل عن السلطان وتقديم القصص إليه والمشاورة حول من يحضر إلى الباب من الناس وتقديم البريد وهو الذي يقدم كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والتواقيع والكتب. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢/ ٢٢٢.

[6] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٣٩.

١٤١٨م ذهب السلطان المؤيد شيخ الظاهري بنفسه للتأكد من وفاء النيل والإشراف على الاحتفال فكان يوماً مشهوداً[١]. وفي أحداث سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م زودنا المؤرخ بمعلومات واضحة عما كان يدور عند حدوث وفاء النيل حيث نزل محمد بن السلطان الأشرف برسباي لتخليق المقياس[٢] وفتح الخليج[٣] بين يديه لكن لم يظهر الناس المزيد من السرور والابتهاج على ما جرت عليه عوائدهم في ليالي الوفاء لأن النهر تأخر عن الزيادة حتى يئس منه الناس كما أن السلطان الظاهر برسباي أصدر أمراً بمنع تزيين القوارب واجتماع الناس على شاطئ النيل انتظاراً لتحقيق الوفاء فامتنعوا عن ذلك وضعفت رغبتهم بالاحتفال[٤]. ومن هذا يظهر لنا أن الناس جميعاً يترقبون بشغف زيادة نهر النيل للاحتفال به أما السلطة المملوكية فكانت تهتم كثيراً لأمر تحقيق الوفاء لخشيتها من حدوث أزمات اقتصادية وربما مجاعات فيما لو لم يتحقق الوفاء. إن زيادة النيل ووفائه كانت تنعكس إيجابياً على أحوال السوق كما أوضح ذلك المؤرخ عبد الباسط الظاهري حيث ذكر في أحداث سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م بأن نهر النيل كانت زيادته وافرة فازدادت كميات السلع والبضائع المعروضة وانخفضت أسعارها[٥]. ومن الزيادات المفرحة لدى الناس تلك التي حصلت في شهر محرم سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م حيث نودي بالقاهرة بوصفها العاصمة المملوكية على زيادة نهر النيل فسر الناس وفرحوا فرحاً غامراً لأن هذه الزيادة أدت

---

[١] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩.

[٢] **تخليق المقياس:** أي تعطيره بالزعفران احتفالاً بانخفاض مستوى نهر النيل بعد فيضانه، إذ يركب الأمراء بموكب كبير في قوارب تسمى الحراقات، ثم يدهن عمود مقياس نهر النيل بالزعفران وترمي الحراقات نيرانها احتفالاً بذلك وهذه الخطوة تسبق فتح خليج السد. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص١٠٠؛ دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٤٣.

[٣] **فتح الخليج:** ويسمى أيضاً كسر خليج السد وهو قيام السلطان أو من ينوب عنه بالنزول من فم الخليج إلى السد الترابي فيضربه بمعول من ذهب ثلاث ضربات إيذاناً بوفاء النيل ثم يأتي الناس بجمع غفير ليحفروا السد الترابي بالفؤوس حتى يجري الماء في الخليج. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤/ ص١٠٠؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج١/ ص١٩٨؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٤٥.

[٤] نيل الأمل، ج٤/ ص٢١٨.

[٥] نيل الأمل، ج٤/ ص٣١٧.

إلى حصول الوفاء ومن ثَمَّ فتح الخليج. وقد وصف المؤرخ عبد الباسط الظاهري ذلك اليوم بأنه كان: **((يوماً مشهوداً فيه أظهر الناس غاية الفرح والسرور))**[1].إن مظاهر الابتهاج التي عمت البلاد تأتي لعلمهم بأن وفاء النيل سيؤثر إيجاباً على حياتهم المعيشية من خلال توفر الغلال الزراعية ومن ثَمَّ انخفاض أسعارها.

وفي سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م غمرت الناس في مصر فرحة كبيرة بسبب حصول الوفاء ونزل الأتابك بنفسه للإشراف على فتح الخليج، وأشار المؤرخ أحياناً إلى الخسائر التي خلفتها زيادة نهر النيل حينما تكون أكثر من المطلوب لتحقيق الوفاء. ففي شهر رجب من سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م زاد مستوى النهر إلى تسعة عشر ذراعاً فغرقت بسبب ذلك العديد من البساتين[2].وهكذا نرى أن نهر النيل كان له تأثير كبير على مجريات الحياة الاقتصادية في مصر في المدة الزمنية التي أرّخ لها عبد الباسط الظاهري الواقعة بين السنتين (٧٤٤ – ٨٩٦هـ).

---

(1) المصدر نفسه، ج٤/ ص٣٣٨.

(2) المصدر نفسه، ج٢/ ص١٨١.

المبحث الرابع: السياسة النقدية وآثارها الاقتصادية.

اهتم المؤرخ بتسجيل أخبار العملة النقدية أثناء المدة التي أرَّخ لها. والنصوص التي ذكرها حول هذا الموضوع صبت في عدة اتجاهات مثل ضرب نقود جديدة لحل أزمة اقتصادية معينة تخص النقود أو تسعير الدينار أو الدرهم لأن الدنانير الذهبية والدراهم الفضية متنوعة مما جعل أوزانها مختلفة ومن ثَمَّ اختلفت أسعارها فالدينار الذهبي لم يكن سعره ثابتاً أمام الدرهم والدرهم الفضي لم يكن سعره ثابتاً أمام الفلس النحاسي وكان هذا الاختلاف في القيمة غالباً ما يضر الناس، ودَوَّن المؤرخ أخبار منع التعامل بنوع معين من النقود وإقرار التعامل بنوع آخر كما ذكر أخبار غش العملة.

أولاً: ضرب النقود:

أشار المؤرخ إلى قيام السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م بضرب فلوس نحاسية جديدة نقش فيها دائرة كتب في وسطها اسم السلطان فلما تعامل الناس فيها فسروا هذا النقش بأن الدوائر ستدور على السلطان ويسجن وقد وقع ذلك فعلاً[١]. وقام الأمير يلبغا السالمي في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م بضرب دنانير جديدة نسبة إليه حيث سميت الدنانير اليلبغاوية[٢]، لكن المؤرخ المقريزي المعاصر لهذا الأمير ذكر أنه لم يضرب منها إلا ثلاثة آلاف دينار فقط لعدم توفر كمية كافية من الذهب[٣]. وفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م قام السلطان الناصر فرج بن برقوق بضرب فلوس نحاسية جديدة سميت باسمه وأصبحت هي النقود الرائجة في مصر[٤]. أما الأمير نوروز فقد أمر سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م بسك دراهم جديدة نصفها فضة ونصفها نحاس وتم التعامل بها في بداية الأمر لكنها لم تجد إقبالاً متواصلاً، فأمر بضرب دراهم فضة خالصة[٥].

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص١٤٦-١٤٧.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص٥٦.

[٣] السلوك، ج٦/ ٥٦ص.

[٤] نيل الأمل، ج٣/ ص٩٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٣٥.

وأشار المؤرخ إلى أن هذه الدراهم التي نقش عليها اسم الخليفة العباسي في مصر المستعين بالله (٨٠٨ – ٨٣٣هـ/ ١٤٠٥ – ١٤٣٠م) تعامل الناس بها في القاهرة بعد أن توقف تعاملهم بالدراهم منذ ثلاثين سنة[١]. وقد أشار ابن اياس إلى ضربها أيضاً[٢] وفي العام ذاته أمر السلطان المؤيد شيخ الظاهري بضرب دراهم جديدة سميت (المؤيدية) وحصل النفع بالتعامل بها[٣]. وقام هذا السلطان أيضاً في سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م بعقد مجلس حضره القضاة الأربعة لبحث أمر النقود الذهبية والفضية والنحاسية وانتهى هذا المجلس إلى الاتفاق على ضرب دنانير جديدة سميت (المؤيدية)[٤] لتحل محل تلك النقود[٥]. ولم يكتفِ هذا السلطان بذلك بل قام بإخراج مائتي ألف دينار من الخزانة وأمر الاستادار والوزير وناظر الخاص أن يشتروا بها العملة المتداولة بين الناس لتسك من جديد ونادى في الأسواق أن يجلب من لديه نقود لشرائها منه وهدد من امتنع عن بيعها أو حاول إخراجها من البلد[٦].

ثانياً: تسعير العملة النقدية:

على الرغم من أن العملة النقدية كانت تستمد قيمتها من قيمة المعدن الذي ضربت منه ودرجة نقاؤه، لكن السلطة المملوكية أثناء المدة التي أرَّخ لها عبد الباسط الظاهري كانت تتدخل لتسعير العملة بين الحين والآخر، مما يؤدي إلى إلحاق الخسائر بالناس بسبب نقصان قيمة العملة الموجودة لديهم. ففي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م أعلنت السلطة بأن يكون الدرهم المؤيدي بثمانية فلوس وأن يكون رطل

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ٢٧٣.

[٢] بدائع الزهور، ج٢/ ص١٦.

[٣] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٧٣.

[٤] **الدنانير المؤيدية:** هي الدنانير التي أمر بضربها السلطان المؤيد شيخ الظاهري سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م واكتمل ضربها سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م فنقلت من دار الضرب في القاهرة إلى مركز الحكم في القلعة باحتفال شعبي. ينظر: المقريزي، السلوك، ج٦/ ص٣٦٦، ٣٨٠.

[٥] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٨٢.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣٣٥.

الفلـوس بخمسـة دراهـم ونصـف الـدرهم والـدينار الأفرنتـي[١] بمـائتين وثلاثـين فلسـاً، والـدينار الهرجـة[٢] بمائتين وخمسين فلساً فخسر النـاس نتيجة لذلك أموالا كثيرة[٣]. وكان تسعير العملة أحياناً يؤدي إلى حدوث منازعات في السوق ففي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م عقـد السـلطان الأشـرف برسـباي مجلسـاً حضـره القضـاة والأمـراء وكبـار الموظفين للنظر في أمر النقود بسبب ما خالطها من حديد ورصاص فتم الاتفاق على أن يكون سعر الرطل من الفلوس النحاسية الخالصة سبعة دراهم أما المخلوطة فإن الرطل بخمسة دراهم فحصلت بسبب ذلك المنازعات بين النـاس والباعة فـي السوق[٤]. ولكن في سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م ارتفع سعر الفلوس النحاسية حيث نودي أن يكون الرطل منها بثمانية عشر درهماً وذلك يعود إلى ندرتها في الأسواق وبين أيدي النـاس بسبب قيام التجار بنقلها من القاهرة إلى مناطق أخرى[٥]. وفي السنة التالية ارتفع سعر الدينار الذهبي في القاهرة حتى بلغ مائتين وستين درهماً ونتيجة لذلك ارتفع سعر الغلال الزراعية أيضاً[٦] وسعرت الدنانير الذهبية في سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م بأن يكون سعر الدينار الأشرفي[٧] بمائتين وثلاثين درهماً والدينار الأفرنتي

---

[١] **الـدينار الأفرنتـي:** هو الدينار المضروب عند الفرنج ويستخدم داخل الدولة المملوكية. المقريزي، السلوك، ج٧/ ص٢٢٤.

[٢] **الـدينار الهرجـة:** هو الدينار الذهبي الخالص مستدير الشكل ويساوي عشرة دراهم وتستخدم هذه الدنانير في حلي الزينة كالأساور. ينظر: رأفت محمد النبراوي، السكة الإسلامية في مصر، ص٣٤٥.

[٣] نيل الأمل، ج٣/ ص٣٠٩.

[٤] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٢٥.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٤٩.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٦٣.

[٧] **الدينار الأشرفي:** هو الدينار الذي ضرب في عهد السلطان الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ/ ١٤٢١ – ١٤٣٧م) وقد ضرب هذا الدينار ليحل محل الدنانير الأفرنتية. ينظر: عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩٧؛ ويساوي مائتان وخمسة وثلاثون درهماً، عفاف عبد الجبار، الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي، ص٢٤٧.

بمائتين وخمسة وعشرين درهماً[١]. ويظهر مما أورده المؤلف حول سعر الدينار أن قيمته أخذت بالارتفاع باستمرار ففي سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م أمرت السلطة أن يكون سعر الدينار بثلاثمائة درهم وهدد بمعاقبة من زاد في سعره للحد من الارتفاع الحاد في قيمته مقابل الدرهم الفضي بعد أن بلغ سعره ثلاثمائة وسبعين درهماً ويعود هذا الارتفاع الحاد إلى الغش الذي طال الدراهم الفضية وكثرتها بأيدي الناس[٢]. وكان تسعير العملة أحياناً يؤدي إلى حدوث احتجاجات بين الناس لأن هذا التسعير أدى إلى خسائر كبيرة في أموالهم. ففي سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م أمر السلطان الأشرف اينال بتسعير الدراهم الفضية على أن يكون كل درهم فضي بثمانية عشر فلساً من النحاس بعد أن كان بأربعة وعشرين فلساً فهاجت العامة نتيجة لذلك[٣]. ولهذا السبب ومحاولة المماليك الجلبان الثورة على السلطان الذي خاف من اجتماع العامة والمماليك ضده أصدر أمراً بإلغاء تلك التسعيرة[٤]. وقام السلطان الأشرف اينال سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م بتسعير الدينار الذهبي فجعله يعادل ثلاثمائة فلساً نحاسياً وتسعير الدراهم الفضية المغشوشة التي كثر التعامل بها بين الناس فجعل الدرهم الواحد منها يساوي سبعة عشر فلساً نحاسياً أما الدراهم الأشرفية الجديدة فتم تسعير الدرهم الواحد منها بأربعة وعشرين فلساً نحاسياً[٥] وتضرر الناس سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م حينما تم

---

[١] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٤ وقد ورد هذا الخبر أيضاً عند الصيرفي في نزهة النفوس والأبدان، ج٣/ ص٢١٩.

[٢] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص١٠.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص١٥.

[٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٦/ ص٨٠؛ عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص١٥.

[٥] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٣.

تسعير الدرهم النقرة[١] وجعله يساوي أربعة وعشرين فلساً نحاسياً بعد أن وصلت قيمته إلى ستة وثلاثين فلساً نحاسياً[٢].

وفي سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م ضرب السلطان الأشرف قايتباي فلوساً نحاسية جديدة وألزم الناس بالتعامل بها وأن يكون سعر الدرهم بأربعة فلوس فخسر الناس نتيجة هذه التسعيرة[٣]. وفضلاً عن التسعير بالعدد كان هناك التسعير بالوزن فقد أمر السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م بسبب نقص وزن العملة الذهبية والفضية لاقتطاع أجزاء منها بأن يتم التعامل بها وزنا، فتضرر الناس من هذا الإجراء وتعطلت أعمال الكثير منهم وتوقفت أحوال السوق بسبب قيام الباعة بوزن العملة على ما تهواه أنفسهم[٤]. وفي حالات معينة لا يستمر التسعير مدة طويلة بل لمدة وجيزة وتعود الأسعار إلى حالها السابق ففي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م صدر الأمر بتصريف العملة وزناً وحدد وزن الرطل من الفلوس النحاسية بستة وثلاثين درهماً والدينار الذهبي بثلاثمائة فلس وعلى الرغم من تهديد الوزير الباعة إلاّ أن الأسعار شهدت ارتفاعاً حاداً واستقرت لبعض الوقت[٥].ويتضح من هذا أن تدخل السلطة في تسعير العملة لم يكن يأتي دائماً بنتائج إيجابية بل ينعكس سلباً في بعض الأحيان مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار.

ثالثاً: منع التعامل بالعملة النقدية.

كان من أشكال سياسة المماليك النقدية أثناء المدة التي أرَّخ لها عبد الباسط الظاهري هو قيامهم أحياناً بمنع التعامل بالعملة النقدية الأمر الذي يصب في غير مصالح الرعية. وفي أحيان أخرى يكون فيه إصلاح لعملية التعامل النقدي ففي سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م أمر السلطان الناصر فرج بن برقوق بمنع التعامل بالدنانير الذهبية

---

[١] **الدرهم النقرة:** هو درهم ثلثاه من الفضة وثلثه الآخر من النحاس ويضرب في دور الضرب السلطانية وزنه أربعة وعشرين قيراطاً. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣/ ص٤٣٩؛ المقريزي، السلوك، ج١/ ص١٥١.

[٢] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٤٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٢٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٦٥.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٣٠٢.

وهدد من باع أو استدان بها فحصل بذلك ضرر بالغ لمصالح الناس كما منع التعامل بالذهب المطرز أو المصاغ ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً إذ أعيد التعامل بالذهب مجدداً. وعد المؤرخ هذا القرار غريباً ولم يسمع بمثله ولكنه لم يبين لنا السبب وراء اتخاذ هذا القرار[١]. وفي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م أصدر السلطان المؤيد شيخ الظاهري قراراً يمنع الناس من التعامل بالدينار الناصري[٢] وهدد من تعامل به[٣] وكان السلطان الناصر فرج بن برقوق قد أمر بضرب الدينار الذهبي الذي سمي باسمه سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[٤]. غير أن المؤرخ لم يذكر سبب هذا المنع أيضاً ، وقد أشار المقريزي بأن الأمر تضمن أيضاً أن تجمع الدنانير الناصرية وتقطع وتصرف على أنها ذهب لا نقود فصعب ذلك على الناس وخسروا أموالاً كثيرة[٥]. وأحياناً يكون سبب المنع هو كثرة غش العملة ففي سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م حينما قام بعض الناس باقتطاع أجزاء من الدراهم الفضية المسماة بالدراهم المؤيدية نسبة إلى السلطان المؤيد شيخ الظاهري ،اذ أمر السلطان الأشرف برسباي بمنع التعامل بهذه الدراهم بالعدد ونودي أن يتعامل بها بالوزن لكي لا تتاح الفرصة للمفسدين بالربح غير المشروع[٦].وفي العام التالي أمر السلطان ذاته بمنع التعامل بالفلوس النحاسية المخلوطة بقطع النحاس والحديد والرصاص وأن لا يتم التعامل إلاّ بالفلوس النحاسية المنقاة ومنع تهريبها خارج القاهرة للحد من تصريفها في أماكن أخرى وكان لهذا الإجراء نتائج إيجابية على التعاملات النقدية في الأسواق[٧]. وأشار المقريزي أن هذا الإجراء أوجد نوعان من الفلوس النحاسية كل منهما له قيمته

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص١٧٢ وقد ورد هذا الخبر عند ابن حجر العسقلاني في إنباء الغمر، ج٦/ ص١٠١ – ١٠٢ دون أن يبين سبب ذلك المنع أيضاً.

[٢] **الدينار الناصري:** هي الدنانير التي أمر بضربها السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ – ٨١٥هـ/ ١٣٩٨ – ١٤١٢م) المقريزي، كتاب النقود الإسلامية المسمى شذور العقود ي ذكر النقود، ص٨١.

[٣] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٣/ ص٢٨٧.

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص١٧٦.

[٥] السلوك، ج٦/ ص٤١٢.

[٦] نيل الأمل، ج٤/ ص١٠٦.

[٧] نيل الأمل، ج٤/ ص١٣٧.

فأصبحت الفلوس المغشوشة أقل بكثير من حيث القيمة من الفلوس الجديدة المنقاة[١]. وأشار عبد الباسط الظاهري الى ما يلاقيه قرار المنع أحياناً من صعوبات في التطبيق ففي سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م قرر السلطان الأشرف برسباي منع التعامل بالدنانير الأفرنتية فرفض الناس ذلك فقرر السلطان أن تجمع تلك الدنانير وتقطع وتحمل إلى دار الضرب وتضرب من جديد دنانير بسكة إسلامية[٢]. وعلى الرغم من دقة صناعة الدنانير الذهبية ووزنها لكن السلطان الأشرف برسباي قام في سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م بمنع التعامل بالدنانير الأفرنتية والبندقية[٣] واللنكية[٤] وأقر محلها التعامل بالدنانير الأشرفية التي أمر هو بسكها والتي سميت باسمه، ويبدو أن خطوة السلطان هذه تهدف إلى إثبات هوية الدولة المملوكية وقوة السلطان المذكور عن طريق التعامل بعملة محلية تحمل اسمه. وأورد ابن حجر العسقلاني هذا الخبر باختصار مشيراً إلى نتائجه بقوله: **((وحصل بذلك لأخيار المسلمين سرور كثير))**[٥]. وفي السنة التالية قرر السلطان ذاته منع التعامل بالدراهم البندقية واللنكية دون أن يبين المؤرخ سبب هذا المنع[٦]. وأشار المقريزي إلى النتائج الاقتصادية لهذا الإجراء بأن عددا من المتربصين عملوا على شراء الدراهم الممنوعة بأقل من قيمتها لعلمهم بأن هذا القرار لن يستمر طويلاً فخسر بعض الناس أموالهم وربح آخرون[٧]. ونتيجة لكثرة النقود التي دخلت إلى القاهرة فقد أصدر السلطان الأشرق برسباي مجدداً قراراً في سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م بمنع التعامل بالدراهم غير الأشرفية التي ضربت بسكة الإسلام واسم السلطان الأشرف برسباي[٨]. وذكر المقريزي أن سبب

---

[١] السلوك، ج٧/ ص٧٤.

[٢] نيل الأمل، ج٤/ ص١٩٧.

[٣] **الدنانير البندقية:** وهي التي تضرب ببلاد الفرنج وعليها سكتهم. المقريزي، السلوك، ج٦/ ص٣٦٦.

[٤] **الدنانير اللنكية:** وهي الدنانير المضروبة في بلاد التتار أمر بسكها ملوك التتار المنحدرين من نسل تيمورلنك وهي من الدراهم التي استخدمت أيام المماليك. النبراوي، السكة الإسلامية، ص٣٤٤.

[٥] إنباء الغمر، ج٨/ ص١٣٩.

[٦] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٤٨.

[٧] السلوك، ج٧/ ص١٨٧.

[٨] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٩٢.

هذا القرار يعود: ((**لكثرة ما فيها من غش**))[١]. ثم عاد السلطان الأشرف برسباي مجدداً ليصدر قراراً يحدد فيه أنواع الدراهم المسموح التعامل بها وهي الأشرفية والمؤيدية والبندقية وترك التعامل بالنقود اللنكية والقرمانية[٢] لكثرة الغش فيها وأمر أيضاً بإدخال الدراهم الممنوعة إلى دار الضرب لسكها مجدداً وألزم التجار والصيارفة بذلك[٣]. وأوضح المقريزي نوع الغش في هذه النقود الممنوعة وهو أنها صنعت من الفضة والنحاس وليس من الفضة الخالصة كما هو حال الدراهم الأشرفية والمؤيدية[٤].وأشار المقريزي أيضاً إلى نتائج هذا الإجراء بقوله: ((**فتزايدت المضرة لكثرة التناقض وعدم الثبات على الأمر واستخفاف العامة براعيها وقلة الاهتمام بما يرسم به**))[٥] الأمر الذي يعني أن هذا القرار رغم أنه جاء لإصلاح حال التعامل النقدي ، إلاّ أن كثرة القرارات وتناقضها وعدم اهتمام الناس بقرارات السلطان هي التي كانت تقلل من النتائج الإيجابية لمثل هذه الإصلاحات. أما الفلوس النحاسية فقد شملتها إجراءات السلطان الأشرف برسباي أيضاً ففي سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م منع هذا السلطان التعامل بالفلوس النحاسية وزناً وأمر أن يتم التعامل بها بالعدد جاعلاً كل ثمانية فلوس تساوي درهم واحد ولكن مؤرخنا أعرض عن ذكر السبب[٦]. غير أن المقريزي ذكر سبب هذا القرار وهو كثرة قيام المفسدين باقتطاع أجزاء من هذه الفلوس فرفض الناس التعامل بها[٧].وفي سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م قام السلطان الأشرف اينال بمنع التعامل بالفلوس الجديدة التي ضربها باسمه جاعلاً كل درهم نقرة

---

[١] السلوك، ج٧/ ص٢٢٤.

[٢] **الدراهم القرمانية:** هي الدراهم المضروبة بالدولة القرمانية في آسيا الصغرى وقد استخدمت هذه الدراهم في مصر خلال عصر دولة المماليك الجراكسة ولكن السلطان الأشرف برسباي ألغى التعامل بها. المقريزي، المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٢٤؛ عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٤/ص٢٩٣؛ النبراوي، السكة الإسلامية، ص٣٣٤.

[٣] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٩٣.

[٤] السلوك، ج٧/ ص٢٢٥.

[٥] المصدر نفسه،ج٧/ص٢٢٥.

[٦] نيل الأمل، ج٤/ ص٣٧٧.

[٧] السلوك، ج٧/ ص٢٨٧.

يساوي ثمانية فلوس ولكن ما لبث أن أعيد التعامل بالفلوس القديمة بالوزن على أن يكون الرطل الواحد منها بأربعة وعشرين درهماً[1]. وهكذا فإن قرارات منع التعامل بالنقود على الرغم من أنها كانت تهدف إلى الإصلاح المالي لكنها تؤدي أحياناً إلى إلحاق الخسائر بالناس ولهذا يرفضون الالتزام بتلك القرارات مما يؤدي إلى اضطرار السلطة إلى الرجوع عن ذلك القرار.

رابعاً: الموقف من تزييف النقود.

أورد المؤرخ بعض المعلومات التي تفيد بقيام عدد من الأشخاص بتزييف العملة وغشها ولاسيما أثناء المدة التي عاصرها. ففي أحداث سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م عقد السلطان الأشرف اينال مجلساً حضره القضاة الأربعة للتداول حول غش النقود وكثرة تزييفها سواء كان ذلك في دور الضرب السلطانية أو ما يقوم به الزغلية[2] من عمليات غش في العملة فأحضرت دراهم وضربت في عهود سلاطين سابقين لهذا السلطان وقورنت مع الدراهم التي ضربت في عهده فاتضح بأن النقود التي ضربت في عهد السلطان الأشرف برسباي هي أكثر غشاً وفساداً فأخذ الناس بالتشنيع عليه في الأسواق لاسيما بعد أن ألغى التعامل بالدراهم الحلبية والدمشقية[3] وهو إجراء لم يكن مناسباً لمعالجة ما لحق بالعملة من غش. وفي العام التالي قام السلطان ذاته بإجراءات قوية ضد الذين يقومون بتزييف العملة فتم القبض على جماعة منهم وقطعت أيديهم وعثر في حانوت لأحد الأشخاص على آلات تستخدم لسك العملة المزيفة فأمر السلطان بقطع يد صاحبه ثم أمر بتوسيط[4] خمسة أشخاص لقيامهم

---

[1] نيل الأمل، ج٦/ ص٥٥.

[2] **الزغلية:** تطلق خلال العصر المملوكي على الأشخاص الذين يقومون بغش النقود بإنقاص وزنها أو خلطها مع معادن أقل قيمة مثل خلط الفضة مع النحاس ويطلق على الزغلية أيضاً اسم الزغليين. المقريزي، السلوك، ج٣/ ص٢٦؛ عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص١٣؛ دوزي، تكملة المعاجم، ج٤/ ص٢٥١.

[3] عبد الباسط الظاهري، نيل الأمل، ج٦/ ص١٣.

[4] **التوسيط:** إحدى طرق الإعدام في عصر المماليك، إذ يشد الشخص على خشبة مثبتة على الأرض ويضرب بالسيف تحت السرة ضربة قوية تقسمه نصفين فتنهار أمعاؤه إلى الأرض، وغالباً ما تنفذ

بتزييف الدراهم الفضية فوقع الرعب في نفوس الزغلية وكان ذلك سبباً للحد من عمليات التزييف[١]. وفي سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م أمر السلطان الأشرف قايتباي بقطع يد أحد الأشخاص المغاربة لأنه كان يمتلك آلات تزييف العملة حيث كان يضرب الدنانير الذهبية المغشوشة[٢]. وأمر هذا السلطان أيضاً في سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م بقطع يد أحد المماليك التابعين للأتابك أزبك[٣] لأنه كان يقوم بضرب النقود المغشوشة وقد أدت هذه العقوبة إلى وفاته فيما بعد[٤].إن هذه العقوبات الشديدة لابد وأنها أدت إلى الحد من قيام الزغلية بأعمال تزييف العملة.

بالأعداء السياسيين في الأماكن العامة كالأسواق أو تحت القلعة. المقريزي، السلوك، ج١/ ص٥١٥، ج٢/ ٤٥٠؛ دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٤٨.

[١] نيل الأمل، ج٦/ ص٣٣.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص١٥٧.

[٣] **الأتابك أزبك:** هو الأمير أزبك بن ططخ الأشرفي ثم الظاهري أصله من بلاد الجركس جلبه من هناك أولاً التاجر ططخ فاشتراه السلطان الأشرف برسباي فعرف بالأشرفي اشتراه السلطان الظاهر جقمق فعرف بالظاهري، أصبح خازن دار وأمير طبلخاناه ثم تولى منصب الأتابكية بنى جامع كبير في القاهرة ويعد من أفضل الأمراء. السخاوي، الضوء اللامع، ج٢/ ص٢٧٤.

[٤] نيل الأمل، ج٧/ ص٣٩٢.

المبحث الخامس: ارتفاع وانخفاض الأسعار ونتائجهما.

أولاً: ارتفاع الأسعار .

تفيد المعلومات التي أوردها عبد الباسط الظاهري عن الأسعار بأنها كانت متذبذبة بين الارتفاع والانخفاض تبعاً للعوامل المؤثرة في ذلك، ففي ما يتعلق بارتفاع الأسعار هناك أسباب ساعدت على ارتفاعها وتأثير ذلك على الحياة اليومية للناس منها شحة البضائع والسلع في الأسواق، ففي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م تعذر وجود الخبز في الأفران[١]. وفي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م مات العديد من النساء بسبب تزاحمهن للحصول على الخبز من الأفران فاشتد الغلاء بسبب عدم وجود القمح أو الدقيق[٢]. ومع هذه الظروف اضطر الناس أن يخرجوا جموع غفيرة مشاة إلى الصحراء لإقامة صلاة الاستسقاء[٣]. وفي العام التالي عز وجود اللحوم في القاهرة فارتفعت أسعارها[٤]. وتكررت هذه الحالة في سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م إذ شح وجود اللحم وقل الخبز بالأسواق وازدحم الناس عليه فارتفعت أسعاره[٥] وشحت المواد الغذائية مثل اللحم والجبن والحليب حتى أصبحت معدومة لاسيما في مدينة القاهرة[٦]. وعلى الرغم من أن المؤرخ لم يذكر نتائج هذه الشحة لكنها من المؤكد أدت إلى ارتفاع الأسعار لاعتبارات العرض والطلب فكلما قل العرض زاد السعر لكثرة الطلب على البضائع، ومع هذا فإن المؤلف أشار بوضوح إلى هذا الأمر ففي أحداث سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م ذكر أن القمح قل وجوده في الأسواق فتكالب الناس على شرائه وتزاحموا على الأفران طلباً للخبز وارتفعت أسعار الغلال[٧]. ويشير عبد الباسط أحياناً إلى أسباب الشحة في بعض السلع ففي سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م ذكر خبر ندرة وجود الفول والحمص لأن هذين المحصولين تعرضا إلى الصقيع في

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٩١.

[٢] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٤.

[٣] المصدر نفسه، ج٣/ ص٢٩٤.

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص٣١٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٨.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٧٩،١٨٤.

[٧] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٩٠ وأشار إلى هذا الأمر ابن اياس في بدائع الزهور، ج٢/ ص١٠٤.

الشتاء فأتلفهما فارتفعت أسعارهما[١]. وذكر أيضاً انعدام وجود العسل بسبب موت النحل لقلة مصادر غذائها المعتمد على الأزهار بالدرجة الأولى[٢] وكان الناس يتدخلون أحياناً في مثل هذه الأزمات ففي سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م اعترض العامة طريق الأتابك أزبك وهو في طريقه إلى صلاة الجمعة مع السلطان الأشرف قايتباي فشكوا إليه قلة وجود الخبز في الأفران وصغر حجم الرغيف إن كان موجوداً فأخبر الأتابك السلطان بذلك فأمر بإحضار المحتسب وشهره[٣] ثم أمر بجمع الطحانين وحثهم على توفير الدقيق فحصل النفع بذلك[٤] وفي سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م تحرك الناس ثانيةً فشكوا من قلة الخبز في الأسواق وتزاحمهم عليه فتم تسعير الرطل من الخبز بثلاثة دراهم لكن ذلك لم ينفع حيث أخذت أسعاره في الارتفاع ثم ضج الناس كثيراً وشكوا من المحتسب فلم يجاب لهم واضطربت الأحوال فزادت شكوى الناس[٥]. وهناك عامل آخر أدي إلى ارتفاع أسعار السلع ولاسيما الغذائية منها وهو قيام أقطاب السلطة المملوكية بالاحتكار ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م اشتد الغلاء بدمشق لقيام ابن النشو[٦] باحتكار الغلال فثار العوام ضده وأمسكوا به وقتلوه شر قتلة ثم أحرقوه بالنار[٧]. وكان بعض السلاطين يحتكرون سلعاً معينة ففي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م احتكر السلطان الأشرف برسباي بيع السكر وجعل له ديوانً خاص به[٨]. ولم يكتفِ هذا السلطان بذلك بل أمر سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م أن ينادى في الأسواق

---

[١] نيل الأمل، ج٤/ ص٢٣٨.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٣٨.

[٣] **التشهير**: وهي إحدى العقوبات المعروفة في العصر المملوكي حيث يوضع المراد التشهير به على جمل ويطاف به في شوارع القاهرة أو غيرها من المدن وينادون به وبسبب عقوبته. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠/ ص٢٣.

[٤] نيل الأمل، ج٧/ ص٣٤٥.

[٥] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٣٣.

[٦] **ابن النشو**: لم نعثر على ترجمة ابن النشو هذا في المصادر المتوفرة لكن المقريزي ذكر أنه كان محتكراً للغلال بدمشق حينما اشتد الغلاء بسبب شحة الأمطار فخرج الناس لصلاة الاستسقاء فضربوه سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م. السلوك، ج٥/ ص٣٩٨.

[٧] نيل الأمل، ج٢/ ص٣٧٩.

[٨] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٤١.

بأن لا يباع السكر إلاّ للسلطان ولا يشترى إلاّ منه[1]، ثم ذهب إلى أبعد من ذلك فأمر سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م بأن لا يزرع أحد من الناس قصب السكر وأن لا يكون ذلك إلاّ من جهة السلطان ولا يزرع إلاّ له غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، حيث أشار المؤلف إلى فشل تطبيق هذا الأمر[2]. ومن السلع التي احتكرها هذا السلطان الحطب الذي كان يجلب من الوجه البحري حيث أمر بجعله من جملة المتاجر السلطانية وذلك سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م[3] وكان لابد لهذا الاحتكار أن يؤدي إلى ارتفاع أسعار السلع وهو أمر أفصح عنه المؤرخ حينما قال في أحداث سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م أن السلطان الأشرف برسباي أمر بشراء الغلال الزراعية وتخزينها كي ترتفع أسعارها وتباع بأثمان غالية فخرج أعوانه إلى القرى والأرياف لشراء الغلال ومنعوا بيعها إلى حين اكتفاء السلطان منها، فارتفع سعرها وأخذ الناس بتدبير معيشتهم بما كانوا يدخرونه لقوتهم من الغلال خوفاً من نتائج هذا الاحتكار[4].

وفضلاً عن هذه الأسباب التي ذكرها عبد الباسط والتي أدت إلى ارتفاع الأسعار زودنا بمعلومات تاريخية عن مستويات ارتفاع الأسعار وأسماء المدن التي شهدت هذا الارتفاع وحدد لنا أسماء السلع وأسعارها ونتائج الغلال ومن ذلك ماذكره في أحداث سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م عن ارتفاع أسعار القمح في دمشق حتى بيعت الغرارة[5] منه بأكثر من مائتي درهم[6]. وأشار في أحداث سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م إلى ارتفاع أسعار القمح في القاهرة حتى بيع الأردب بستة مثاقيل ذهب مما أدى إلى موت الفقراء من الجوع وأكل الكثير من الناس خبز الفول والنخالة. وأعطى مثال آخر على ارتفاع الأسعار في السنة ذاتها بأن الدجاجة الواحدة بيعت بأربعة دراهم فضة وفقد الخبز وأكل الفقراء الطين،وحينما جلب حمل طين لترميم سطح أحد

---

[1] نيل الأمل، ج٤/ ص١٧٦.

[2] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٢٨.

[3] المصدر نفسه، ج٤/ ٢٥٣.

[4] المصدر نفسه، ج٤/ ص٣١٢.

[5] **الغرارة:** مكيال دمشقي للقمح يصنع من الصوف أو الشعر ويساوي ٧٢ مداً دمشقياً أما وزن الغرارة فيساوي ٢٠٤.٥ كيلو غرام قمح. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص٦٤.

[6] نيل الأمل، ج٢/ ص١٥.

السجون قام السجناء فأكلوه عن آخره[١]. وفي السنة التالية أي ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م قدمت الأخبار من دمشق بارتفاع الأسعار جداً وأن الناس أكلوا الكلاب والحيوانات الميتة ومات الكثير من المساكين والفقراء جوعاً وافتقر الأغنياء، واضطر قسم من أهالي حلب إلى بيع أبنائهم[٢]،ومن العوامل التي أثرت تأثيراً واضحا على ارتفاع الأسعار هو إجبار السلطة الطحانين على شراء القمح بأسعار مرتفعة فيؤدي ذلك بالنتيجة إلى ارتفاع أثمان الخبز وهذا ما حدث سنة ٧٨٧هم ١٣٨٥م وأشار المؤرخ إلى أن هذا الأمر ترتبت عليه مفاسد ظاهرة[٣]. وأحياناً يكون ارتفاع الأسعار شاملاً لجميع السلع إذ قال المؤلف في أحداث سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م ما نصه: **((ارتفعت الأسعار بمصر في جميع الأشياء حتى الملبوسات))**[٤]. وأكد المؤرخ هذا الأمر مرة أخرى محدداً مقدار الزيادة بقوله: **((غلت الأسعار جداً في المأكولات والملبوسات، بل في كل ما يباع وزاد على القيمة بمقدار الثلثين))**[٥]. وشهدت سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م ارتفاعاً شديداً في الأسعار ولاسيما في الوجه البحري حتى بلغ سعر القدح الواحد من القمح أربعين درهماً وفقد الخبز من الأسواق[٦]. وفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م قل وجود الفلفل في مكة مصر حتى بيع الحمل منه بمائتين وعشرين ديناراً بعد أن كان بستين فقط[٧].وأحياناً يشير المؤلف إلى ارتفاع الأسعار ووقوع الغلاء خارج مصر وبلاد الشام ففي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م ذكر خبر حصول الغلاء في مكة المكرمة وانعدام الأقوات حتى أكل الناس القطط والكلاب ولما فقدت هذه الحيوانات تم خطف عدد من الناس وقتلهم ومن ثَمَّ أكلهم فكثر خوف الناس من

---

[١] نيل الأمل، ج٢/ ص٧٩.

[٢] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٠٦.

[٣] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢٣٠.

[٤] المصدر نفسه، ج٣/ ص٨٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٣/ ص٨٧.

[٦] المصدر نفسه، ج٣/ ص١١٢، ١١٨.

[٧] المصدر نفسه ، ج٣/ ص٢٦٤.

الخروج إلى مناطق خالية خشية من ذلك[١]. وعلى الرغم من أن هذا الخبر ربما يكون مبالغ فيه لكنه على أية حال يشير إلى شدة ما بلغ إليه القحط وارتفاع الأسعار. ويشير المؤلف أحياناً إلى مدة بقاء الأسعار مرتفعة ومن ذلك قوله في أحداث سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م: **((ارتفع السعر في الغلال وفي كل شيء من الأقوات واستمر الغلاء عدة سنين))**[٢]. وفي العام التالي لم يهتم الناس بمناسبة العيد بسبب الغلاء وتزايد قطاع الطرق[٣]. وفي سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م ذكر المؤرخ الغلاء الذي عاشه هو أيضاً فقال ان أردب القمح بلغ ألف ومائتي درهم، أما الشعير والفول فبيع بحوالي سبعمائة درهم[٤]. وظل هذا الغلاء متواصلاً في جميع أصناف المأكولات والحبوب في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م وفيها أيضاً انعدم وجود الأوز والدجاج وغلت أثمان الخبز وأكل الناس خبز الشعير[٥]. وثار الناس ضد المحتسب سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م بسبب ارتفاع الأسعار واشتكوا منها[٦]. وأحياناً يشير إلى ارتفاع السلع التي لا تدخل كغذاء للناس ومن ذلك ارتفاع سعر القطن سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٩٣م حتى بلغ ألفين وأربعمائة درهم[٧]. كما ارتفع سعر البرسيم حتى بلغ سعر الفدان منه عشرة دنانير[٨]. وفضلاً عن ذلك أشار المؤرخ إلى ارتفاع أسعار الخيول والبغال والحمير[٩].

ثانياً: مواجهة الغلاء.

---

[١] نيل الأمل، ج٤/ ص٤٧؛ وقد ذكر الخبر عند المقريزي في السلوك، ج٦/ ص٥٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٧/ ص٣٦٣.

[٢] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٢١.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٧٦-٣٧٧.

[٤] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٠٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٢٢.

[٦] المصدر نفسه، ج٧/ ص٢٤٣.

[٧] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٠٠.

[٨] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٠١.

[٩] المصدر نفسه، ج٧/ ص٤٣١.

أورد عبد الباسط الظاهري العديد من النصوص التي تفيد باتخاذ السلطة المملوكية طرق عدة لمعالجة الغلاء ومن ذلك مراقبة الأسعار وتحديدها. ففي سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م بادر السلطان المؤيد شيخ الظاهري بنفسه للنظر بالأسعار بعد أن تزايدت بشكل حاد ولكن المؤلف لم يوضح الإجراء الذي اتخذه السلطان في هذا المجال[١]. كما قام السلطان ذاته في سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م بتسعير المأكولات وكان السبب وراء ذلك هو الخسائر التي أصابت الناس جراء نقصان قيمة الدينار الذهبي والدرهم الفضي بعد أن تم تسعير صرفهما[٢]. وقام السلطان الأشرف قايتباي في سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧ بتسعير الغلال الزراعية حينما ارتفعت أسعارها ولكن هذا الإجراء لم يجدِ نفعاً حيث عادت الأسعار إلى الارتفاع مجدداً[٣]. وفي سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م تم تسعير القمح من قبل السلطان قايتباي نفسه وحدد سعر الأردب الواحد منه بأربعمائة درهم ولكن هذه التسعيرة لم يلتزم بها أحد بل زاد السعر مجدداً حتى أصبح سعر الأردب الواحد من القمح سبعمائة درهم بل وزادت أسعار المأكولات أيضاً[٤]. وفي السنة التالية حينما ارتفعت الأسعار بشكل حاد أمر هذا السلطان بأن يكون سعر أردب القمح بألف درهم[٥]. ومن الإجراءات الأخرى المتخذة لخفض الأسعار هو أن يقوم السلطان المملوكي أحياناً بفتح مخازن الغلال لزراعية الخاصة به وبيعها بسعر أقل وهذا ما فعله السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م حينما فتح مخازن القمح والشعير فانخفضت أسعارهما[٦].

وقد اتخذ السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م إجراءً مماثلا حينما أمر بفتح مخازن الغلال الزراعية فانخفضت الأسعار قليلاً حتى بيع رطل الخبز بستة دراهم بعد أن كان بتسعة وبيع أردب الشعير بأقل من ستمائة درهم بعد أن كان

---

[١] نيل الأمل، ج٣/ ص٢٩٦.

[٢] المصدر نفسه، ج٤/ ص١١.

[٣] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٠٥.

[٤] المصدر نفسه، ج٦/ ص٣٤٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٦/ ص٤٠٩.

[٦] المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٦٥.

بتسعمائة وكان ذلك بداية انخفاض الأسعار بشكل عام[١]. وقام هذا السلطان أيضاً سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م بفتح أحد المخازن الخاصة بالقمح فزاد وجوده بالأسواق فانخفض سعره[٢].

ثالثاً: انخفاض الأسعار.

ذكر عبد الباسط الظاهري الكثير من المعلومات عن انخفاض الأسعار وقدم أمثلة عن ذلك وأشار إلى نتائج هذا الانخفاض على الناس ففي سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٧٢م انخفضت أسعار الغلال وصادف ذلك بداية تسلم السلطان المظفر حاجي بن الناصر للسلطنة المملوكية فتباشر الناس به[٣]. وانخفض سعر الخبز كثيراً في سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م حتى بيع كل أربعة وعشرين رطلاً بدرهم واحد وكل خمسين بيضة بدرهم[٤]. وحينما تولى الظاهر برقوق حكم دولة المماليك الجراكسة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م انخفضت الأسعار لاسيما سعر القمح فتفاءل الناس بعهده[٥]. وفي السنة التالية قال المؤرخ أن الأسعار كانت في غاية الرخاء في مدينة القاهرة[٦]. وتواصل الرخاء في عهد برقوق ، ففي سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م عم الرخاء مصر حتى بيع كل ثمانين رغيفا بأقل من درهم واعتبر ذلك من نوادر الرخاء وعجائبه[٧]. وفي عهد السلطان الأشرف برسباي وتحديداً في سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م عم الرخاء أنحاء الدولة المملوكية حيث شمل مصر والشام والحجاز[٨]. وفي سنة ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م انخفضت أسعار جميع المبيعات من الغلال الزراعية والفواكه واللحوم وغيرها[٩].

---

[١] نيل الأمل، ج٦/ ص٤٠٤؛ وخبر هذا الإجراء ذكره ابن اياس في بدائع الزهور، ج٣/ ص٤٣.

[٢] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٧/ ص٥٥.

[٣] المصدر نفسه، ج١/ ص١٣٦.

[٤] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٣٤.

[٥] المصدر نفسه، ج٢/ ص١٩٦.

[٦] المصدر نفسه، ج٢/ ص٢١١.

[٧] المصدر نفسه، ج٢/ ص٣٩٧.

[٨] المصدر نفسه، ج٤/ ص١٣٠.

[٩] نيل الأمل،ج٤/ ص٢٨٥ وقد أشار إلى خبر هذا الرخاء الصيرفي في نزهة النفوس والأبدان، ج٣/ ص١٩٧.

وبلغ الرخاء ذروته في محرم من سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م يتضح ذلك من قول المؤلف في أحداث هذه السنة: **((وفي محرم كان الرخاء في الأسعار جداً حتى بيع كل أردب قمح بستة دراهم فضة وزنا والشعير بثلاثة والفول بدرهمين ونصف وكان هذا غاية الرخص بالنسبة إلى ما تقدم...))**[١].

ونقل المؤرخ أحياناً ما أطلقه الناس على السنة التي تشهد انخفاضاً كبيراً في الأسعار وسرورهم بذلك. فقد شهدت سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣ انخفاضاً كبيراً في أسعار القمح والشعير والفول واللحم وسائر المأكولات فأخذ الناس في القاهرة يتباشرون ويقولون**((سنة ثمان أمان))** [٢] .

---

[١] عبد الباسط الظاهري، المصدر نفسه، ج٤/ ص٢٩٠.

[٢] المصدر نفسه، ج٧/ ص٧٠.

الخاتمة

في ختام رسالتنا المعنونة المؤرخ عبد الباسط الظاهري وكتابه نيل الأمل دراسة في الجوانب الاقتصادية نذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج:

. أوضحت الدراسة بأن المؤرخ عبد الباسط عاش في عصر دولة المماليك الشراكسة وتحديداً في المدة الواقعة بين سنتي ٨٤٤ – ٩٢٠هـ/ ١٤٤٠ – ١٥١٤م والتي شهدت العديد من الأحداث السياسية والعسكرية والفكرية وغيرها والتي كانت لها آثارها على الأوضاع العامة على الدولة المملوكية وعاصمتها القاهرة التي عاش فيها المؤرخ وكان من أبرز تلك الأحداث الحركات والاضطرابات المتكررة التي قام بها المماليك الجلبان المطالبين بزيادة مرتباتهم فضلاً عن التقلبات الحادة في الأسعار التي سببها ارتفاع وانخفاض مستوى نهر النيل كما تعرضت مصر في هذه المدة إلى سلسلة من الأوبئة راح ضحيتها آلاف الناس وعلى الرغم من كل ذلك فإن عصره شهد نشاطاً فكرياً ملموساً كان من أبرز مظاهره كثرة عدد المدارس وظهور العلماء في مختلف فروع العلم ولاسيما في مجال التاريخ مثل والده خليل بن شاهين وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي وابن اياس وكان لهذا النشاط الفكري أثره في بناء شخصيته العلمية.

ـ بينت الدراسة أن المؤرخ كان ينتمي إلى أسرة مملوكية حيث يعد جده شاهين أول من دخل منها إلى مصر وقد برز من هذه الأسرة والده كشخصية علمية وإدارية لامعة إذ تسلم عدة مناصب أبرزها الوزارة وساهم في حركة التأليف في عدة مؤلفات منها كتابه زبدة كشف المماليك وقد تأثر مؤرخنا عبد الباسط بهذا الجانب من سيرة أبيه فأصبح مؤرخاً مثله.

. عرف عبد الباسط بتأليفه العديد من الكتب في مجالات علمية عدة مثل علوم القرآن والفقه واللغة العربية والتاريخ غير أنه اشتهر في مجال التاريخ عن طريق كتابيه الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ونيل الأمل في ذيل الدول.

ـ لم يستلم عبد الباسط أي وظيفة أو منصب معتمداً في تأمين معيشته على عمله بالتجارة وقد ذكر ذلك بنفسه أثناء تسجيله لأخبار رحلته التي زار فيها العديد من مدن المغرب والأندلس وقد تاجر بين هذه المدن وحقق أرباحاً كبيرة عن طريق ما

حصل عليه من إعفاءات ضريبية من قبل عدد من الحكام الذين التقاهم أثناء تلك الرحلة التي استثمرها أيضاً في لقاء العديد من العلماء والشيوخ فحصل بذلك على معلومات إضافية.

ـ تتلمذ عبد الباسط على أيدي العديد من الشيوخ والعلماء في مختلف العلوم والمعارف وكان في مقدمة هؤلاء والده والمؤرخ شمس الدين السخاوي وغيرهما.

ـ كانت للمؤرخ علاقات وثيقة بالعديد من علماء وأدباء عصره ذكرهم في كتابيه التاريخيين المشار إليهما آنفاً ومنهم المؤرخ المصري المعروف جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) والفقيه المحدث أبو البركات ابن الشحنة (ت٩٢١هـ/ ١٥١٥م) كما ارتبط بعلاقات وطيدة مع قسم من الأمراء والتجار.

. يعد كتاب نيل الأمل أحد مؤلفاته التاريخية المهمة لاسيما وأنه عالج فترة متأخرة من العصور الإسلامية تقع بين سنتي ٧٤٤ – ٨٩٦هـ/ ١٣٤٣ – ١٤٩٠م وكان شاهد عيان على العديد من الأحداث التي عاصرها وترجم فيه للكثير من الشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية والعلمية التي عاصرها.

. كان من مميزات المنهج الذي اتبعه في كتاب نيل الأمل الاختصار الذي أشار إلى إتباعه فضلاً عن اعتماده أسلوب الإحالات سواء كانت على مؤلفاته أو مؤلفات غيره، وسجل لنا أيضاً الأخبار النادرة ليضفي على كتابه طابع المتعة والتشويق.

ـ شكلت المعلومات الاقتصادية جزءً كبيراً من مادة كتاب نيل الأمل حيث سجل لنا أخبار مناسيب مياه نهر النيل والتأثير الكبير لذلك على الانتعاش الاقتصادي المصري أو تدهوره كما ذكر معلومات قيمة عن النقود التي كانت متداولة أثناء المدة التي أرّخ لها وبيّن أحياناً تدهور قيمة العملة النقدية وتدخل السلطة لمعالجة ذلك. وذكر معلومات مهمة عن قيمة الدينار مقابل الدرهم وقيمة الدرهم مقابل الفلس النحاسي وأشار إلى الأسماء التي أطلقت على الدنانير والدراهم وهي دائماً باسم السلطان الذي أمر بسكها وأحياناً باسم أمير من أمراء المماليك والذي يمكن أن يقال على هذه المعلومات أنها تشكل تكملة لما ذكره المقريزي في هذا المجال.

ـ ذكر المؤرخ معلومات تفصيلية عن واردات الدولة ومصروفاتها إذ سجل أخبار الضرائب المتنوعة التي كان يفرضها المماليك وما كانت تدره على السلطة المملوكية

من أموال طائلة فضلاً عن الخراج والجزية والغنائم وغيرها وإلى جانب الواردات زودنا المؤرخ بمعلومات مهمة عن المصروفات المتنوعة والكثيرة مثل المصروفات العسكرية والعمرانية مما يؤدي إلى لجوء بعض السلاطين إلى فرض ضرائب جديدة أو مصادرة الأشخاص الأثرياء لتغطية تلك النفقات.

ـ أولى المؤرخ عناية كبيرة بذكر المجاعات والأوبئة التي ضربت الدولة المملوكية ولاسيما مصر وأكد كثيراً على ما أصاب القاهرة منها مشيراً إلى ما خلفته هذه الكوارث من خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات وما أدت إليه من تدهور بالنشاط الاقتصادي بشكل عام.

. وأكد المؤرخ على أخبار نهر النيل بوصفه شريان الحياة الاقتصادية لمصر مسجلاً ارتفاع وانخفاض مستوى مياهه سنة بعد سنة وتأثير ذلك على النشاط الاقتصادي ولاسيما الزراعي منه مكملاً بعد ذلك ما ذكره المؤرخون السابقون له عن هذا النهر.

ـ وأخيراً فإن كتاب نيل الأمل يعد مصدراً تاريخياً مهماً عن تاريخ مصر والشام في عصر دولة المماليك الشراكسة وتعد المعلومات الاقتصادية أهم ما جاء في هذا الكتاب من معلومات كون المؤرخ ركز عليها بشكل واضح وبذلك يكون عبد الباسط أحد مؤرخي عصره ساهم بشكل فاعل في الحركة الفكرية، ولكنه لم يشتهر كثيراً بسبب تأخر تحقيق مؤلفاته التاريخية، فأول كتاب تاريخي كبير حقق ونشر له هو كتاب نيل الأمل وذلك في سنة ٢٠٠٢م.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم خير ما نبدأ به

أولاً: المصادر الأولية.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن بن عبد الله (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب (بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

ابن اياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/ ١٥١٠م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

ابن بسام، محمد بن أحمد المحتسب (ت القرن الثامن الهجري)

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٦٨م).

البصروي، علي بن يوسف بن أحمد (ت٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)

- تاريخ البصروي، تحقيق أكرم حسن الحلبي، ط١، دار المأمون للتراث (دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨).

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

- رحلة ابن بطوطة، تحقيق علي المنتصر الكناني، ط٤، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

البقاعي، إبراهيم بن حسن (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب والوثائق (القاهرة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

- معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا (القاهرة ١٩٤٥ – ١٩٤٩).

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٩٦)
– حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق وليم بير (كاليفورنيا ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).
– الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق محمد فهيم محمد، مكتبة الخانجي (القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).
– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).
الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)
– ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر (القاهرة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).
الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)
– عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل (بيروت د.ت).
ابن الجيعان، شرف الدين يحيى بن علم الدين شاكر بن المقر (ت٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)
– التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ)
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
ابن حبيب، الحسن بن عمر بن عبد الحسن بن عمر (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
– تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب (القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي بن عبد الله (ت٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)

- خزانة الأدب وغاية الأرب (القاهرة، ١٣٠٤هـ)

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي شهاب الدين (ت٨٥٢هـ)

- إنباء الغمر بأنباء العمر، ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن (الهند ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

الحسيني، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي (ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)

- ذيل العبر في خبر من غبر للذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية (بيروت د.ت).

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)

- معجم البلدان، دار الفكر (بيروت د.ت).

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ)

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

- تاريخ ابن خلدون، ط٥، دار القلم (بيروت ١٩٨٤م).

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٢٤م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت ١٩٦٨م).

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)

- الانتصار لواسطة عقد المصار، دار الآفاق الجديدة (بيروت د.ت).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ص١، دار الكتاب العربي (بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

- دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتون ومحمد مصطفى إبراهيم، الهيئة العامة المصرية للكتاب (القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

- سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد عبد السلام، دار الكتاب العربي (بيروت ١٩٨٧م).

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

- تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية (د.م . د.ت).

ابن زنبل، الشيخ أحمد الرمال (ت٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)

- آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٩٩٨م).

ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم بن الحسن الليثي المصري (ت٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)

- فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)

- صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ (طرابلس ١٩٩٣م).

سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد (ت٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م)

- كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم العربي (حلب ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٣٧٦م).

السخاوي، شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

- البلدانيات، تحقيق حسام القطان، ط١، دار العطاء (الرياض ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

- التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة د.ت).

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت د.ت).

-وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس، ط١، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

السرخسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)

- المبسوط، دار المعرفة (بيروت د.ت).

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ/ ١١١٨م)

- الأنساب، تحقيق عبد الله عمير البارودي، ط١/ دار الفكر (بيروت ١٩٩٨م).

ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)

- القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الخناوي (د.م، د.ت).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (صيدا، د.ت).

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية (بيروت ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

- لب اللباب في تحرير الأنساب، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت).

- نظم العقبان في تاريخ الأعيان (نيويورك ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).

الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت، د.ت).

- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار، دار الجيل (بيروت ١٩٧٣م).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)

- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

الصيرفي، علي بن داود (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)

-إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، مطبعة المدني (القاهرة ١٩٧٠م).

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب (القاهرة ١٩٧١م).

الطريحي، محمد بن علي بن أحمد (ت١٠٨٥هـ)
- مجمع البحرين، تحقيق محمود عادل (قم ١٣٩٥هـ).
ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت٩٥٣هـ)
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
الظاهري، خليل بن شاهين (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٧م)
- الإشارات في علم العبارات، دار الفكر (بيروت، د.ت).
- زبدة كشف الممالك، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية (باريس ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م).
الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري (ت٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)
- غاية السول في سيرة الرسول، تحقيق أحمد كمال الدين عز الدين، ط١، عالم الكتب (بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)
- الاستذكار الجامع لمذاهب الأمصار، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٠م).
أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)
- الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)
ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمري، دار الفكر (بيروت ١٩٩٥م).

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)
–سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
العليمي، مجير الدين عبد الرحمن محمد الحنبلي (ت٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)
– الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباته، مكتبة دنيس (عمان ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)
– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير (دمشق ١٤٠٦هـ).
العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ)
– الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس أرنست، ط١، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ١٩٦٢م).
– السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم محمد شلتون، المكتبة العربية (القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
الغزي، نجم الدين محمد (ت١٠٦١هـ)
– الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
الفاسي، الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الأفريقي (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)
– وصف أفريقيا، ترجمةُ عن الفرنسية محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي (بيروت ١٩٨٣م).
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل الملك المؤيد (ت٧٣٢هـ/ ١٣١٢م)
– المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية (القاهرة، د.ت).
ابن فهد المكي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد بن فهد المكي (ت٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)
– لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت، د.ت).
ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)

- تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش (دمشق ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م).
القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، ط٣، (بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م).
القلقشندي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثافة (دمشق ١٩٨١م).
- مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (الكويت ١٩٦٤م).
القنوجي، صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ/ ١٨٠٨٩م)
- التاج المكلل في جواهر مآثر الطراز الأول، دار إقرأ (بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)
ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت، د.ت).
مجهول المؤلف
- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (الإسكندرية ١٩٥٨م).
المرعشي، نور الله الحسيني التستري (ت١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)
- شرح إحقاق الحق، تحقيق شهاب الدين النجفي (قم، د.ت).
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)
- إتعاظ الحنفا بأخبار اللأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م).
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

- النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد بحر العلوم، ط٥، المكتبة الحيدرية (النجف ١٩٦٧م).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

- لسان العرب، دار صادر (بيروت، د.ت).

النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)

- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٠هـ).

ابن الوردي، زيد الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)

- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م)

- الخراج، ط٢ (القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)

ثانياً: المراجع العربية والمعربة.

أحمد، عبد الرزاق أحمد

- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك – دراسة عن الرشوة – الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٧٩م)

الأشقر، محمد عبد الغني

- أتابك العساكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤ – ٩٢٣هـ)، مكتبة مدبولي (القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

الأمين، محسن

- أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات (بيروت، د.ت).

الباشا، حسن

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (القاهرة ١٩٧٨م).

بدران، عبد القادر

- منادمة الأطلال مسامرة الخيال، تحقيق زهير شاويش، ط٢، المكتبة الإسلامية (بيروت ١٩٨٥م).

بروكلمان، كارل

– تاريخ الأدب العربي، ج١١، ترجمة حسن محمود إسماعيل، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي (قم ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

البغدادي، إسماعيل باشا

– إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

– هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ط٢، المكتبة الإسلامية (طهران ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م).

تدمري، عبد السلام

– مقدمة تحقيق كتاب نيل الأمل في ذيل الدول لعبد الباسط الظاهري، ط١، المكتبة العصرية (بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

توني، يوسف

– معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي (القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٩م).

جوايتاين، س.د

– دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي (الكويت ١٩٨١م).

حسن، إبراهيم حسن

– تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، ط٣، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

حسن، زكي محمد

– الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي (بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الحسيني، حمد رافع الطهطاوي الحنفي

– التنبيه والإيقاظ في ذيول تذكر الحفاظ، دارالكتب العلمية (بيروت، د.ت).

الخطيب، مصطفى عبد الكريم

– معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

الخولي، بديع جمعة أحمد

– تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي (القاهرة ١٩٧٦م).

دهمان، محمد أحمد

– معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر المعاصر (بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

دوزي، رينهارت

– تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للطباعة (بغداد ١٤٠١هـ/ ١٩٩٨م).

روزنثال، فرانز

– علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى (بغداد ١٩٦٣م).

الزركلي، خير الدين

–الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، دارالعلم للملايين (بيروت ١٩٨٠م).

أبو زيد، محمد محمود علي

– الريف المصري في العصر الإسلامي، مكتبة الإيمان (القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

سيد، أيمن فؤاد

– الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد، ط٢، مطبعة المدني (القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

السيد، حكيم أمين

– قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومي للطباعة والنشر (القاهرة ١٩٦٦م).

سركيس، الياس

- معجم المطبوعات العربية، مطبعة سركيس (القاهرة ١٩٢٨م).

الشربيني، بيومي إسماعيل

- مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، ج١، الهيأة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٩٩٧م).

ضومط، انطوان خليل

- الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، ط٢، دار الحداثة (بيروت ١٩٨٢م).

طرخان، إبراهيم علي

- مصر في عصر المماليك الشراكسة، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

طقوش، محمد سهيل

- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط٣، دار النفائس (بيروت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح

- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك،دار النهضة العربية(بيروت،د. ت).

العريني، السيد الباز

- المماليك، دار النهضة العربية (بيروت، د. ت).

العزاوي، المحامي عباس

- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، وزارة المعارف (بغداد ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

عز الدين، محمد كمال الدين

- عبد الباسط الحنفي مؤرخاً، ط١، عالم الكتب (بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

عصفور، محمد بهجت

- المصادرة في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك (القاهرة ١٩٩٠م).

العفيفي، إبراهيم

– وفاء النيل، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة، د.ت).

غانم، حامد زيان

– صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك، دار الثقافة للطباعة والنشر (القاهرة ١٩٧٨م).

فهيم، محمد نديم أحمد

– الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيأة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ١٩٨٣م).

قاسم، قاسم عبدة

– عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، ط١، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة ١٩٩٨م).

– النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، دار المعارف (القاهرة ١٩٧٨م).

الكتاني، محمد بن جعفر (ت١٩٢٦م)

–فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات المسلسلات (القاهرة، ١٣٤٧هـ).

كحالة، عمررضا

– معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مطبعة الترقي (دمشق ١٩٧٦م).

مصطفى، شاكر

– التاريخ العربي والمؤرخون، ط١، دار العلم للملايين (بيروت ١٩٩٠م).

منصور، خليل

–مقدمة تحقيق كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان لابن طولون، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)

النبراوي، رأفت محمد

– السكة الإسلامية في مصر، ط١، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر (القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

هنتس، فلتير

– المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي (عمان ١٣٩٠هـ/ ١٩٩٧م).

الوائلي، طالب محيبس

– الصفويون من الطريقة الصوفية حتى تأسيس الدولة، ط١، دار الرند للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق ٢٠١١م).

ثالثاً: الرسائل والأطاريح.

إبراهيم، عبير عبد الرزاق

– جلال الدين السيوطي ومنهجه في كتابه بغية الوعاة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد (١٤٣٨هـ/ ٢٠٠٧م).

الدباغ، بثينة رشيد

– الخلافة العباسية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (١٩٧١م).

عبد الحميد، عفاف عبد الجبار

– الجوانب الاقتصادية في كتابات ابن تغري بردي (٣٠٠هـ – ٨٧٤هـ)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

عنيزان، فاطمة زبار

– السخاوي وكتابه الضوء اللامع موارده ومنهجه، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

Abstract

The present study entitled : (Abdul-Basit Al-Dahiri and his book Neil Al-Amal : A Study in the Economic Aspects) deals with the biography of that historian who gained fame in the second half of the 9th century AH and the early beginning of the 10th century AH in addition to what he had written in his a fore mentioned book of important and detailed information concerning the economic life in the second Mamluki state .

The importance of the present study springs from the fact that it sheds light on the personality of that historian , his contributions in the field of knowledge , especially in history , of which he wrote a number of books ; chief among which are the following : (Ar-Rowdh Al-Basim in Hawadith Al-Omr Wat-rajim) ; (Neil Al-Amal Bi Theil Ad-Duwal) . The second book constitutes the bulk of chapters three and four . The study comprises an introduction , four chapters , and a conclusion . Chapter One tackles the biography of the historian Abdul-Basit Ad-Dahiri . It studies the era in which he lived from various aspects : political , intellectual , and economic in addition to its impact on his family . It has been indicated that Ad-Dahiri had been influenced by his father , Khalil Ibn Shahin Ad-Dahiri . Also , this chapter throws light on his comrades of both scholars and authoritative men and their influence on his life . His journey to Morrocco and Andalusia has been touched upon together with his attitude towards authorities of that era .

Chapter Two studies Ad-Dahiri's position , his scholastic contributions . It sheds some light on his teachers ; his writings in various subjects , such as : Qur'anic Sciences , Jurisprudence , Arabic , and History . A full section has been allocated to his book : *Neil Al-Amal Bi Theil Ad-Duwal* in which light was shed upon the title , the reason behind its writing , its manuscripts , editions , and the methodology

followed in addition to the sources used . Furthermore , this chapter mentions his students who had quoted from his book (Neil Al-Amal) .

Chapter Three tackles income , expenses , and fields of economic activity as they were mentioned in his book . Types of taxes imposed Mamluki authorities on people were indicated , most of them , actually , were unjust . This chapter also explicates military expenditure which was the highest during the second Mamluki state . Aspects of economic activity , such as agriculture have been shown . It's well-known that agriculture was the most important field at that time , since Egypt was primarily an agricultural country . The chapter also tackles industry and trade , the last of which comes in the second place following agriculture , since it made available for a good finance . The last point in this chapter is dedicated to studying markets , professions , and crafts .

The last chapter investigates the influential factors in the economic life , such as natural disasters , plagues , fire , earthquakes , floods , and their devastating economic effects , since they , sometimes , lead to the full cease of economic activity . Besides , this chapter studies climatic changes , such as the increase and decrease in temperatures , heavy rains , hurricanes and their impact on economic life . A separate section was allocated to the River Nile and its effect on economic life , since it was the back bone of Egypt economical conditions ; when it floods , it causes destruction , plagues , etc. , and when a severe decrease occurred in its water levels , famine was the result ! . Besides , the chapter deals with the financial policy of Mamluki authority and its economic consequences , rise and fall of prices together with reasons as they were mentioned in his book and the consequences on the daily life of people .

The present study has come up with a number of conclusions , among which are: the historian Abdul-Basit Ad-dahiri lived between (844-920 AH) / (1440-1514 AD) and that era was characterized by political ,

military, economic, and general events that had a clear impact on general life in Cairo. It has been indicated that Ad-Dahiri belonged to a Mamluki family ; his grandfather , Shahin , was the pioneer to come to Egypt . That family also produced two historians , namely , Abdul-Basit and his father , Khalil Ibn Shahin Ad-Dahiri . The study emphasized that (Neil Al-Amal) tackled a late period of the Mamluki Age (744-896 AH / 1343-1490 AD) and had been an eye witness of many events . Last , but not the least , that book is regarded as an important historical source due to the profundity of economic information and facts it contained .

Ministry of higher Education and Scientific Research
University of Wassit
College of Education\ Department of History
Graduate Studies

(Abdul-Basit Al-Dahiri and his book Neil Al-Amal : A Study in the Economic Aspects)

Presented By
Luma Ibraheem Aziz

To the Board of the Faculty of Education - University of Wasit, which is part of the requirements of the Master's degree in Islamic history

Supervised by
Atta Salman Jasim

1432 A.H. 2011 A.D